

الإمامة في الإسلام

الدكتور
عارف تامر

دار الأضواء
بيروت - لبنان

الإمامة

في الإسلام

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع
ت: ٢٧٠٨٧٣ - ٢٧١٧٨٨ - ف: ٢٧١٦٨٥
ص.ب: ٢٥/٤٠ غبيري - بيروت - لبنان

الإمامة في الإسلام

الدكتور
عارف تامر



«أصبح الإنسان في عصرنا الحاضر، يعمل جاهداً على اجتياز المراحل العسيرة للوصول إلى المعرفة التي تحرره من الأوهام المضلّلة، وتدفعه نحو الواقعية المجردة، وتقرِّب إلى أفهامه الحقيقة الناصعة.

فما أحرانا أن ننضم إلى ركب الإنسانية المتطور، السائر بخُطى سريعة نحو الحياة الأفضل، للتغلب على استبداد الأقدار، واستعباد الأفكار، وإبعاد الخرافات».

د. عارف تامر

«في كتابنا هذا دراسة مفصلة عن «الإمامة في الإسلام» ، وفيه أيضاً موجز عن تاريخ الفرق الإمامية الإسلامية ، بالإضافة إلى ترجمة لحياة الأئمة الذين تسنموا مركز الإمامة في عصور مختلفة .

كتابنا هذا . . . ليس لفئة أو لفرقة ، أو لطائفة .

إنه للعلم . . . وللحقيقة . . . وللتاريخ . . .»

د . عارف تامر

«ما قبل الإسلام»

النصرانية ـ الرومان

كانت الأمة الرومانية قبل ظهور النصرانية تتخذ من الوثنية عقيدة دينية لها ، وكان الأباطرة والقياصرة الرومان يعبدون آلهة تمثل عندهم القوى الطبيعية ، فيقدمون لها الأضاحي تقرّباً ، ويحرقون أمامها البخور زلفى . ومن المفيد القول : إن هذه العقيدة لم يكن فيها ما يصح أن نسميه مبادىء إنسانية ، أو قيم روحية سامية .

أجل . . . كان ذلك المجتمع يمثل نوعاً من الحضارة المادية ، بالنسبة لذلك العصر ، الغارقة شد الإغراق في ماديتها ، والمجردة كل التجرد من كل مقوم مثالي ، أو عنصر أخلاقي يتناول النفس الإنسانية بالتهذيب والتأديب والصقل وكبح جماح النزعات المستعرة والغرائز الثائرة .

ولم تكن تلك الحضارة لتنتهج مبدءاً يتلاءم ورسالة الروح أو الطبيعة أو البيئة . فالرحمة والسماحة والطهر والعفاف والعدالة والسمو بالروح إلى عالم أسمى ، لم يكن له أي أثر في ذلك المجتمع ، ومن الواضح أن قيوداً مادية كانت سائدة ، وتحمل معها كل المعاني البعيدة عن روح الحضارة الأصيلة ، فكان على الإنسان الخاضع لمؤثراتها ، والمنضوي تحت لوائها ، أن يحجب عن نفسه شعاعاً من أشعة المثالية ، وكل قبس من العزة والترفع ،

لأن الحياة بمفهومها العام كانت صراعاً دامياً بين قوى الشرور والآثام ، وتكالباً منهكاً على الشؤون الدنيوية الزائلة ، وتناحراً على قضايا الحياة المادية تحت ستار الطمع والجشع وحب الذات .

واصطفى الله عيسى ابن مريم لتبليغ رسالته الإصلاحية بعد أن أصبحت الحاجة ملحة ، والضرورة قصوى لرسالة دينية إنسانية تقوض أسس تلك الأمراض المتأصلة ، وتشفي من تلك الأمراض الفتّاكة المستعصية ، وتقضي على ركائز الأوبئة العاتية المتفشية . وجاء ذات صباح مغارة بيت لحم ، ومشى ووجهته الأرض الظليلة التي سلكها موسى من قبل ، وكان أمله أن تصافح عيناه أرض الجليل اليانعة ، والبحر الميت الهادئ ، ونهر الأردن الثر ، ومن حسن حظه أن أوطأ له الجنات الحادرة الحالية بالتين والزيتون والأعناب ، ممّا ساعده على التوغل في السهول الريّانة ، والجبال العامرة يبشر بالأخلاق والفضيلة والعبادة المتجردة ، وجرت على يديه البركة واليُمن ، وأقام بيعه ومناسكه وصوامعه في الصحارى الخضراء ، والسفوح المنحنية ، وعلى ذروات الجبال الشجراء ، وأخيراً اتسع الفضاء الصحيان أمامه ، فإذا به يحمل الشذى والعبير والنفحات الطيبة إلى روما ـ وبيزنطة .

لا جدال أن المسيحية ظهرت أول ما ظهرت في أرض مترعة بالمآسي والآلام ، أو قل في مجتمع مخضّب بالفاحشة ، وملوّث بالجريمة . وليس من الغريب أن تكون تلك الفكرة ضعيفة واهنة يوم مولدها ، توشحها الأحزان والأشجان ، ويصقلها الخوف والهزال ، ثم تستحيل بعد مضي وقت غير قصير إلى عقيدة راسخة مبتكرة تعاف الورع الجاف الذي حملها على الإكتفاء بوطن ضيق الحدود لا يتسع أمام تعاليمها ونظمها ، فامتدت واتسعت حتى بلغت في زحفها المجيد الفجاج البعيدة ، والشواطىء القاصية ، والخلجان العامرة ، والمدن الزاهرة ، ثم حلقت إلى مدى بعيد حتى لم تعد تستسيغ غير القباب الشوامخ ، والقصور المنيفة في

المدن الزاخرة ، والعواصم المكتظة .

أجل . . . كان ذلك الظهور بطيئاً وئيداً في بادىء الأمر ، هكذا أشارت الوقائع ، ثم أخذ بالإنتشار متسرباً بهدوء وإتزان إلى المجتمع الروماني الراقد في ظلمات الجهالة ، فأخذ يعمل فيه هدماً وتقويضاً وإنقلاباً . وسنن الحياة منذ بدء الخليقة تشير بوضوح بأن كل دعوة في بدء ظهورها لا بد لها من التعرض إلى نكسات ـ تعترض سبيلها ـ فإذا ما تسنَّى لها اجتياز المصاعب الأولى بأمان كان النجاح المطلوب ، والإنتصار المنشود ، ولهذا نرى الطامة الكبرى تنزل بالنصارى في الجولة الأولى . فقد اضطرهم الرومان بقسوة وشدة إلى اللجوء إلى الكهوف والمغاور حيث اتخذوا منها أمكنة يؤدون فيها عباداتهم بعيدين عن أعين الرقباء . أمّا الوثنية وهي العقيدة القديمة المتوارثة ، فقد ظلّت محافظة على كلمتها العليا في المجتمع الروماني حتى عهد قسطنطين سنة ٣٣٣م . ففي عهد هذا الإمبراطور تم الإعلان عن المسيحية بأنها متساوية مع الوثنية في الحقوق والواجبات والمكانة ، وبأنها عقيدة محترمة رسمياً في بلاط الإمبراطورية .

وبعد قسطنطين جاء يوليانوس ليعيد إلى الوثنية مكانتها الأولى ، وليمهد أمامها السبيل إلى الظهور من جديد على المسرح الروماني ، وبعد انقضاء عهده ، رأى الإمبراطور تيودوسيوس سنة ٣٨١م أمام ضغط الجماهير ، أنه لا بد من الإعتراف بالمسيحية ديناً رسمياً للدولة ، ولكن طقوس العبادة الوثنية ظلّت قائمة مدة طويلة بصورة خفيَّة في الأرياف والقرى النائية ، والمناطق البعيدة .

إنَّ كل هذا يعطي الدليل الدافع على أن طبيعة أحوال المجتمع كانت تمهد بسهولة للمسيحية لكي تبرز بروزاً شاملاً كعقيدة روحية على المسرح الروماني . كيف لا؟ وهي تدعو إلى مبادىء مثلى سامية تهيب بالإنسان إلى العزوف عن الحياة الدنيوية الصاخبة ، في عالم الكون والفساد ،

والتطهر من الإثم والخطيئة ، والتطلع نحو العالم الثاني ، أو دنيا البقاء والخلود .

من الجلي الواضح أن هذه المسيحية تركت في المجتمع الروماني أثراً إنقلابياً فكرياً فعَّالاً ، خاصة عندما أصبحت دينه الرسمي ، فقد سمت فيه إلى أعلى درجات السمو ، وبسرعة فصلته عن أمسه الملطَّخ بالأدران ، المدموغ بالحياة المادية ، ثم حملته على منكبها حيث أجلسته على أريكة وثيرة عليا كانت ترتكز على تعاليم أساسية حالية بالنمو والإشراق ، ونامية في ظل العقيدة الجديدة التي جاء بها عيسى ابن مريم .

ومهما يكن من أمر . . . فلا بد من القول : بأن المسيحية التي نحن بصددها ، أدخلت في فترة ـ قصيرة على الإمبراطورية الرومانية إطاراً جديداً من الدين القويم ، ورفعتها إلى الذروة الإنسانية ـ السامية في ظاهر الأمر . ولكن هذه الأمة ظلّت في الباطن تتأثر بالعقيدة القديمة المتوارثة ، وتحن إلى نظمها وعاداتها بالرغم من أن فرائض رسالة المسيح وتعاليمه كانت صريحة تقضي بالإبتعاد عن الوثنية ، وتناسي كل ما بدر وأتى منها . والحقيقة : فعندما نُدعى إلى الحكم على أمة من الأمم بأنها متدينة بعقيدة معينة ، أو برسالة جديدة ، فيجب أن نتعدَّى المظاهر والطقوس ، إلى بواطن النفوس لنشاهد ما يمخر فيها من أهواء ونزعات ، وما يكمن فيها من رواسب وبقايا . فالمجتمع الروماني في تلك الأثناء لم يكن بعيداً عن الوثنية إلاَّ بالظاهر ، وأن الإيمان بالله ، وما تفرضه عليه العبادات الجديدة من مثالية لم يكن جزءاً من الكيان الروحي لذلك المجتمع ، لأن الحياة الروحية الباطنية ظلّت خارجة عن نطاق الحقيقة الظاهرة ، وبعيدة عن الواقع المكشوف ، يدلنا على ذلك وقائع الحياة ، ومجريات الأمور .

أجل . . . شعر الرومان بأعماقهم ، أن البون شاسع بين عقيدتهم الوثنية التي أتاحت لهم كل شيء ، ووهبتهم الحرية المطلقة يتصرفون في شؤون

الدنيا كما يحلو لهم ، وبين هذا العالم التعبدي الإيماني الصوفي المسيحي - التجردي الذي قيّدهم بقيوده الثقيلة ، وفرض عليهم العبادات التي تلزمهم بالواجبات ، وقد أدركوا أن لا سبيل إلى التوفيق بينهما ، ما دام لكل منهما إتجاه مغاير للآخر ، وأن لا حياة لهم في المجتمع الجديد الذي يلزمهم بمبادىء سمحاء تقضي عليهم بالتجرد ، وإتباع المثالية والعبادة الخالصة المقربة ، والإيمان المطلق - بالرسالات النبوية ، وإطاعة الكنائس والمعابد ، وقد يكون من المفيد القول : إن المسيحية التي أوجبت على معتنقيها ما أوجبت لم تكن تتناول نظماً للحياة الإجتماعية والسياسية السائدة في المجتمع ، بل كانت منصرفة إلى تهذيب الروح ، وتطهير الوجدان ، والتوجّه بالنفس الإنسانية إلى ملكوت السماوات الأعلى .

لقد كان الإتجاه الروحي في كافة أدوار الحياة هو العمل على إصلاح حال الإنسان بإحياء قواه الروحية ، وتزكية وعيه ، وتحري أصالته ، والغوص في أغوار النفس لتهذيبها وتخليصها من الشوائب الطاغية ، وتحليتها بالفضائل الروحية العالية .

في الواقع . . . إنها موجة من القلق أغرقت في سدفتها الحياة الإجتماعية والسياسية في تلك الأزمنة البعيدة . فاندثر كيان الدولة التي ينتظم فيها الأمن والسكون ، وضاعت الأسرة وهي قوام المجتمع ، وكان إضمحلالها صادراً عن حنين النفوس إلى العبادات المظلمة ، وإلى التعاليم الدينية القديمة الموروثة التي ليس لها أي غرض أدبي ، أو أي هدف روحي تقصد إليه ، فنشأ عن ذلك تفسخ في وحدة البلاد السياسية ، وانهيار في الكيان الجامع للمجتمع ، وهبوط في مستوى الأخلاق والثقافة والتربية ، واستيقظت العصبيات المستقلة والإمارات الموحدة التي تفسد الحياة ، وتبعد الطمأنينة ، وتشيع الفوضى والإختلال .

ولم يكن سبب كل هذا إلاّ ما ذكرناه ، من أن الدين كان منفصلاً عن

الدولة انفصالاً طبيعياً ، وأن الحياة المادية في كل أدوارها تتفوق على الحياة الروحية من حيث قدرتها على اكتساب الجماهير ، فالوثنية وأصنامها ورموزها كانت توحي بعاطفة دينية سامية ، وتكمن في الصدور ، وترسل الشك والقلق والإرتياب ، وتنتظر الفرصة السانحة للظهور على المسرح ، وكم ولدت في أماكن عديدة من البلاد الرومانية منازعات عميقة أدَّت إلى مضاعفات بعيدة الأثر ، ولم يكن حلّها بالأمر الهين ، وقد تكون المدنية الحديثة وليدة المدنية الرومانية المندثرة ، أو بلغة أصح هي نفسها التي كانت تدور عليها حياة المجتمعات الغربية مع شيء من التحوير والتبديل ، وذلك نتيجة لتطور الفكر ، وتنوع المرافق الاجتماعية في الظروف المتقلبة ، والأحوال العاصفة .

ممَّا لا مجال للريب فيه ، أن المادية والنفعية كانتا تسيّران الروماني في حياته العامة ، وتطغيان على إنتاجه وتفكيره . أجل . . . كانت المادية هي مقصده ، والهدف الذي يسعى إليه في الحياة ، كما أنها هي نفسها كانت تسيّر الغربي ، وتزين له الإندفاع وراء أعمال ليس فيها أية صفة من الروحية أو المثالية ، ولمّا كانت تعاليم المسيح لم تعط نفعاً مادياً للغربيين ، أو تحمل إليهم المغانم ، فكان أولى والحالة هذه علَيهم أن يعمدوا إلى عزلها عزلاً مادياً تاماً ، وإبعادها عن الحياة العامة إبعاداً كلياً ، وهذه هي الفكرة المعبرة عن انفصال الدين عن الحياة أو الدولة الممثلة لها ، وهي فكرة صاغها الغرب وريث رومية ، واعتنقها وحملها وبشّر بها متخذاً من ظروفه الحياتية والاجتماعية في المراحل التي عاشها دافعاً قوياً إلى ذلك ، فضلاً عن أن اضطراره للإستجابة إلى حسِّه وشعوره كان في مقدمة الأسباب الموجبة ، فهو لم يكن قادراً على كبح جماح تلك المادية المتغلغلة في أعماقه وأحشائه ، بل كان مضطراً للاستسلام إلى جيوشها اللجبة السائرة بخطى سريعة نحوه لإقامة نطاق حوله دون هوادة .

ومهما يكن من أمر . . . فلا بد من القول : بأن المسيحية في أواخر

القرن السادس قد بسطت سلطتها على رومية بعد ظروف عاصفة مرَّت بها ، وبعد مخاض عسير تعرضت إليه ، فخضعت لها الشام والبلقاء وفلسطين وحوران وتدمر وصحراء فاران ودومة الجندل واليمن ونجران ، وفي تلك الأوقات نشاهد الروم يصطنعون عرب الشام في قتال الفرس ، ورد غزواتهم عن البلدان والإمارات المجاورة لهم ، والواقعة تحت نفوذ الرومان ، وذلك لأنهم وجدوا في آل غسَّان العرب خير من يستندون إليه في حروبهم مع المناذرة ، كما أنهم وجدوا في ربيعة وغسَّان وقضاعة سيوفاً قاطعة يشهرونها ويوجهونها كلما امتلأ أفقهم بالجيوش المعادية ، أو كلما وجدوا بتوجيهها فائدة مرجوة لهم ، ثم إن ذلك السلطان لم يلبث أن امتدَّ إلى العراق فاجتمع عليه ملوكه وأمراؤه ، وانضوى تحت ألويته العديد من قبائل العرب ومنها تغلب ، ولقد كان لانتشار المسيحية وتبسطها في ديار الشام علاقة قوية بتغلغل الروم وتسرب سلطانهم في حياة المجتمع السياسية والاجتماعية .

إلاَّ أن هذا الإنتشار كان عاجزاً عن الوقوف أمام الحجرة العثرة المتمثلة بالمادية المستيقظة أبداً ، وبالحنين إلى الديانة الوثنية المتوارثة ، وهذا كله جعل رومية تنوء تحت حمل أعباء الدين الجديد في القرن السادس للميلاد فيقع بين المسيحيين أنفسهم الإنقسام الكبير الذي شطرهم إلى شيع وأحزاب ، فكان كل حزب يأخذ في المسيح وأمه مريم برأي من الآراء ، فنجم عن ذلك الإختلافات الكبيرة ، واشتد الصراع الدامي ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد من العداء والبغضاء ، بل التمست كل فرقة الوسيلة إلى إيقاع الأذى بالفرقة الثانية التي تنازعها الهوى والرأي ، وامتد القلق الذي شمل الأذهان والنفوس والضمائر إلى كل مكان ، وكان من أثر هذه الأحوال الشاذة أن نشبت معارك دامية ، وشبَّت ملاحم عاتية عطَّلت ما بناه الفكر المهذب المنتج من صروح وقصور ومدن عامرة .

إن رسالة المسيح السمحاء ، بالرغم من سموّها وتجردها ومثاليتها لم

تكن لتردع ذلك المجتمع عن الإسراف في التقتيل والإحراق ، ولم يكن لهذا المجتمع أي غرض سام يحضره إلى الإعمار والإنشاء والسعي وراء المثل العليا والفن والآداب والجمال ، كما وشحته التعاليم الجديدة ، وكما أرادته الديانة القومية ، وهو الذي لم يرث عن القديم أية تعاليم مثالية ، أو شرائع مهذبة ، أو قوانين عريقة ، وإننا نلمس ونحن نستعرض هذه الأحوال أنه قد حلَّ بالوثنية من الفرس ما حلَّ بالمسيحية من الرومان ، فانقسموا أيضاً على أنفسهم إلى فرق متنافرة ، وأحزاب متباعدة . وقد يعجب المتتبع ويظن أن هناك عدوى تسرَّبت من المسيحية إليهم . والحقيقة أنها ظاهرة من ظواهر المجتمع مهَّدت إليها العلل الكثيرة ، والأسباب العديدة ، أو بالأحرى هي ظاهرة طبيعية تظهر في كل بيئة تنحرف عن سواء السبيل ، وتستيقظ في كل مجتمع ، وتفسِّر الأشياء بغير حقيقتها ، وتؤول الأمور إلى غير معناها أو بلغة أصح عندما تضمر القيم الإنسانية العليا ، وترقد الروح ، فتستعلي المادة ، وتتحكم في شؤون الحياة . إن كل هذا قد أدَّى إلى استبداد الملوك والحكام والأمراء وذوي السلطان ، فكثرت المظالم وثقلت المغارم ، ولم يكن هناك من يملك الجرأة على الجأر بالشكوى من شدة الوطأة وتفاقم الداء العضال . وأخيراً :

فلا بد من القول : بأن ذلك المجتمع قد ضلَّ عن السبيل السوي ، وبعد عن معرفة المثل العليا والقيم والأخلاق والحقيقة ، وقد التبس عليه معرفتها ممَّا جعله ينجرف بتيار اللاأخلاقية الوضيع إلى هوة سحيقة يكمن في باطنها الموت الزؤام ، وعندما نريد أن نستقصي الأسرار ونستنطق الوقائع في تأخر أمة من الأمم ، فعلينا أن ندرس الروابط الاجتماعية التي تربط بين أفرادها ، كما علينا أن ندرس طبيعة العلاقات ومبادئها ودوافعها . فالروابط الاجتماعية التي يقوم عليها الكيان الاجتماعي تمثل روح الأمة وخلقها المستتر فيها ، وتعبر عن مدى رقيّها وإنحطاطها . فلا حياة أفضل لأمة من الأمم تتقاعس عن إقامة الروابط الفردية بين أفرادها على أسس

متينة قبل تفكيرها بإقامة روابط خارجية تربطها بجاراتها وبأصدقائها من الأمم الأخرى .

هكذا كان واقع الحياة في المجتمع الروماني الذي اعتنق المسيحية وجعلها دينه الجديد ، وهكذا كان تأثير الديانة الجديدة في ذلك المجتمع ، بل هكذا صقلته الديانة الجديدة بتعاليمها الروحية ، وأجبرته على النزول إلى ميدان العمل والحياة ليخوض فيها المعارك النفسية مع قوى المادة العنيفة ، ولا بد من القول في نهاية المطاف : بأن المسيحية التي انبثقت من خلال الغيب وضعت نظاماً شاملاً لتهذيب الروح وتطهير الوجدان والتوجّه بالنفس الإنسانية إلى ملكوت السماء . فهي لم تصنع تعاليم تتناول فيها الحياة السياسية والاجتماعية العامة . بل على العكس ظلّت معزولة عن واقع الحياة المادية عزلاً تاماً ، ولهذا نرى المجتمع يسير في طريق مظلم لا أثر فيه للنور .

لقد كان القوي يأكل الضعيف ، ويعتدي الكبير على الصغير ، ويعم الاضطراب كافة النواحي وجوانب النفوس . كل هذا لأن الحنين إلى الدين القديم ظل متغلغلاً في أعماق هذا المجتمع ، وصحيح أن الفكر حياة مستمرة لا يستطيع الإنسان أن يميتها تماماً ، وليس في مقدور أي شخص مهما كان قوياً أن ينتقض أساس الماضي بكلمة واحدة . هذا وكيف نبرىء قوماً من صفة الوثنية إلاّ إذا أثبتت الوقائع أن الوثنية قد ذهبت من أرواحهم ونفوسهم ، فأصبح الإيمان بالله ، والخوف من رهبته جزءاً من كيانهم الروحي . وكيف نقول عن أمة إنها من أتباع الأنبياء والمرسلين ، ومن حملة الرسالات والكتب السماوية ، إذا كانت الوقائع تشير إلى عكس ذلك؟

إننا هنا في صراع مع التاريخ والمؤرخين . . . صراع مع المتناقضات التي تغلبت على الأفكار ، وتحكمت في النفوس ، ولم تستطع القوى الجبّارة أن

تهزمها ، أو أن تحل محلها .

أجل . . . لقد اعتاد الناس أن يحكموا على الأشياء حكماً ذاتياً لا موضوعياً . . . أي أنهم تأثروا في حكمهم عليها بذواتهم وميولهم المغرضة ، وأهوائهم المنحرفة ، وبمصالحهم الخاصة لا بحواسهم وعقولهم وتجاربهم . ومِمَّا لا شك فيه أن مثل هذه الأحكام تنحرف بالإنسان عن جادة الصواب ، وتطلق الأوهام من عقالها والخرافات من مكمنها ، ولا شيء يضلل الإنسان في حكمه على الأشياء مثل استغراقه في فرديته وحسبانه أنه منعزل عن الأشياء والأحداث .

ونحن في بحثنا هنا نحكم على مجتمع قديم ، وعلى ديانة أولية ، وأخرى أخذت طريقها وحلَّت محلها ، فما أحرانا أن نقول الحقيقة ، وأن نبتعد عن كل ما يعود بنا إلى الوراء .

إن الاستعراض الموجز الذي قدمناه يشكل توطئة لموضوعنا ، ومدخلاً إلى الحديث عن الإمامة في الإسلام ، ولعله يعطي فكرة لطالب العلم عن تلك الأحداث العاصفة التي سادت المجتمع في عهد الإمبراطورية الرومانية وسبقت ظهور الإسلام في تلك الأزمنة المتقلبة البعيدة ، وهي القوى الثلاث المعروفة التي كانت تتصارع على مسرح العالم العربي والإسلامي وهي : النصرانية ، واليهودية ، والوثنية ، وكل هذا سنتكلم عنه .

«النصرانية»

يقول أكثر من مؤرخ : إن النصارى هم الذين تنصروا . وقيل : إن أول من تسمَّى بهذا الإسم هم نصارى نجران الذين تناصروا فيما بينهم فسموا «الأنصار» وقيل : لأنهم نزلوا أرضاً يقال لها الناصرة ، وقيل أيضاً : لأنهم نصروا المسيح ، أو لأن مريم عادت من مصر إلى الناصرة ، أو لأنهم هم الذين آمنوا بعيسى ابن مريم ، ومِمَّا يجب أن يذكر في هذا الصدد ، وورود آيات كثيرة في القرآن الكريم تعترف لعيسى بالنبوة والرسالة ، أمَّا بنظر

المسيحية فعيسى ليس إنساناً حملته أمه ووضعته كما يولد أي إنسان كان ، بل هو تكوين آخر . . . إنه ابن الله الأزلي . نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ، ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر .

تقسم المسيحية إلى فرق عديدة منها :

الملكانية ، النسطورية ، اليعقوبية ، الأرثوذكس ، البروتستانت ، الكاثوليك ، والموارنة .

أمَّا النصرانية في جزيرة العرب ، فالتواريخ على رغم تباينها اتفقت على القول بأنها انتشرت في ربيعة وغسَّان وبعض قضاعة ، ثم امتدَّت إلى العراق ، فانتسبت إليها قبائل شتى من العرب ، ومنها تغلب . وكانت النصرانية تبسط في بلاد الشام أعلامها ممَّا ساعد الروم على التدخل في حياة العرب السياسية والاجتماعية .

هذا وهناك جملة مصادر تاريخية تؤكد أن النصرانية لم تتسرب إلى العراق إلاَّ في أواخر القرن السادس ، وقيل إنها وصلت إلى العراق في عهد المنذر الثالث من ملوك بني لخم الحميريين الذي كان من معاصري الحارث بن جبلة الغساني ملك الشام ، وهناك من يقول : إن النصرانية دخلت العراق في الثلث الأخير من القرن السادس ، أي في عصر الملك النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس .

ومن الذين اعتنقوا النصرانية ، وكان لهم تأثيرهم في المجتمع العربي قبائل عديدة من الأزد نصبت خيامها على ماء في تهامة تسمَّى «غسَّان» ، ولمَّا ضاقت بها الأرض ، وساءت أحوالها هاجرت ونزلت في مشارق الشام ، فنصبت خيامها على مناهل المياه في بلاد الشام ، ومن ذلك اليوم دعوها الناس باسم غسَّان .

ومن الواضح . . . أنها حققت آمالها وأمنها وسلامها في هذه البقاع

الجميلة ، فأخذت تتوسع وترتاد أماكن أخرى ، فاصطدمت بالضجاعمة ، وهم عرب من سليح كانوا حلفاء لقياصرة الروم وجنودهم في قتالهم مع الفرس ، فخيمت الحرب بينهم وبين غسَّان ، ولكن غسَّان انتصرت أخيراً في حرب دامت أكثر من عشرة أعوام ، ممَّا سبَّب تشريد فلول الضجاعمة ، وهكذا حلَّ الغساسنة مكانهم ، وأقاموا نواة دولة عامرة في البلقاء وحوران وفلسطين ، وهذه الدولة ظلَّت بعيدة عن تدخل الرومان فترة طويلة ، ولكن أخيراً مدَّ الرومان أيديهم إليها ، وتمكنوا من السيطرة عليها وجرّها إلى الحرب ضد الفرس .

«الفرس ـ الوثنية»

عرَّف التاريخ القديم الفرس : بأنهم من العرق الآري ، وقال عنهم : إنهم كانوا أصحاب دولة كبرى لعبت دوراً مهماً في التاريخ ، ومن أشهر ملوكهم داريوس والساسانيين والأكاسرة . ولكن هذه الدولة ضاع استقلالها وكيانها إبَّان الفتوحات الإسلامية ، عندما وقع الكثير من ملوكهم ورجالهم أسرى في أيدي العرب ، كما دخل الكثير منهم في الإسلام ، وصبغوه بالصبغة الفارسية التي لم تجردهم من الدين القديم وتقاليده ، فدللوا على أنهم تفهموا الإسلام بالقدر الذي سمح به دينهم القديم الذي اعتنقوه هم وأجدادهم أجيالاً طوال .

كان للفرس دين وحضارة ، وكانوا ميَّالون إلى عبادة مظاهر الطبيعة ـ السماء والضوء والنار والهواء والماء ، فكل هذه القوى اعتبروها كائنات إلهية . فالشمس عندهم «عين الله» والضوء «ابن الله» كما أن الظلمة والجدب عندهم هي كائنات إلهية شريرة ملعونة .

لغتهم هي اللغة الفهلوية ، ومن أنبيائهم «زرادشت» الذي دعا إلى تعاليم جديدة أسست على أنقاض ديانة قديمة كانت سائدة ، وله كتاب «أفيستا» ، ويقول بإلاهين ـ الخير والشر ، وهذه التعاليم ظلَّت قائمة حتى

وقت فتوح الإسكندر ، وبعدها انتشرت ديانات أخرى عديدة منها المانوية والمزدكية وغيرها .

ومهما يكن من أمر . . . فإن أول ديانة ظهرت في الفرس هي : الصابئة على يد رجل اسمه «بوداسف» وهي تنقسم إلى فرق أربع :

الأولى ـ هم أصحاب الروحانيات ، ويزعمون أن أصل وجود العالم يتفرس عن سمات الحدث وهو أجل وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية له ، ويقولون عن المتوسطات إنها للتقرب إلى الله تعالى ، وأن الكواكب الفلكية هي هياكل هذه الروحانيات .

الثانية ـ هم أصحاب الهياكل ، ويقولون إذا كان لا بد للإنسان من متوسط ، فلا بد أن يكون ذلك المتوسط ممَّا تشاهده وتراه حتى تتقرب إليه .

الثالثة ـ هم الذين يزعمون أنه لا بد من متوسط مرئي ، والكواكب وإن كانت مرئية إلاَّ أنها قد ترى في وقت دون وقت ، فدعت الحاجة إلى وجود أشخاص مشاهدة نصب العين يكونوا وسيلة إلى الهياكل ووسيلة إلى الروحانيات التي هي وسيلة إلى الله تعالى ، لذلك اتخذوا الأصنام المصورة على صور الهياكل السبعة .

الرابعة ـ هم الذين يزعمون أن الإله المعبود واحد في ذاته ، وأنه أبدع أجرام الأفلاك ، وما فيها من كواكب ، وجعل الكواكب مدبرات في العالم السفلي . فالكواكب آباء أحياء ناطقة والعناصر أمهات والله يظهر في الكواكب السبعة ، ويتشخص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته . . . وهناك صابئة البطائح التي عاشت على ضفاف الأنهر الكبيرة جنوبي العراق وهم يسكنون في بغداد والبصرة والعمارية والناصرية والأهواز وهم الصابئة الأصليين . . . وهناك صابئة الحرَّانية ولا علاقة لها بالأولى لأنها انتحلت اسم الصابئة وقد ورد ذكرها بالقرآن الكريم وهم الذين استتروا بالإسلام .

وظهر بعدها الزرادشتية ، ويتفرع منها :

الكينونية ، الصيامية ، المجوسية . ومن المجوسية يتفرع : الثنوية ، الكيومرثية ، المرقونية ، الديصانية ، السيسانية ، البهافريدية ، الزروانية ، المسخية ، التناسخية ، المانوية ، والخرمية .

لقد تنازع الناس في الفرس وأنسابهم فمنهم من قال : إنهم من فارس ابن ناسور بن سام بن نوح ، ومنهم من زعم أنهم من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل ، ومنهم من ذكر أنهم من ولد أرم ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وأنه ولد له بضعة عشر رجلاً كلهم كان فارساً شجاعاً فسموا الفرس أي من الفروسية . وزعم قوم أن الفرس من ولد لوط من ابنتيه «زُهى ورعوى» ، ومنهم من رأى أنهم من ولد بوّان ابن إيران بن الأسود بن سام بن نوح ، ومنهم من رأى أنهم من ولد إيران ابن أفريدون ، وهناك أقوال أخرى يطول شرحها .

كان أسلاف الفرس يحجون إلى البيت الحرام ، ويطوفون حوله تعظيماً له ولجدهم إبراهيم الخليل ، وآخر من حجَّ إليه منهم هو «ساسان بن بابك» وهو جد أزدشير بن بابك ، وهو أول ملوك الساسانيين وهم الفرس الثانية ، وملوك الطوائف بعد الإسكندر . وينقسم الفرس إلى أربع طبقات :

١ ـ من كيومرث إلى كرسالب .
٢ ـ من كيان بن كيقباد إلى الإسكندر وآخرهم داريوس .
٣ ـ الأشكانية ـ ملوك الطوائف .
٤ ـ ملوك الاجتماع وهم الساسانية وأولهم أزدشير بن بابك .

إن أول ملك من الفرس بعد الطوفان هو كيومرث بن سام بن نوح ، وكان ينزل فارس ، وما زال الملك في أيدي أبنائه حتى عهد داريوس المعاصر للإسكندر ، ثم ملكت الأشكانية وأولهم أشك بن أشك وهو أول

من تسمَّى بالشاهية ، وقد دام حكمهم حتى ظهور الساسانية وأولهم أزدشير بن بابك بن ساسان من بني كشتاسب ، وقد ظلَّ الحكم في أسرته حتى ظهور يزدجرد بن شهريار بن قباذ بن فيروز بن هرمز بن كسرى أنو شروان المعروف بالعادل ، وهو آخر ملوك الفرس ، إذ بعده طرأ على الفرس ما طرأ ، وبعد أن فتح المسلمون بلاد فارس أصبح الفرس أمة تابعة للإسلام ، ولكنهم لم ينسوا تاريخهم وما كتبوه في تاريخ الأدب والحضارة .

«اليهودية ـ ملوك اليمن»

هناك إجماع تاريخي على أن أصل تسميتهم جاءت من هادوا أي مالوا عن دين موسى وهم الذين تهودوا ، وذكر أن اسم اليهود جاء من الهوادة أي المودة ، أو التهود وهي التوبة ، وقيل لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب ، وقيل لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ، وقيل هم حملة التوراة ، وهناك أقوال أخرى كثيرة ، وعلى العموم فهم أتباع النبي موسى ، ومن أبناء إسحق بن إبراهيم الذين نزحوا إلى مصر مع يعقوب ابن إسحق حيث سكنوها ، وتكاثروا فيها ، وهم جميعاً من نسل الأسباط الإثني عشر ، وقد أبوا أن يندمجوا في الشعب المصري ، وعزلوا أنفسهم عنه وتواجدوا فيما بينهم ليكون لكل سبط نسله المعروف ، والمميز عن بقية الأسباط ، وذلك لضمان الإحتفاظ بنسبهم إعتزازاً به ، وتعالياً على غيرهم ، باعتبار أنهم من ذرية الأنبياء ، وعندما انتشرت اليهودية في جزيرة العرب قبل الإسلام بعدة قرون ، وكونت فيها المستعمرات اليهودية ، فكان لا بد من معرفة أصل اليهود الذين وفدوا عليها وأقاموا على أرضها . أما عن العرب الذين تهودوا ، فيقول ياقوت الحموي :

إن يهود يثرب عرب تهودوا . ويقول الأصفهاني : إنه لمّا ظهرت الروم على بني إسرائيل في الشام ، خرج بنو النضير ومن معهم وبنو قريظة

وبنو بهدل هاربين إلى الحجاز ، فنزل بنو النضير ومن معهم على بطمان ، ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور ، فكانوا ممن سكن المدينة حتى نزلها الأوس والخزرج ، وكان يسكن يثرب جماعة من أبناء اليهود أصحاب العز والثراء ، وهم يظهرون على سائر اليهود ، وكان يقال لبني النضير وبني قريظة من اليهود «الكاهنان» نسبة إلى جدهم الذي كان يقال له الكاهن ، وقد عمل اليهود على نشر ديانتهم في جنوب شبه الجزيرة العربية ، فنشروا تعاليم التوراة وتهوَّد الكثير من قبائل اليمن على أيديهم ، وأشهر من تهوَّد من العرب «ذو نواس» الذي اضطهد نصارى نجران . هذا ومن الجدير بالذكر أن اليهود تحولوا إلى محاربة الإسلام إبَّان ظهور الرسول الكريم ، ولكن الدين الجديد تمكَّن من إخراجهم على مراحل من الجزيرة العربية ، ويعتبر إبراهيم الخليل الأب الأول لليهودية ، وقد نشأ قبل الميلاد بنحو ألفين عام في مدينة «أور» التي كان أهلها يعبدون النجوم والكواكب ، ومنهم إسحق وإسماعيل ويعقوب بن إسحق الذي سمي إسرائيل ، ومنه جاءت تسمية اليهود هنا ، وجاء موسى فأصبح نبياً يعاونه أخوه هرون ، فتوجها إلى مصر وهناك لم تلاقِ دعوته استجابة فخرج منها ، وبعد موسى تسلَّم يوشع الأمر فجاء إلىَ الأرض المقدسة ، وقتل ملوكها ، وقسَّم الأرض بين أسباط بني إسرائيل .

أمَّا الديانة اليهودية فهي مجموعة من العقائد والطقوس ، وفيها قواعد السلوك والحياة ، وتشتمل على فسلفة أخلاقية توصف بأسلوب يحدد ، كيف ينبغي أن يعيش الإنسان في دنيا هي هبة الله تعالى للبشرية . ومن تعاليم رسالتهم الدينية ، طاعة الله ، والإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد والإيمان بالله وبالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، وما يتصل بذلك من الحساب والثواب ، والإيمان أيضاً بالبعث ، وباليوم الآخر . وكل هذا ذكره القرآن الكريم ، ولكن بني إسرائيل ثاروا في وجه أنبيائهم ، ورفضوا الإستجابة إليهم .

ذكر أن عدد فرق اليهود كما يلي :

العيسوية ، المقاربة ، الموشكانية ، السامرية ، الصفاتية ، الفريسيون ، الصدوقيون ، القراءون ، الكتبة ، المتعصبون ، المارانوس ، الدونمة ، الإصلاحيون . ولكن أكثر هذه الفرق قد باد واندمج أخيراً بالفرقة الأكثر عدداً وهي إسرائيل .

هذا . . . ومن الواضح أن اليهودية دخلت جزيرة العرب في القرن الثالث للميلاد في عصر الملك تبع المعروف بأبي كرب الذي انتصر على الفرس في كثير من الملاحم ، ثم ما عتم هذا الملك إلاَّ أن اجتاح الحجاز وحاصر مدينة يثرب ، وزار الكعبة ، وحمل اليهودية إلى اليمن ، وفي أيامه تفرَّق اليهود في أنحاء الحجاز ، فنزلت الأوس والخزرج على مهزور ، وانتشر بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زغورا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو عوف في يثرب ، وكان فيهم الشرف والسراء على سائر اليهود . وأفضى دخول اليهودية في الجزيرة العربية إلى إثارة ملوك النصرانية ، فأرسل قسطنطين قيصر سنة ٣٤٣م الأسقف تيوفيل لنشر النصرانية في القبائل العربية التي كانت الوثنية هي الغالبة عليهم ، ولم يكتف قياصرة الرومان بل حرضوا الغساسنة على محاربة اليهود ، وكان جبلة الثاني أول من دعا إلى سفك دمائهم وتشريدهم ، ثم أنه زحف إلى المدينة وفتك باليهود وبأشرافهم ورجالهم ، ولم ينجُ إلاَّ من تمكَّن من الفرار ، وفي أواخر القرن الخامس اعتلى عرش الحميريين ذو نواس فاعتنق اليهودية ، وأراد أخذ الثأر من جبلة الغساني فراح يغزو نصارى نجران ، وقد ظفر بهم وحرقهم بالنار وهدم بيعهم وكنائسهم ، ثم إن الخبر وصل إلى القسطنطينية مِمَّا فعله ذو نواس ، فكتب القيصر إلى ملك الحبشة بأن يسارع إلى الأخذ بالثأر ، فجاء على جيش كبير ، وهدم الحصون ، ولم يترك لهم شيئاً .

«العرب والأديان الثلاثة»

كانت الجزيرة العربية في عهود الجاهلية تتنازعها وتتسابق إلى السيطرة عليها واستعمار شعبها ، من الوجهة الدينية والسياسية والاجتماعية أديان ثلاثة ، وكل دين منهم يرتكز على دولة تدعمه وتشد إزره ، فكانت النصرانية المدعومة من الدولة الرومانية ، وقد تمكنت أن تجد لها في اليمن قواعد مهمة وفي بلاد الشام أيضاً ممثلة بالضجاعمة والغساسنة ، وكانت اليهودية وهي أهم من كل ما ذكرناه قد حصلت على قواعد مهمة في اليمن ، ودعمها ملوك التبابعة اليمنيين ممَّا جعل نشاطها ينتقل إلى يثرب والمناطق المجاورة لها ، وكانت الفرس وهي التي كانت تدعم الديانة الوثنية لها قواعد في البلاد العربية ، وخاصة في بلاد الحجاز .

لقد كان هذا الزحام على أشده بين هذه القوى ، وكانت الحروب تتولد في مكان ثم تنطفىء لتعود من جديد ، وكلها تهدف إلى السيطرة على الجزيرة العربية والشعوب التي تقطنها .

وفي الجزيرة العربية كانت الزعامة معقودة اللواء لقريش ، لأنها أرقى العرب على الإطلاق وأقربهم إلى فهم عقلية سكان المدن المتحضرة في العراق والشام ، وكانت تمتاز على القبائل الأخرى بخصب العبقرية والذكاء في السياسة والحكم والإدارة ، ولكن مع كل هذا كانوا فريقين : فريق القرشيين حلفاء الفرس «الوثنيين» وهؤلاء يخضعون إلى زعامة أبو لهب ابن عبد المطلب ، وعمرو بن هشام ، وفريق ثاني من القرشيين الذين آمنوا بالإسلام ، وهؤلاء كانوا يؤيدون النصارى ، والبيزنطيين الرومان ، وفي بعض الأحيان كانوا يراهنون على النصر ، فالقرشيون «الوثنيين» يغتبطون عندما تحقق جيوش الفرس الإنتصارات ، بينما القرشيون المسلمون يراهنون على انتصار الرومان . ومرة حمي وطيس المعركة بين الفريقين ، فقالت قريش بانتصار الفرس ، وقال المسلمون من قريش بانتصار الروم ، وغالى بعض القرشيين في العطف على الفرس ، فقالوا للمسلمين :

«أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارس نعبد أرباباً لا تعبدونها».

هكذا كان واقع العرب في جزيرتهم، وهذا هو حالهم مع بعضهم، وهذا واقعهم بالنسبة للأحداث والقوى التي تتنازع على السيطرة عليهم.

«جزيرة العرب ـ وموقعها ـ»

لم تكن جزيرة العرب الموطن الوحيد للعرب في الجاهلية، بل كانت لهم مواطن فيما حولها، فهي إقليم في الجنوب الغربي من آسيا. يحدها من الشمال بادية الشام، ومن الشرق الخليج الفارسي، وبحر عمان، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر، وهي أعلى ما تكون غرباً، ثم تنحدر نحو الشرق إلاّ عند عُمان، وليس فيها أنهار دائمة الجريان، ولكنها أودية يجري فيها الماء حيناً، ويجف حيناً حسب الأمطار.

تعتبر الصحراء أكبر جزء فيها. وهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

«الأول» ـ الصحراء المسماة بادية السماوة، وهي صحراء ذات رمال دعساء، وليس فيها إلاّ القليل من العيون والآبار، وأغلب سكانها بدو يرحلون ويعيشون على المراعي والمواشي.

«الثاني» ـ صحراء الجنوب وتتصل ببادية السماوة وهي تمتد شرقاً حتى تصل إلى الخليج الفارسي، وقد قدرت مساحتها بخمسين ألف ميل مربع.

«الثالث» ـ الحرات والحرة ـ وهي أرض ذات حجارة سود نخرة وتمتد من شرقي حوران حتى المدينة.

وهناك غربي الجزيرة العربية، وتتألف من جزءين: الحجاز شمالاً، واليمن جنوباً، فالحجاز يمتد من العقبة إلى اليمن، وسمي حجازاً لأنه سلسلة جبال تفصل تهامة وهي الأرض المنخفضة على طول شاطىء البحر الأحمر عن نجد والمرتفعة شرقاً. وفي جنوبي الحجاز بلاد اليمن وهي تشمل الزاوية الغربية الجنوبية من الجزيرة، وقد عرفت قديماً بالغنى

والخصب ، وفي شرقي اليمن حضرموت وهو كثير الجبال والوديان ، وفي شرقي حضرموت ظفار ، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة عمان . أمَّا الجزء المرتفع الذي يمتد من جبال الحجاز ، ويسير شرقاً إلى صحراء البحرين فيسمًّى نجد ، وهو مرتفع فسيح فيه صحارى وجبال ، وبين نجد واليمن اليمامة ، وهي تتصل بالبحرين شرقاً ، والحجاز غرباً . أمَّا مناخ جزيرة العرب فعلى العموم شديد الحرارة ، ويعتدل في الليل في الأراضي المرتفعة ، وأحسن هواءها الرياح الشرقية وتسمَّى الصبا ، وأسوأها ريح السموم ، وأحسن فصولها الربيع .

«الأنساب العربية»

يقول النَّسابون :

إن عرب الشمال هم من نسل إسماعيل بن إبراهيم ، وعرب الجنوب من نسل قحطان ، لهذا فإن أهل الجنوب هم اليمنيون القحطانيون ، وأهل الشمال هم العدنانيون أو النزاريون .

وفي ظروف تاريخية اشتد التنافس بين الفريقين ، وكل فريق راح يدّعي أنه أشرف نسباً ، وكان اليمنيون أحق بالفخر لأنهم أصحاب حضارة وملك راسخ ، ولكن عندما جاء الرسول الكريم محمد رجحت كفة العدنانيين ، وانتقل التفاخر إليهم .

ويزيد النَّسابون على قولهم :

إن القحطانيين آباء اليمنيين جميعاً ، وإن منهم لكهلان وحمير . فمن كهلان تشعب : طي وهمدان ومزحج وعاملة وجذام والأزد . ومن حمير : قضاعة وتنوخ وكلب وجهينة وعذرة والجبابرة والتبابعة أيضاً .

أما العدنانيون فينقسمون إلى ربيعة ومضر . فمن ربيعة : أسد ووائل ومن مضر : قيس وعيلان وتميم وهديل وكنانة .

وقسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام :

بائدة ـ وهم عاد وثمود وطسم وجديس .

عاربة ـ وهم اليمنيون المنتمون إلى يعرب بن قحطان .

مستعربة ـ وهم الحجازيون المنتمون إلى إسماعيل بن إبراهيم .

ولهذا قسِّم العرب إلى شعبين عظيمين : شعب قحطان ، وشعب عدنان ، أو عرب الشمال ، وعرب الجنوب .

«أصل قريش»

كانت قريش تدعى «النضر بن كنانة» ، وكانوا متفرقين في بني كنانة فجمعهم قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك من كل أوب إلى البيت فسمُّوا قريشاً ، والتقريش هو التجميع .

لقريش عشرة رهط من عشرة أبطن وهم : هاشم ، أمية ، نوفل ، عبد الدار ، أسد ، تيم ، مخزوم ، عدي ، جمح ، وسهم .

فكان من بني هاشم : العباس بن عبد المطلب وبيده السقاية والعمارة وحلوان النفر . ومن بني أمية : أبو سفيان بن حرب ، وله راية العقاب ، ومن بني نوفل : الحرث بن عامر ، وله الرفادة ، ومن بني عبد الدار : عثمان بن طلحة وله اللواء والسدانة مع الحجابة والندوة . ومن بني أسد : يزيد بن زمعة بن الأسود وله المشورة ، ومن بني تيم ، أبو بكر الصديق وله الديات والمغرم ، ومن بني مخزوم : خالد بن الوليد وله القبة والأعنة ، ومن بني عدي عمر بن الخطاب وله السفارة ، ومن بني جمح : صفوان ابن أمية وله الأيسار وهي الأزلام . ومن بني سهم : الحرث بن قيس ، وله الحكومة والمحجرة التي سموها لآلهتهم .

من بني هاشم بن عبد المناف : عبد المطلب بن هاشم ، ومنهم عبد الله أبو الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، وأبو طالب ، والزبير : أمهم فاطمة بنت عمرو المخزومية ، والعباس وضرار أمهما نتيلة النمرية ، وحمزة والمقوم أمهما هالة بنت وهب ، وأبو لهب أمه لبنى الخزاعية ، والحارث أمه صفية من بني عامر بن صعصعة ، والغيداق أمه خزاعية .

من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : أمية الأكبر ، حرب بن أمية ، أبو حرب ، سفيان ، أبو سفيان ، عمرو ، أبو عمرو ، ويقال لهم العنابس ، والعاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وهؤلاء يقال لهم الأعياص ومنهم معاوية بن أبي سفيان ، وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، ومنهم سعيد بن العاص بن أمية ، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية .

من بني نوفل : الحارث بن عامر ، ومعطم بن نوفل ، ومنهم عدي بن الخيار بن نوفل ، ومنهم شافع بن ظرب بن عمرو بن نوفل ، ومسلم بن قرطة .

من بني عبد الدار : عثمان بن طلحة ، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، والحرث بن علقمة بن كلدة ، والنضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد المناف بن عبد الدار .

من بني أسد بن عبد العزّى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، ويزيد بن زمعة بن الأسود ، والعاص بن هاشم بن الحرث بن أسد ، وورقة بن نوفل بن أسد .

من بني تيم بن مرة : أبو بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله ، وعمرو ابن عبد الله بن معمر ، وعبد الله بن جدعان ، وعلي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة ، والمهاجر بن فهد بن عمر بن جدعان ، ومحمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير .

من بني مخزوم بن مرة : المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، خالد ابن الوليد بن المغيرة ، عبد الرحمن بن الحرث ، عمرو بن الحريث ، وأبو جهل بن هاشم بن المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة ، وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وعبد الله بن المهاجر ، وعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وإسماعيل ابن هشام بن المغيرة ، ومنهم : سعيد بن المسيب بن أبي وهب .

من بني عدي بن كعب : عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد بن عمرو

ابن نفيل ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وسواقة بن المعتمر ، والنحام بن عبد الله بن أسيد ، والنعمان بن عدي بن النصلة ، وعبد الله بن مطيع ، وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن حذافة .

من بني جمح : صفوان بن أمية ، وأمية بن خلف ، وأبي بن خلف ، ومحمد بن حاطب ، وجميل بن معمر بن حذافة ، وعمرو بن عبد الله .

من بني سهم : الحرث بن قيس ، وعمرو بن العاص ، وقيس بن عدي ، وخنيس بن حذافة ، والعاص بن منبه .

من بني عامر بن لؤي : سهيل بن عمرو ، ومحمد بن عبد الرحمن ، وحويطب بن عبد العزّى ، وعبد الله بن مخرمة ، ونوفل بن مساحق ، وأبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، وعبد الله بن أبي سرح .

من بني محارب بن فهر بن مالك : الضحاك بن قيس الفهري ، وحبيب بن مسلمة .

من بني الحارث بن فهر بن مالك : أبو عبيدة بن الجراح ، وسهيل وصفوان أبناء وهب ، وعياض بن عنم بن زهير وأبو جهم بن خالد .

ومن بطون قريش : بنو زهرة بن **كلاب بن كعب بن لؤي** ، ومنهم وهب بن عبد المناف بن زهرة ، والد آمنة أم الرسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ومنهم : عبد الرحمن بن عوف خال الرسول ، ومنهم : بنو حبيب ابن عبد شمس ، ومنهم : عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، ومنهم : بنو أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومنهم بنو عبد العزّى بن عبد شمس ، ومنهم : أبو العاص بن الربيع ، ومنهم : بنو المطلب بن عبد المناف ، ومحمد بن إدريس الشافعي .

«ما قبل الإسلام ـ عرب الجاهلية»

عاش العرب قبل ظهور رسالة الإسلام في جاهلية مظلمة سوداء، عاشوا في جهل عميق، وانحراف ظاهر وبعيد عن قواعد الخير والفضيلة والإنسانية، عاشوا بعيدين عن الطاقة الروحية السامية، والقيم الأخلاقية، والمثل الرفيعة. وكان الظلام الحالك يبسط رواقه على ذلك المجتمع القديم بعباداته، البعيد بأفكاره، ويسد عليه المنافذ التي تقود إلى عالم النور، والتي يمكن النفاذ منها نحو حياة أفضل. أمَّا العقبات الكائنة، والجسور القائمة فلا بد للسائر على السبيل من هدمها قبل الوصول إلى الحقيقة المثلى، هذا ومن الواضح أن تلك الأمة البدائية في حياتها، كانت في غاية الاضطرار للاستسلام مرغمة إلى الواقع الحتمي المفروض الذي لا مفر منه، ولمد أيديها للقيد الثقيل ذليلة مهانة، ولتقريب عنقها للقطع راضخة مستسلمة، أمام الأحكام التي يفرضها عليها ذلك العصر وتلك البيئة. وأخيراً:

وهي على حالتها تلك كان لا بد للمرشدين والمصلحين فيها من التطلع من خلال الظلام نحو عالم الغيب يستلهمونه الخير والسداد والفرج وإرسال القبس المنتظر الذي ينير حياتهم ويرفعهم إلى القمة حيث العزّة والكرامة والسؤدد.

وكان المجتمع الجاهلي حينما انبثق فجر الإسلام على العالم مطوقاً من كافة الجهات بجيوش الجهل والظلام، هذا ويبدو واضحاً أنه في تلك الفترة الطويلة قد أضاع قيمه وفقد روحيته وضلَّ سبيله السوي، فليس هناك ما يصحّ أن يسمَّى بحق كياناً خلقياً أو سبيلاً للسمو بالفرد والجماعة إلى هدف يطهره من الإثم والجريمة ونوازع الشر، وإقامة الروابط الإجتماعية على أسس أخلاقية متينة، وبعيدة عن المنفعة والأنانية.

أجل... كانت الحياة القبلية، أو بلغة أصح الحياة العنصرية التي تتفرع

منها الإقليمية والعشائرية والعائلية هي التي تسيطر على ذلك المجتمع البدائي سيطرة تفرض عليه الخضوع لفوضى اجتماعية لا حدود لها ، ولإنحراف غريب بواقعه وحقيقته ، مضافاً إلى كل ذلك أن أنظمة الإقطاع والعشائرية والسيادة ، كانت تخيم بجيوشها على ذلك المجتمع المضطرب ، فتحوّل هدوءه إلى اضطراب ، وازدهاره إلى انحطاط ، وسموه إلى هبوط . وإذا عرفنا أن الأصنام هي التي كانت تصول وتجول في المعابد والصوامع والساحات العامة يحرقون لها البخور ، ويذبحون أمامها القرابين ، ويئدون لها البنات ، أدركنا إلى أي مدى بلغت معارف هذه الأمة وتفكيرها . وانهزمت التعاليم المسيحية التي تسربت بهدوء إلى تلك الأوساط ، وهي التعاليم التي جاء بها عيسى ابن مريم لإصلاح النفوس الغارقة في الظلام . . . انهزمت أمام تيَّار جارف من المقاومة والتطرف والإندفاع . فتلك التعاليم لم تجد قبولاً في النفوس المتحجرة التي طبعتها شمس الصحراء المحرقة بنارها اللاهبة ، ولا في القلوب البدائية القاسية التي استسلمت راضية مختارة لعبادة الأوثان . وكيف تغرس الأفكار الإصلاحية في عقول مجتمع لا يؤمن إلاَّ بمبدأ القوة والسيطرة والظلم والمادة؟ بل كيف يجد التربة الخصبة في بيئة متأخرة حتمت عليها طبيعتها الإستسلام إلى جيوش الفوضى والكفر والإنحراف عن الواقع والعدل والقانون .

لقد كانت جاهلية رعناء بكل ما في هذه الكلمة من معنى . . . جاهلية نمت في ظل الإستبداد وترعرعت في أفياء العشائرية المنحرفة والقبلية الغليظة . . . جاهلية انطبعت بطابع القوة والظلم والجور ، واندمجت بمبدأ الطغيان والفساد ، فلم يكن في قواعد ذلك المجتمع أي أثر لفن أو أدب أو إشعاع أو مدنية ، أو بلغة أصح لم يكن هناك أية تباشير توحي بقبول تعاليم جديدة توزع على المجتمع لتنير ظلامه الدامس وتروي أرضه القاحلة العطشى ، ولا بد من القول : بأنه كان للعرب إلى جانب ذلك مزايا وصفات تسربت في دمائهم من الأجداد ، وفيها الكرم والمحافظة

على الجار والدخيل والمظلوم ، وغير ذلك من المزايا العظيمة .

وتشاء الأقدار بعد انتظار طويل ومخاض عسير أن تخص الجزيرة العربية بالعهد الفتي والغيث الروي ، فيظهر قبس الإسلام من خلال الظلام حاملاً نفحات الأمل والرجاء والإستبشار ، وبظهوره بدأت تلوح في الأفق تباشير الحياة والإستقرار والإطمئنان ، وبين عشية وضحاها انقلب المجتمع الغارق في الجهالة والظلام إلى مجتمع يسير بخطى ثابتة نحو النور والحرية والكمال ، وامحت التعاليم الوثنية من الأفكار بسرعة ، وزال كل أثر من آثار الجاهلية المتطرفة ، ولم يجر هذا الإنقلاب بسرعة ، بل على العكس سبقته حروب دامية متواصلة ، وكفاح مرير في سبيل هدف أسمى ، وتعاليم تدعو إلى الخير والأخلاق والفضيلة وعبادة إله قدير عادل رحيم .

لقد كان نظام الإسلام وتعاليم الرسالة الجديدة يجدان في المجتمع الأفضل طريقاً معبداً سهلاً ، وكل ذلك نتيجة حتمية لطفوح كيل الظلم والجهل والإستبداد ، لأن النور لا يبزغ إلاَّ حين اشتداد الظلام ، والفرج لا يأتي إلاَّ من خلال الضيق الشديد ، وقد جرى كل هذا كما دونته الوقائع وكتب التاريخ ، ولكن هل استطاعت رسالة الإسلام أن تمحو بسرعة من النفوس آثار الوثنية الكامنة وتعاليمها وعباداتها ونظمها؟ في اعتقادي . . . إن ذلك المجتمع الذي اعتنق رسالة الإسلام ، ورضخ لحكمها وقوانينها ظلَّ في نفوس أبنائه كل شوق وحنين إلى الأوثان التي ورثوا عبادتها عن أجدادهم الأقدمين ، وتطلعاً إلى عهد منحهم الحريات ، وأطلقهم سن كافة الموجبات التي تلزمهم بعبادة إله قدير .

في الواقع . . . لم يستطع الإسلام أن يسد الفراغ الذي أحدثه إختفاء تلك التعاليم من المجال ، ولا تمكّن من أن يؤلف بين المادة والروح في الكيان الإنساني . فالمادة كمنت في الأعماق تنتظر الفرصة المؤاتية

للإنقضاض على الروحية المستيقظة حينما تجد سبيلاً إلى ذلك ، ولهذا كان على حاملي رسالة الإسلام أن يواجهوا هذا الواقع المؤلم مواجهة فعَّالة ، وأن يقفوا أمام الجيوش المندفعة اندفاع السيل العرم .

ومهما يكن من أمر . . . فالرواسب النفسية التي خلفتها العقائد الوثنية الفاسدة لم تكف عن عملها في تسميم المجتمع ، وبث عناصر الفوضى في كيانه ، وكل هذا كان يظهر واقعياً وعملياً . والحقيقة : فإن التغلب على النهضات لم يكن يتم بسهولة ، بل كان على القوى المحاربة أن تواجه صعوبات موضوعة قصداً لشل تلك المقومات عن عملها في الزمن القصير ، وكانت قد ترسبت في الأعماق تعمل عملها في وجدان الإنسان دون أن يعي منها شيئاً ، وهذا ما يجعلنا نقول :

إن الثروة الطارئة والإنتفاضة المفاجئة لا تلبث أن تتغير أو تخف حدتها أمام الرواسب النفسية التي هي من مخلفات الأديان الموروثة ، والعقائد القديمة . فكل مبدأ يبرز جديداً في مجتمع ما يبقى مهدداً بالزوال إذا ما ظلَّ خاضعاً للنظر العقلي ، لأن العقل منذ أن وجد كان ولمَّا يزل يخضع للمؤثرات الباطنية وعدم الإستقرار على حال من الأحوال ، ولهذا فإن الإنتفاضات الإجتماعية التي تنجم في أعقاب كل ثورة شاملة مفاجئة لقلب الأوضاع ، وتغيير الأنظمة والسنن التي كبر عليها الكبير ، وشبَّ عليها الصغير ، هي من الدوافع الحتمية لكل مبادىء جديدة تظهر ، وليس في تعاليمها أي أثر يجعلها تبلغ في النفوس مرتبة الخلق الثابت المستقر أو إدراك الدرجة التي تتحول فيها إلى طاقة شعورية تثير في النفوس المقومات ، والدوافع ، وتطبعها بطابعها المصقول .

ممَّا لا مجال للريبة فيه أن محمداً النبي العظيم صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم جاء برسالة تدعو إلى إصلاح مجتمع طغى عليه الفساد . جاء يبشر وينذر الأصدقاء والأعداء حاملاً بيديه القبس الجديد ، داعياً إلى الإنضواء تحته والإستظلال بظلّه ، ومحمد هذا النبي الملهم العظيم الذي حمل أمانة

الإصلاح ينحدر كما هو معروف من بيت عريق في القدم والسيادة يتصل بإسماعيل بن إبراهيم الخليل جد العرب ، إذن فعلى العرب بحكم وجودهم في تلك الرقعة من الأرض العربية أن يسيروا وراء القائد الحكيم ، والرسول الكريم والمصلح العظيم دون معارضة ، فلا بد أن يصيبهم من رسالته واجتهاداته ما يسري عن نفوسهم ، ويعيد إليهم الطمأنينة ، وكان عليهم أن يسلموا إليه أمورهم طوعاً واختياراً ، فهذا البيت الذي ولد فيه اشتهر أفراده بالصدق والإخلاص والتفاني في سبيل الواجب ، وعرفوا منذ القديم بالأمانة والوفاء ، ويأنهم القائمون بخدمة الأمكنة المقدسة ورعايتها ، والحفاظ عليها بأمانة وإخلاص ، هذا فضلاً عن سيادتهم التي يعترف بها العرب ، ولكن النفوس التي تعودت الإبتعاد عن الحق والصواب . . . النفوس التي رأت باستسلامها كل معاني الذل والخنوع فهي لم تتغير منذ فجر التاريخ .

إن هذه النفوس رأت بثاقب نظرها ، وبحكم تجاربها ،أن ظهور هذا القبس النبوي في بيت هاشم سيعطيه زعامة العرب أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، ويجعل القيادة فيه متوارثة ومستأثرة ، وهذا ما تأنف منه نفوس بيوت عربية أخرى تنافسه في الزعامة ، ولا تقل عنه مكانة وعراقة ، وبعضها تأصل في أعماقها حب محاربة النزعات المتوارثة والأمجاد القديمة . إذن نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون :

إن استسلام كبار العرب لرسالة النبي محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بهذه السرعة كان إمَّا رهبة من قوة سلّطت حرابها على الرقاب ، وإمَّا تقرباً منها في سبيل غاية أو مأرب ، وإمَّا تحفظاً وسكوتاً على مضض أمام الحقيقة ، وكل هذا يدل دلالة واضحة على أن الإعتقاد بالرسالة ، والإيمان بالفكرة لم يكونا وحدهما السبب الرئيسي الذي لأجله ظهر ذلك الإجتماع من الآراء على الإقرار بالأمر الواقع ، والإنضواء تحت لواء الدعوة الجديدة .

وهناك أمر جدير بالإنتباه ، وهو الغيرة التي تولدت في النفوس ، والنقمة التي كمنت في الأعماق ، كانت تنتظر الوقت الملائم . هذه النقمة التي كانت وليدة الأسف على زعامات حطّمها الدين الجديد ، وعلى مجد أنزلته رسالة الإسلام من قمته ، وعلى قتلى وضحايا ذهبت دماؤها هدراً ، ويجب أن لا نغفل عن ذكر النقمة الشعبية العامة على طبقة الأثرياء ، وأصحاب الأموال والرساميل والملاكين والمحتكرين وسدنة الكعبة وأصحاب السلطة ، وطبقة الأرستوقراطيين .

إن تلك النقمة كانت كامنة في صدور اليائسين ، والساخطين ، والمتذمرين ، والمحرومين من عامة الشعب تنتظر الوقت الملائم للوثوب والإنقضاض ، هذا كله بالإضافة إلى أنه كان بين أقرباء الرسول من كانت ثروته تعد بعشرات الألوف من الدنانير كعمّ الرسول أبو لهب ، وعمّه الثاني العبّاس صاحب الثروة الكبيرة المجموعة من الربا الفاحش ، وأبو سفيان صاحب المجد والجاه العريضين وغيرهم .

إن جميع ما ذكرناه كانت تتحدث به العرب همساً في الخلوات والمجالس ، وبعيداً عن أعين الرقباء ، فحينما دان العرب للرسول ولنبوته ، إنَّما دان أكثرهم إمَّا رغبة أو رهبة ، وإنَّ الذي أجزم به هو أن إسلامهم لم يكن إلاَّ كلاماً عابراً على ألسنتهم دون أن يخالط قلوبهم بعض منه أو تطمئن نفوسهم إليه كل الإطمئنان ، وأبرز من اتسم إسلامهم بالزيف بعض القرشيين من طلقاء مكة وهم الذين أسلموا بعد الفتح ، وأنه لا يستطيع أحد أن يماري في أن الإسلام الذي اعتنقه هؤلاء لم يكن إعتقاداً مدوناً في القلب عن نية طيبة ، أو اعتقاد راسخ ، وإننا لنرى أن هذا الفريق يتربص فيما بعد بالمسلمين الدوائر ، ويكيد لهم ما وسعه الكيد . إذن لا بد من القول : إن هذا العنصر كان موجوداً طيلة حياة النبي يضع العصي في العجلات ، ويقف أمام الدعوة باذلاً قواه لإيقاف تيارها

الجارف ، ولذلك ارتدَّ بعض العرب ، وادَّعى النبوة أناس آخرين ، والنبي ما يزال حياً ، كالأسود العنسي ، وعلقمة بن علاثة ، وأم رفل سلمى بنت مالك . وهناك آخرون استفحل أمرهم بعد النبي كمسيلمة وطليحة وغيرهما ، وكل هذا معناه أن رسالة الإسلام لم تصل إلى أعماق نفوس هؤلاء ، أو أنها لم تبلغ درجة الإختمار ، أو الرسوخ ، لأن رواسب العقائد القديمة المتوارثة كانت في صراع دائم ، وكثيراً ما تنتصر الدعوة الباطلة ، وتقف حجر عثرة في طريق الرسالة الجديدة ، وتتعاون مع العناصر الأخرى على إبطال أثرها .

هذا . . . وعند العودة إلى الموضوع الرئيسي لا بد من القول :

إنه كانت هناك ثورة في النفوس ولكنها راقدة . . . كانت هناك نار تحت الرماد أقل نسيم يحركها ، ويوقظ أوارها ، ولم يكن ليخفى على النبي الكريم ما تحمله النفوس ، وهناك أكثر من حديث عن هذا الموضوع روي عنه وفيه إقرار بذلك ، ونحن نقول عندما نلقي نظرة عامة على المجتمع في تلك الفترة ، ونتأمل ملياً في دعوة الإسلام .

إن الإصلاح الاجتماعي ، أو الثورة الفكرية التي أحدثها النبي محمد في الجزيرة العربية هي عميقة الجذور ، وبعيدة الأثر ، ولكنها وقفت عاجزة عن تنظيف النفوس من البقايا والرواسب ، وكل هذا سببه أن الدين والدولة ظلاً قضيتين منفصلتين عن بعضهما البعض كما كانا في عهد رسالة عيسى ابن مريم ، وما أشبه الرسالتين ببعضهما البعض ، لولا تأملات جديدة ، وفوارق في المجتمع والبيئة والعصر أحدثها الزمان والمكان .

لقد كان للدين في المجتمع الإسلامي حقل لا يتعداه إلى غيره ، ولا يتجاوزه إلى سواه ، وإن كل قول خلاف هذا لا يستند إلى حجة ، ولا يقوم على برهان .

ومهما يكن من أمر . . . فليس للباحث في ظلمات الجاهلية إلاَّ نور ضئيل من الحقائق المبثوثة يهتدي بها ، فهنالك أمور ظلَّت بعيدة عن الأفهام ، وفي طيَّات العصور ، وأعني بها قضيتي الدين والدولة ، ولا بد لنا من القول ، ونحن نستعرض تلك الأفكار : بأن النصرانية حينما عمَّت بعض القبائل العربية التي يمتاز أفرادها بحساسية بالغة للإنطباعات الخارجية ظلَّت في مكان لا تتعداه إلى سواه . فبعض الأعراب الذين هم من البدو القاطنين في الشمال كانوا على اتصال وثيق بالسكان الآراميين الذين استوطنوا تلك الديار وهم ممن لوَّنت النصرانية حضارتهم تلويناً تاماً . والواقع أن النصرانية تحققت في ظل الإمبراطورية الرومانية بقوة اجتذاب عظيمة ، ولا شك بأن الرهبان الذين انتشرت صوامعهم في فلسطين وشبه جزيرة سيناء حتى قلب الصحراء ، كان لهم أثر كبير في تعريف العرب بالنصرانية ، وتقريب تعاليمها إلى أذهانهم ، أضف إلى ذلك أن الصحراء العربية كانت ملجأً لبعض الفرق المضطهدة من الكنيسة الرسمية ، فكان طبيعياً أن تكون أقدر على النجاح في نشر تعاليمها من كنيسة الدولة الرسمية . ولكن كل هذا لم يكن يولد الآثار الفعَّالة للوقوف في وجه التيار الوليد الذي هبَّ قوياً في الجزيرة العربية ليزعزع الرواسب ، ويقتلع الجذور . ومن الملاحظ أن الشرقين الأوسط والأدنى في أوائل القرن السابع كانت تتقاسمهما إمبراطوريتان عظيمتان متنافستان هما : البيزنطية والفارسية . أمَّا البيزنطية فكانت عاصمتها القسطنطينية وهي إغريقية مسيحية في ثقافتها وديانتها ، كما أنها ظلَّت رومانية في شكل إدارتها ، وكان السخط على الحكم البيزنطي ، وعلى الضرائب التي فرضها على هؤلاء السكان يبدو جلياً في قيام الكنائس التي كانت في صراع مستمر مع مذهب الإمبراطور الرسمي ، وقد قاسى اليهود أشد أنواع الظلم من البيزنطيين في القدس .

أمَّا الفارسية فكانت تتخبط في أنظمة غير مستقرة ، ممَّا سبَّب التذمر

عند الشعب ، ونشأ عن ذلك سلسلة من الهرطقات الدينية الخطرة التي هددت وحدة الإمبراطورية الدينية ، ووحدتها السياسية .

وفي سنة ٦٠٢م وسنة ٦٢٨م نشبت آخر حرب بين الفرس والبيزنطيين ، وقد انتهت بهزيمة الفرس ولكنها تركت كليهما منهكاً ضعيفاً أمام النور الذي كان على وشك الظهور في الصحراء العربية .

«العرب أمام الإنبثاق الإسلامي»

انبثقت رسالة الإسلام التي حملها الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم من خلال الظلام ، وقد كان طبيعياً أن لا يستجيب إلى هذه الرسالة إلاّ القليلون ممن أوتوا إيماناً عميقاً وإرادة جبّارة ، لأن كل رسالة في بدء ظهورها تبدو ضعيفة واهنة ، ثم تنمو بالتدرج حسب الظروف ومقتضيات البيئة والمجتمع .

أجل . . . لم يستجب إلى رسالة الإسلام في بدء ظهورها إلاّ نفر ضئيل من أقرباء الرسول المقربين وبعض الفقراء المغمورين . أمّا الأكثرية الساحقة من السادة والزعماء والشيوخ ، فقد رأوا بالإسلام الجديد تحطيماً لزعاماتهم ، وانهياراً لمكاناتهم ، وبواراً لتجاراتهم ومكاسبهم ، لذلك أعلنوا نفير الحرب العام على الرسالة الجديدة واستعدوا لمنازلتها بحماسة ، والقضاء عليها بضراوة ، وحمل لواء هذه الحرب بعض أخصّاء الرسول الكريم والأقربون ، والسادة القرشيين ممن كانوا يدينون بالوثنية ، ويسجدون للتماثيل والأصنام .

في تلك الفترة بالذات ، كان الرومان النصارى يتراجعون أمام الفرس الوثنيين بعد معارك دامية ، فأظهر العرب في الجزيرة العربية انتصارهم للفرس ، وهرعوا إلى أبواب الكعبة يصلون لأصنامهم وأنصابهم ، ويستجلبون عطفها على جيوش كسرى .

وممّا هو جدير بالإنتباه أن الصلات الودية أيضاً بين قريش الوثنية ، وهي

الممثلة للأكثرية من عرب الجزيرة، وبين الفرس وهم من اتباع الديانة الوثنية أيضاً، خاصة بعد انتصارهم على الرومان. أمَّا الرومان أنفسهم فقد وجدوا في رسالة الإسلام تتمة لشريعتي موسى وعيسى، لذلك كانوا راضين عنها الرضى التام، يمهدون لها السبيل، ويدعون إليها لأنها على حد اعتقادهم، لا بد أن تكون من العوامل الهدَّامة للوثنية عدوتهم اللدود.

في الواقع . . . لم يكن في مكة وقتئذ غير حديث تلك الحروب التي أتاحت لكسرى بن هرمز الإنتصار على الرومان. أمَّا في الجزيرة العربية فكانوا فريقين كما قلنا: فريق القرشيين الذين عبدوا أرباباً من التماثيل والأصنام، وأعلنوا عدم إيمانهم برسالة الإسلام وولاءهم، ومحالفتهم للفرس، ورئيسهم أبو لهب بن عبد المطلب، وعمرو بن هشام، وفريق آخر آمن برسالة الإسلام، فانتصر للرومان على الفرس، بعد أن وجد فيهم أتباعاً للأنبياء وحملة الكتاب المقدس، ولكن هذا الفريق كان من القلة بمكان في بادىء الأمر، ثم أصبح بعد حين يمثل الأكثرية الساحقة من العرب.

من الواضح . . . أن المجتمع الإسلامي في عهد الرسالة الأولى، كان يعاني من الأحزاب المناهضة للدين الجديد كل أنواع التهجم، وخاصة أهل مكة وأعوانهم البدو، ومرتزقة الأحباش الذين عسكروا على مقربة من أتباع الدين الجديد المسلمين مستهدفين اقتحام منازلهم وتقتيلهم وتخريب مساكنهم، وخرجت الوثنية سافرة عن وجهها لمحاربة الرسالة الجديدة. أمَّا الرسول الكريم محمد صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم فقد حمل على أعداء الدين الجديد بشدة، وكانت حملاته تستهدف اليهود، لأنه اعتبرهم العدو الأكبر، خاصة عندما قبض عليهم وهم يعاونون تلك الأحزاب التي رابطت على أبواب المدينة لمؤازرتهم على الفتك بالمسلمين، فعرض عليهم الرسول الكريم صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم بادىء ذي بدء التسليم، فأبى بنو قريظة وهم مقدمة قبائل اليهود، عندئذ حكم بتقتيلهم

وضـرب أعناق ستـمـائة منهم في المعـركة الأولى ، ثم أجلى البـاقين عن مسـاكنهـم ، واقتسم المهـاجرون أموالهم ، واحتلوا مـا لهم من منازل وجنائن وثروات ، وكـان بنو قريظة أول خصوم يتعرضون للفتك الشديد من قبل المسلمين ، وفي تلك الفـترة نرى الرسـول الكريم يوجه إلى بني النضيـر أيضاً ، وهم من قبـائل اليهـود بالمدينة إنذاراً بالجلاء ، وهـكذا فـعل بيـهـود خيبر عندما أخرجهم من واحتهم الخصبة في الشمال من المدينة .

إننا نلمس بوضـوح أن الرسـول الكريـم في هذا العـهـد عمـد إلى قطع صلة للمسلمين باليـهـودية ، فشنَّ عليهـا حرباً شعـواء لا هوادة فيـها . أمَّـا اليهـود من جهتهم فقاتلوه ، وجندوا كل قواهم ، فانـضموا في بادىء الأمر إلى الفلـول المهـزومـة من قـريش يمدونهـا بالأمـوال والسـلاح ، ويدفـعـونهـا لتقـويض دعائم الدين الجـديد . أمَّا النصـارى فقـد صالحهم الرسول الكريـم على شروط معينة عقدها معهم ، وأبعد فيمـا بينهم وبين القرشيين أعداء المسلمين . وإننا نرى أنه في العـام التـاسع للهـجرة النبوية أقـام حـامية في تبـوك على حـدود غسَّـان ، ولمَّا لـم يلق أية مـعـارضـة بادر إلى مـصـالحـة صـاحب أيلـة ـ العقـبة وهو نصـراني أيضـاً ، واضطره إلى عقـد صلح مع قبـائل اليـهود المقيمين في واحـات أذرع ومقنا والجربا الكائنة في الجنوب ، وأقـام بعـد ذلك عند الحـدود يطارد الفلول ، ويطلـب من يريد الـنزال من الأعـداء ، فـأقبل النصارى يصـالحـونه ويعطونه الجزية ، وهي التي كـان لهـا شأن بعيد في التطورات العسكرية والسياسية الإسلامية فيما بعد ، إلى هنا نرى الإسـلام يتـخلص مـن الأخطار الخـارجـيـة فـينـدفع بعـدهـا إلى التـفـرغ بحـماسـة وشدة لقضـاياه الداخلية المعقـدة التي أعـارها كل أوقاته ، وكـرَّس لهـا كل جهـوده . وننتقـل إلى حيث بدأنا لنلقي نظرة عـابرة على حـالة المجتمع العربي في تلك الفترة فنقول :

إن العـرب في الجـاهلية مثلهـم كـمثل سـائر الشعـوب الأخرى ، فهـم قد عبـدوا الآلهـة وفكروا في قـوى عليـا لهـا عليهـم حكـم وسلطان ، فحـاولوا

التقرب منها واسترضاءها ، والمعروف بين الناس أن العرب الجاهليين كانوا على جانب كبير من التفرق على أديان ومذاهب ، فكان منهم من آمن بالله وبالتوحيد ، ومنهم من آمن بالله ، وعبد الأصنام ، ومنهم من عبد الأصنام على زعم أنها تضر وتنفع ، ومنهم من دان باليهودية أو النصرانية ، ومنهم من دان بالمجوسية ، ومنهم من توقف ولم يعتقد بشيء ، ويرى بعض العلماء : أن عبادة أهل الجاهلية هي عبادة كواكب في الأصل ، وترجع إلى ثالوث سماوي (القمر والشمس والزهرة) ، كما ترجع عبادتها إلى ما قبل الميلاد ، ويقول آخرون : إن العرب في جاهليتهم عبدوا أجراماً سماوية أخرى ، وتقربوا لها بالصلوات والنذور مثل الشعرى والزهرة وسهيل وعطارد وزحل ، كما عبد آخرون المريخ واتخذوه إلهاً ، وكانت حمير تعبد الشمس ، وكنانة القمر ، وميسم الدبران ، ولخم وجذام المشتري ، وطيء سهيلاً ، وقيس الشعرى العبور ، وأسد عطارد ، وثقيف بيتاً بأعلى نخلة يقال لها اللاَّت ، كما كان فيهم من يقول بالمعاد .

إن الدروب التي كان يمر بها السيَّاح والقاصدون من الكعبة إلى سفوح الجبال المحدقة بالمدينة كانت تغص بالتماثيل والدمى والأصنام ، حتى أن القرشيين الذين يمرون بهذه الطرق في الصباح وفي المساء كانوا يطوفون بها كطوافهم حول الكعبة ، وكان عليهم فوق هذا أن يعظموها ، وأن يذبحوا لها القرابين ، وأن يقدموا لها أثمن الهدايا .

وممَّا يجدر ذكره : أن الولع بإقامة تلك التماثيل والأصنام ، لم يكن مقصوراً على السادة الذين يعيشون في القصور المنيفة عيشاً حالياً بالترف والبذخ فحسب ، بل كان مشاعاً للجميع ، حتى أنه كان لأهل كل دار في مكة صنم يعبدونه ، وإذا لم يستطيعوا بناء صنم أو عجزوا عن إقامة تمثال ، نصبوا حجراً أمام الحرم أو أمام غيره ممَّا استحسنوه ، ثم طافوا به كطوافهم بالبيت ، وكانوا يسمونها «الأنصاب» فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان .

لقد كان السائح يمر بالكعبة فيذهله تكاثف التماثيل حيال أبوابها ، فيعزف عنها إلى مقام إبراهيم حيث يشاهد عدداً آخر من الأصنام والأنصاب ، وقد نجد عند المقابلة تماثلاً غريباً بين أصنام قريش والأصنام التي أقامها الإغريق والرومان والأنباط والغساسنة في وادي القرى ، وفي البلقاء وبلاد الأردن .

إن أول من نصَّب التماثيل حول الكعبة هو «عمرو بن ربيعة» أو «لحي ابن حارثة بن عمرو» من الأزد ، وكان يلي أمر الكعبة رجل اسمه الحارث فنازعه عمرو بن لحي الولاية ، وقاتل جرهماً فظفر بها وأجلاها عن الكعبة ، ونفاها من مكة ، وتولّى أمر البيت بعدها ، ثم أنه أحسَّ مرضاً شديداً ، فقيل له إن بالبلقاء «حمة» إذا أتيتها برأت ، فأتاها واستحمَّ بها ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام التي قيل له عنها أنهم يستسقون بها المطر ، وينتصرون بها على العدو ، وعندما طلب أن يعطوه بعضها فعلوا ، فرجع عائداً ونصبها حول الكعبة .

كان العرب يرتادون الشام في مواسم معروفة ، يحملون فيها إلى الرومان عطور الهند وحرير الصين فوثقت التجارة بينهم ، ثم إنهم يعودون فيحملون التماثيل التي رأوها في بصرى والبلقاء ، وقد فطن الرومان إلى ولعهم بالتماثيل ، فبعثوا إليهم بطائفة من المثالين إلى مكة لنحت التماثيل والمعابد ، وتفنن العرب في تجميل أصنامهم محاكاة للرومان في تجميل الأصنام ، فكان «هُبل» أعظم أصنام العرب ، وقد صنعوه من العقيق على صورة إنسان كسرت يده اليمنى ، وهو أول صنم حطَّمه الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فلمَّا أدركته قريش جعلوا له يداً من ذهب ، وأقاموه على باب الكعبة .

وأقدم أصنام قريش «مناة» وهو رمز آلهة القضاء والقدر ، نصَّبه القرشيون على ساحل البحر من ناحية «المشلل» بين المدينة ومكة ، وكانت

العرب جميعها تعظمه وتذبح الضحايا حوله ، ثم عبدته الأوس والخزرج وقبائل هذيل ، فكانوا يحجون إليه ، ويقفون مع الناس المواقف كلها ، ولا يحلقون رؤوسهم فإذا أتوه حلقوها ، وأقاموا عنده ، وقد عبدته غسَّان على نصرانيتها فجاء ملوكها ، وفي جملتهم الحارث المعروف بالأكبر ، فألبسه سيفين ذهبيين وكان حجره أسود ، ثم اتخذوا «اللاَّت» في جوار الطائف وتعرف بالربَّة أي السيدة ، وشبهها هيرودوتوس بآلهة الفلك «أورانيا» وهي تقابل الأم الكبرى للآلهة عشتروت عند الساميين ، ثم عبدوا «العزَّى» وهي أعظم الأصنام عند قريش يهدون إليها الهدايا ويتقربون عندها بالذبح ، وكانوا يعبدونها في صورة الكوكب السماوي الزهرة «ڤينوس» .

ومن الواضح أن القبائل العربية في ذلك الزمن عرفوا بالأصنام الخاصة بهم . فكان الصنم «ود» لبني كلب في دومة الجندل ، و«سواع» لهذيل ، و«نسر» لحمير ، و«يغوث» لهمدان ، و«اللاَّت» لثقيف بالطائف ، و«العُزَّى» لكنانة وقريش وبعض بني سليم ، و«مناة» لغسَّان ، والأوس ، والخزرج ، وكان «هُبل» لقريش أيضاً ، ومكانه على ظهر الكعبة ، و«أساف» و«نائلة» على الصفا والمروة .

وممَّا يجدر ذكره : أن الأضاحي البشرية كانت تقدم للأرباب حتى في بدء ظهور رسالة الإسلام ، ولكن ظهر في ذلك العهد مصلحون مجددون نهلوا من ينابيع المعرفة ، وتغنوا بالنصرانية التي تدعو إلى محاربة الوثنية كورقة بن نوفل ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عامر ، فحاربوا تلك الدعوات ، وكانوا معاول عملت على تهديم أسسها ودعائمها .

وفي معرض الحديث عن الأوثان والأصنام لا بد من القول : بأن الديانة الوثنية السائدة ، كانت كسواها من الديانات الساذجة في قراراتها مبنيَّة على الإيمان بوجود أرواح في الأشياء المادية ممَّا يرى الإنسان حوله كالأشجار والرماد والحجارة ، أو ممَّا في مظاهر الطبيعة كالرياح والأمطار

والنجوم القمر والشمس ، وقد تأثرت نفس الإنسان الأول بتلك القوى ، فحسب أن لكل منها روحاً تحركها ، وبالتدرج أصبحت الطبيعة الهامة آلهة . أمَّا القوى السفلية فأحيلت إلى مراتب الجن والعفاريت .

ومهما يكن من أمر . . . فكل هذا يدل على التخبط وعدم الإستقرار ، وعلى نوازع ترنو إلى دين جديد ، أمَّا الدين القديم ، فترك رواسب في قرارة نفوس البعض الآخر ، لم يكن التخلص منها بالأمر السهل .

عاش نبيُّ العرب محمد بن عبد الله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في شبابه حياة ظلَّت حتى الآن مجهولة وغامضة . فالمصادر التاريخية تكاد تكون نادرة عنها ، ولكن الرسول الكريم وهو الإنسان البسيط في حياته ومظهره ، والمنسي من السادة والأشراف في الجزيرة العربية ، يظهر كشخصية مرموقة لها أثرها في المجتمع حينما يبرز إلى الحياة العملية ، ويتعرف إلى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاَّب ، فيعمل معها في التجارة ، وفي هذه الفترة ، ظهرت مواهبه النادرة في التجارة ، ورجولته في الأسفار ، وخلال تجواله في الأردن وبصرى والشام ، واجتماعاته المتواصلة ببعض ذوي النفوذ والجاه في هذه البلدان المتحضرة ، وخاصة ببعض الرهبان من النصارى ، الذين قرأوا عليه التوراة والإنجيل وقصص الأنبياء ، فاستطاع أن يكوِّن أفكاراً جديدة ، وأن يدرس تاريخ ظهور الأنبياء والمرسلين من ينابيعه الأصيلة كاملاً ، وبعد هذه التجارب والأسفار والإندماج بالمجتمعات الغربية والشرقية القريبة والبعيدة ، وبعد أن اختمرت برأسه كافة الأفكار ، وتيقظت كافة القوى الفعَّالة ، بدأ بتنفيذ رسالته وإعلان دعوته بما تلقاه من الوحي الإلهي ، ومن الواضح أنه في هذه الفترة ضمن لرسالته الناحية المادية بواسطة الأموال التي وضعت تحت تصرفه من زوجته خديجة ، ولعلها أهم ناحية أساسية في بناء كيان الدول وإظهار الدعوات بين الأمم .

ومهما يكن من أمر . . . فلا بد من القول : بأن الذين استجابوا إلى دعوته في بدء ظهورها ، لم يكونوا كما قلنا إلاّ نفراً قلائل من أقربائه المقربين ، ومن الطبقة الفقيرة الذين عاشوا في مجتمع بائس يسيطر عليه الأثرياء ويستغل خيراته بعض ذوي الإقطاع والأمراء ، وهؤلاء رأوا بالنور الجديد الخلاص من أوضاعهم الراهنة ، فهرعوا يلبون النداء ، وينضوون تحت ظلال النور الجديد . أمّا الطبقات الأخرى فقد ذكرنا كل شيء عنها في الصفحات الأولى . وعلى كل حال فقد أصبح كل شيء معروفاً عنها بالرغم من تناقض الأقوال ، وتقديم المصادر وتأخيرها .

ومن المفيد أن نذكر ، ونحن في معرض الحديث عن هذا الموضوع : أن جميع المصادر اتفقت على أن أول من استجاب إلى دعوة الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم زوجته خديجة ، وابن عمّه «علي» الذي كان له من العمر عشر سنوات ، وعمّه الحمزة بن عبد المطلب ، ثم عبد الله بن أبي قحافة «أبو بكر» وزيد بن حارثة ، وبلال بن حمامة ، وعمر ابن عنبسة السلمي ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وبعدهم أبو عبيدة بن الجرّاح ، وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزّى ، ثم عمر بن الخطّاب الذي ينتسب إلى بني مخزوم من جهة أمّه ، وهو أعظم بيوت العرب غنًى وشجاعة ، ثم عمّار بن ياسر ، ثم السائب بن عثمان بن مظعون .

أمّا الذين حملوا لواء المعارضة ، وجاهروا بعداوتهم للدين الجديد فهم : عتبة وشيبة إبنا ربيعة بن عبد شمس ، وأبو سفيان بن أمية ، وأبو البحتري ابن هشام ، والأسود بن عبد المطلب ، وأبو جهل عمرو بن هشام ، والوليد بن المغيرة المخزومي ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، والعاص بن وائل ابن هشام بن سعد بن سهم ، وغيرهم من سادات قريش وزعمائها .

أجل . . . إن حياة الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قبل الإنبثاق كانت عبارة عن تمهيدات ودراسات واستنتاجات ، وأخذ دروس من المجتمع الذي عاش فيه ، ولقد كانت الدلائل جميعها تشير إلى أن محمداً قبل ظهوره بمظهر النبوة ، كان لا شأن له في قريش ، أمّا بعد إعلان ظهور الرسالة فقد انقلبت تلك الحياة الهادئة إلى حياة عملية صاخبة تخللتها سلسلة من الحروب والنضال في سبيل الرسالة .

لقد كانت الأحداث تتفاعل وتتعاقب ، ولكن أهم حدث واجه صاحب الرسالة الجديدة هي الحرب الداخلية التي شنّها الأقربون من قريش عليه ، ومحاولاتهم الفتك به والقضاء على هذه الرسالة التي انبثقت من خلال الغيب لتحطم زعاماتهم الموروثة ، وعباداتهم الراسخة ، وآلهتهم المنصوبة .

من الجدير بالذكر . . . أنه كان على الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أن يواجه في بدء ظهور رسالته هجوم أبناء عمومته العنيف ، وهو أعظم ما عرفه التاريخ ، وكان عليه أن يعمل على تعميم رسالته في مناطق القبائل ويضم إليه الأنصار والتابعين ، ثم يرد مؤامرات اليهود الذين انضموا إلى الفريق المعارض كما قلنا ، ويضعون تحت تصرفه الأموال والسلاح والعتاد في سبيل تقويض دعائم الدين الجديد الذي اعتبروه من العوامل الكبرى التي تستهدف القضاء على كيانهم وثرواتهم في يثرب ، وغيرها من البلدان في الجزيرة العربية .

ولا بد لنا ونحن نستعرض تلك الأحداث من القول : إن اليهود كانوا يحفظون توازناً في القوى ، فأكثرهم كان يعمل في الزراعة بالدرجة الأولى ، وفي الحرف اليدوية الأخرى بعدها ، وهذا ما جعلهم يتفوقون على العرب اقتصادياً وسياسياً . من هذه الزاوية كان العرب ينظرون إليهم نظرات الحسد والكراهية ، وكل هذا ظهر جلياً حينما وصل العرب إلى القمة ، وإننا نراهم بعد هذا الوصول يهاجمون اليهود ، ويقضون على كل

نفوذ لهم في الجزيرة العربية . ولا بد من القول أيضاً :

إن النزاع بين الجماعة الإسلامية الوليدة ، وبين الأقلية المكية الحاكمة كان نزاعاً طبقياً يمثل فيه ذوي الحقوق المهضومة ، وفيه تظهر نقمتهم واضحة على الأقلية البورجوازية الحاكمة ، وكل هذا يعطي الدليل على أن التأييد الذي حصل عليه الرسول الكريم محمد في بادىء الأمر ، كان مستمداً من الطبقات الفقيرة ، وأن معارضة أهل مكة لم تكن في أصلها سوى معارضة اقتصادية إلى حد كبير ، وأنها كانت قائمة على اعتبارين : أولهما وأهمهما الخوف من أن تؤدي الرسالة الجديدة إلى إبطال الدين القديم ، وإلى ضياع حرمة مكة ، وحرمانها من مكانتها الفريدة كمركز للحج ، وكعاصمة لقضاء مصالح العرب . وتشاء الأقدار بعد عامين أن يصبح للرسول الكريم عدد كبير من الأنصار في المدن الرئيسية ، وبين القبائل ، ومن هؤلاء البعض من الأقطاب المعروفين ، والزعماء البارزين ، فيرى الرسول الكريم عندئذ أن الفرصة أصبحت سانحة لخوض المعارك الحربية مع أعداء الدين الجدّيد الناشطين ، وتوجيه ضربة قاضية إليهم لا يرتفع بعدها لهم صوت ، ولكن هناك قوة وضعف . . . هناك تألب قوى كبيرة على قوى ناشئة . . . هناك تكتل مستميت في سبيل خوض المعركة الأخيرة ، وكانت هجرة «أنصاره» إلى الحبشة ، ثم هجرته بالذات إلى يثرب المدينة ، وعودته بعد الفشل في اكتساب عطف الجماهير ، وكانت معركة بدر الأولى ، وهي المعركة التي فتحت ثغرة كبرى في الدعوة الإسلامية ، وكان لها تأثيرها على الحياة السياسية بعد وفاة الرسول الكريم ، وخاصة فيما يتعلق بالخلافة . ففي المعركة الآنفة الذكر ، كما نرى قتل عدداً كبيراً من شباب ووجوه وأقطاب قريش ممن لهم شأن ورأي في العرب ، وإذا علمنا أن علي بن أبي طالب قتل فيها وحده : الوليد بن عتبة ، وأبا جهل عمرو بن هشام ، والعاص بن هشام ، وحنظلة بن أبي سفيان بن حرب ، وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية ، وزمعة بن

الأسود ، ونوفل بن خويلد «أخ خديجة» ، ومسعود بن أبي أمية المخزومي ، والعاص بن منبه بن الحجاج السهمي ، وأبا العاص بن فيش السهمي وغيرهم . وإذا علمنا أن عمّه حمزة قتل : شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، أدركنا عندئذ مدى تأثير هذه الضحايا على خلافة علي بعد وفاة الرسول الكريم . وتأتي معركة بدر الثانية ، ثم معركة أُحد التي قادها صخر بن حرب «أبو سفيان» وزوجته هند انتقاماً لأخيها الوليد بن عتبة ، وفي هذه المعركة قتل علي أيضاً طلحة بن أبي طلحة ، وقتل عمّه الحمزة عثمان بن أبي طلحة أيضاً . هذا عدا عن معركة الخندق التي قادها أبو سفيان أيضاً ، وقتل فيها علي عمرو بن ود العامري ، ومعركة وادي الرمل والطائف وزُبيد وحُنين ، أو هوازن وثقيف .

إن هجرة الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم إلى المدينة في بدء عهد الإنبثاق ، واتخاذه منها مقراً للبدء بنشاط جديد في سبيل الدعوة الإسلامية فتح آفاقاً جديدة ، وهذه الهجرة لم تتم بالفعل إلاّ بعد وفاة عمّه أبو طالب . فهنا نراه يحصد جهوده وواجباته بإصلاح ذات البين بين الأوس والخزرج «الأنصار» ، وكان الرسول الكريم قد التقى في موسم الحج بستة من أقطاب الخزرج ، فبثّ فيهم الدين الجديد ، وساعدهم في تعلمه أحد رجال المسلمين المؤمنين من مهاجري الحبشة ، وبعد عام رجعوا إلى مكة مع سبعة منهم ، فاجتمعوا بمحمد في العقبة ، واتفق معهم على كل شيء ، وأرسل إليهم أحد المرشدين المسلمين ليعلمهم القرآن وأصول الدين .

لقد كان النبي الكريم يريد إقامة اتفاق مع اليهود القاطنين في يثرب أول الأمر ، وذلك لتجنب شرهم ، لأنهم كانوا ذوي سلطان وبأس كما قلنا ، وأن حملة الحاكم الحبشة أبرهة على بلاد اليمن ، وإجبار اليهود على النزوح من مواطنهم هناك ، والعيش موزعين بين قبيلتي الأوس والخزرج جعل منهم قوة يخشى بأسها ، وهذا ما جعل الرسول الكريم يحمل فيما

بعد عليهم ، ويقضي على نفوذهم ، ويضطرهم إلى الإستسلام بعد القضاء على كل ما يتمتعون به .

وعند ذكر المعارك الإسلامية ، والوقائع التي واجهها الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لا بد من ذكر صلح الحديبية ، ومعركة خيبر مع اليهود ، ثم العلاقات مع البيزنطيين التي ساءت وأنذرت بالإنقطاع مرات عديدة . وأخيراً : كان لا بد من خوض الحرب معهم ، فأرسل الرسول الكريم زيد بن حارثة على رأس حملة إليهم ، وانتصر عليهم في المعركة الأولى . أمّا في المعركة الثانية فقتل زيد وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة . فتسلّم خالد بن الوليد مكان زيد ، ثم جاء عمرو بن العاص ، وتسلّم مركز القيادة ، وتمكن من قيادة المعركة إلى النصر الأخير . كل هذا مضافاً إلى عودة النبي محمد إلى مكة بعد غياب ثماني سنوات ، وفي هذا الوقت يعلن أبو سفيان إسلامه . وأخيراً : تبدأ معركة حنين ، وفيها تحالف بنو ثقيف مع هوازن ، وهاجموا المسلمين هجوماً انتهى إلى الفشل ، ثم إلى الفرار والإحتماء في الطائف . . . هذا ويجب ألا يغرب عن البال معركة تبوك أيضاً ، وأخيراً حجة الوداع .

لقد انتصر الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم على أعدائه في كافة الميادين ، وأرسى قواعد الدين الجديد في الجزيرة العربية ، وفيما وراء الحدود ، ولكن لا بد لنا من التساؤل ، هل زالت من النفوس الحاقدة النقمة الكامنة على الدين الجديد الذي حطّم قواعد الوثنية المتوارثة ، والزعامات الكبرى؟ ممّا لا شك فيه أن أثر تلك النقمة ظلّ كامناً في نفوس الأكثرية ، وقد ازدادت عند القرشيين خاصة ، لا سيما وهم الذين خذلوا في المعارك التي خاضوها ، وسقط منهم في مجالها أكثر من شاب وقطب وزعيم ، وعلى الأخص في المعارك التي دارت رحاها بينهم ، وكانوا هم فرسانها وقادتها وأبطالها .

وانتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن أدّى رسالته كاملة ، وبعد أن بذل كل ما في وسعه لإصلاح المجتمع الغارق في ظلمات الجاهلية ، وبعد أن أبطل العبادات الوثنية بالظاهر ، ووضع مكانها العبادات الإسلامية السمحاء ، ولكننا ومع إيماننا نشك في أنه استطاع محو آثارها من الأفكار وإزالة رواسبها من النفوس في الباطن ، أو أنه استطاع أن يضمن ردة فعل المتشككين والناقمين والحاقدين بعد موته ، وكل هذا سنجيب عليه تباعاً .

هناك أكثر من رواية وحديث ومصدر تقول : إن الرسول الكريم محمد ابن عبد الله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أوصى بالخلافة لعلي بن أبي طالب في غدير خم عندما وقف وهو عائد من حجة الوداع في مكان يطل على الجماهير ، ومن المؤكد أنه أخذ علياً من يده وقال :

«أيها الناس . . . يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون . فماذا أنتم قائلون؟ قالوا : نشهد أنك بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً . قال : ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور . قالوا : بلى نشهد بذلك . قال : اللهم إشهد . . . اللهم اشهد . . . اللهم اشهد . . . إن الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه . . . اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدرِ الحق معه أينما َ دار» .

إلى هنا تنتهي المحاضرة ، أو الخطاب ، أو الوصية ، أو الدعاء ، سمها ما شئت ، وإلى هنا نقف بخشوع أمام الوصية نناقشها ونحللها ونشرحها من الوجهة الواقعية الصحيحة غير متأثرين بأية عاطفة أو شعور أو دوافع .

ونقول : هل تعتبر تلك الوصية صحيحة وقانونية ، وهل يجوز أن تكون دستوراً للمسلمين؟

لا بد لي من القول ، وأنا في زهوة إيماني واعترافي بنبوة محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وبرسالته الإسلامية السمحاء ، وبأهلية الإمام علي بن أبي طالب للخلافة ولقيادة الأمة الإسلامية بعد الرسول الكريم ، بأن مناقشتي لهذا الموضوع ورأيي لا يقلل من إيماني بالنبوة ، أو يضعف يقيني بالإمامة .

إنني أعلنها بصراحة دون خوف أو وجل بأن إعلان الرسول في غدير خم لم يتضمن أية إشارة علنية إلى الخلافة الإسلامية للإمام علي ، وهناك أكثر من رأي بأن الوصية الشرعية سرقت عندما كان الرسول في المرض الأخير أو ربما اعتبرت وصية غدير خم تحمل الرموز إلى الخلافة ممَّا تجاهلها بعض الناس . والحقيقة فإنَّ أبلغ ما قرأته في هذا الصدد ، ما ورد في كتاب «تاج العقائد» لعلي بن الوليد اليمني وفيه الحديث التالي : قال الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم للإمام علي :

«إنَّ لك يا علي في أمتي من بعدي أمر . . . فإن ولوك في عافية ، وأجمعوا عليك في رضى فقم بأمورهم ، وإن اختلفوا واتبعوا غيرك فدعهم وما هم فيه ، فإن الله سيجعل لك مخرجاً» .

وقال له :

«فإن ولوك بعافية وعفاف ، وإلاَّ عففت عن ذلك ، وحقنت الدماء ، ولزمت منزلك ، وأن لا تفرِّق بين أمتي» .

وقال له :

«يا علي تقاتل بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين» .

إن الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كان على علم بما

تنطوي عليه نفوس الأقارب والأباعد من المسلمين ، فآثر أن لا يثير الكوامن والأحقاد والرواسب ولعله أراد أن تبقى قضية الخلافة ـ هينة الظروف ، خوفاً من فتح ثغرات مبكرة بالدعوة الجديدة ، وإثارة الجماهير الراقدة ، وفيهم الكثير من الناقمين والساخطين على الإمام علي بن أبي طالب الذي قتل بسيفه عدداً كبيراً من أقطاب العرب في المعارك التي خاضها لأجل الإسلام ، وبينهم من كان يتولّى زعامات كبرى ويمتلك مكانة عظمى .

ممّا هو جدير بالذكر . . . أن الرسول الكريم كان يتولى سلطات كبرى خولته إياها رسالة الإسلام . . . كان الحاكم المطلق لإمبراطورية واسعة امتدت إلى سائر الأطراف في الجزيرة العربية ، فكم كان حرياً به أن يكتب وصيته بشكل بيان رسمي قانوني موقع ، وبحضور شهود من أركان دعوته ، ثم يوزعه في الأقاليم على العمال والحكام والأتباع ، لأن الوصية ركن من أركان الدين في الشريعة الإسلامية ، ولكن شيئاً من هذا لم يقع .

الأكثرية من الشيعة يقولون : إن وصية الرسول في غدير خم لعلي كافية وصريحة ، ولكن من استعراض أقوال الرسول في حجة الوداع ، وتحليلها والنفاذ إلى واقعها ، يتبين أنه لم يأت على ذكر أي شيء يتعلق بالخلافة ، وأن جملة ما ذكره كان دعاءً روحياً لعلي ، واعترافاً بأفضليته وأسبقيته ، وبما له من خدمات على المسلمين ، وكل هذا كان يجب أن يعتبر صحيحاً وتعبيراً عن أفضلية علي وخدماته للإسلام وللرسالة .

ممّا لا شك فيه ، أن الرسول الكريم كان يؤثر علياً على كافة الأقرباء ، والأصحاب ، بل على كافة المسلمين . . . فهو المجاهد الأول في سبيل رسالة الإسلام ، وصهره ، وابن عمّه ، وفوق هذا فهو أبلغ العرب وأشجعهم وأكرمهم وأفقههم . . . فمن هو الأفضل منه في المسلمين؟

إن الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كان يعلم كما قلنا بأن

أية وصية لعلي بالخلافة ، أو كل إصدار منه على تعيينه للخلافة ، ستذهب أدراج الرياح ، أو ربما ضعضعت رسالة الإسلام ، وعملت على ارتداد الكثيرين إلى الوثنية ، فعلي بن أبي طالب كان يعتبر المعول الأول في هدم أركان العقائد الوثنية ، وزعزعة ركائز العشائرية المتأصلة ، وقواعد العائلات الكبيرة ، والثروات الضخمة ، والزعامات العريضة . ويلاحظ أن هؤلاء قد وجدوا الفرصة سانحة بعد انتقال الرسول الكريم ، لأخذ الثأر والإنتقام . والدليل على ذلك اجتماعات الثقيفة ، وفدك ، وهكذا أعطى الشعب الحاقد الدليل على أنه لم ينسَ الماضي ، وأن في النفوس حنين إلى دين الآباء والأجداد .

وأخيراً : أبعد علي بن أبي طالب عن الخلافة ، وتسلمها أبو بكر . . . فكان الأول يمثل عائلة النبوة العريقة الحاكمة المحافظة التي أبطلت ديناً قديماً ، وركزت على أنقاضه ديناً جديداً بعد أن هدرت آلاف الضحايا . والثاني يمثل الشخصية الشعبية الهادئة التي لم تحارب ولم تقتل أحداً ، أو لم تقم بأي عمل مضاد للأكثرية سوى التأييد للرسالة وللرسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم .

في الواقع . . . إنه لمن الغريب أن ينسى العرب جهاد علي بن أبي طالب في سبيل الإسلام ، ودفاعه عن النبي محمد ، وبلاءه في المعارك ، ونومه في الفراش ، وتقديمه الفداء والضحايا من أسرة أبو طالب في سبيل الإسلام . . . نسوا والده أبا طالب وجهاده في سبيل الدعوة الجديدة ، واحتضانه محمداً ، وإيثاره إياه وحدبه عليه ، ووقوفه بوجه قريش يذب عنه ، ويتحدى كل من يحاول أن يمسه بأذى ، وإننا لنرى هذا النبي يهاجر من مكة بعد وفاة عمّه ، لأنه لم يبق من أهله وعشيرته وأتباعه من يستطيع أن يحميه . . . نسوا علي وفصاحته وعلمه وشجاعته ، فكل هذه الصفات لم تقربه من قلوب الجماهير العامة ، ولم تجعل قريش تتنازل إلى التجاوب معه . . . لقد كانت هذه الجماهير ترى فيه القسوة والشدة في

سبيل تطبيق تعاليم الإسلام وعدم التهاون مع الخارجين والمناوئين . وأخيراً : فلا بد من القول بأن هناك ثورة شعبية انبثقت في تلك الفترة على العائلات المحافظة ، فانتصرت عليها انتصاراً أولياً ، وخذلتها ، وحاولت عزلها عن المجتمع ، ثم كان لها ما أرادت . أمَّا الثانية فإنها ظلَّت منطوية على نفسها تتابع مراحل الحكم ، وتعيش على آمال تراودها بأن الشعب سوف يصحو على الحقيقة ، وأن كل شيء سيعود إلى مبدئه بعد تجارب قاسية انقضت ، وطواها الدهر في طياته ، هكذا خيل للمجتمع ، ولكن النفوس النزاعة إلى الشر كانت تغلي كالمرجل ، وتجمع الحقد في سرية تامة ، منتظرة الفرصة السانحة للوثوب وأخذ الثأر ، ولكن أنَّى لها ذلك ، وهي أضعف من أن تقف في الميدان ، أو تملك الجرأة للإعلان عن عزمها أمام التيَّار الجارف المتحكم المسيطر الذي حمل بيده سلطات الدولة .

لقد كان التوفيق معدوماً بين مصالح الطبقات المتضادة في ذلك العصر البعيد ، أي بين مصالح الغني والفقير ، والثري والصعلوك . بين أصحاب المصانع والأراضي الواسعة والعمال والفلاحين ، وكل هذا يشكل معضلة من أهم المعضلات السياسية والاجتماعية ، وإننا نرى أن هذه الناحية المهمة لم تعالجها الرسالة الإسلامية كما يجب ، كما أنه لم يكن هنالك أية تعاليم ثابتة في هذا الصدد أصدرها الشارع . فالإسلام كالمسيحية أصلح المجتمع الروحي ، وعالم الدين ، وترك العالم المادي غارقاً في أتون التعاليم المتأصلة والمنحدرة من الجاهلية المتوارثة . لذلك عندما نقول : إن الدين ظلَّ منفصلاً عن الدولة ، فنكون قد أوردنا الحقيقة ناصعة ، بالرغم من أن السلطة الدينية استولت على المقاليد ، وكان بإمكانها إصلاح ذلك المجتمع ، ووضع قواعد ثابتة له . ولعلَّ الأحداث والحروب والظروف الطارئة جميعها ، وقفت حائلاً دون هذه الأمنية . وهناك أمر جدير بالإنتباه ، هو أن جميع الناقمين على الأوضاع الراهنة ، والطامحين بالمراكز والزعامات والمظلومين قد وحَّدَت بينهم المصيبة لأنهم وجدوا الفرصة سانحة بعد

انتقال الرسول الكريم ، وبعد إفلات زمام الخلافة من آل علي ، للإنضمام إلى صفوف المعارضة ، والإندماج في هذا الوسط ، ولكنهم اصطدموا برغبة الإمام علي التي كانت تحتم الإبقاء على الحالة الراهنة ، وعدم القيام بثورات علنية ، أو بحركات من شأنها إضعاف الدين الجديد ، أو نقض أساسه ، وكل هذا في سبيل الحفاظ على الرسالة الإسلامية التي ساهم الإمام علي ببناء أسسها ، وتوطيد دعائمها . ولكن هل نستطيع القول أن نجاحه قد تكلّل في هذا المجال؟

هذا ما سنبحثه ، ونجيب عليه في الصفحات التالية .

«في سبيل الخلافة»

إن أول حركة سياسية ظهرت في الجزيرة العربية ، بعد انتقال الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم هي الحركة التي قام بها الأوس والخزرج «الأنصار» ، وقد بدأت بالفعل عندما اجتمعوا الاجتماع الأول في ثقيفة بني ساعدة ، وعقدوا العزم على مبايعة سعد بن عبادة الخزرجي لمركز الخلافة ، وإنه لمن الواضح أن عمر بن الخطاب قد علم بأمر اجتماعهم السري . فجاء إلى أبي بكر وأخبره بالمؤامرة ، ثم إنهما اصطحبا أبا عبيدة بن الجرَّاح ، ودخلا إلى الثقيفة ، وفي نيتهما خوض أعنف معركة سياسية تقرر مصير أعظم مركز لدى الأمة الإسلامية . وبالفعل نرى أنه قد تجلّت في هذه الآونة الموهبة السياسية لهؤلاء الأقطاب الثلاثة ، فانتصر المهاجرون على الأنصار بأساليب فيها كل المرونة والنضوج العقلي . أمَّا الهاشميون فلم يعلموا بالأمر ، كانوا في شغل شاغل يقومون بتجهيز جثمان الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم تمهيداً لدفنه ، وهم مطمئنون إلى نيل الثواب . أمَّا حزبهم ، وفي عدادهم أبو ذر ، وسلمان الفارسي ، والمقداد بن الأسود ، والزبير بن العوَّام ، وعمَّار بن ياسر ، فكانوا يرون أن لا اختلاف بأمر الخلافة ، وأنها مقررة بالإجماع

لعلي بن أبي طالب ، لذلك كان نشاطهم محدوداً .

أجل . . . كان محمد مسجّى على الفراش ، وعلي ، والعبّاس ، وقثم ، والفضل إبناه ، والزبير بن العوّام ، وطلحة بن عبد الله ، وأسامة بن زيد جميعهم حوله ، ثم يأتي أبو بكر لينضم إلى هؤلاء الذين جاءوا يلقون نظرة أخيرة على جثمان النبي الكريم ، فلا يلبث أن يأتي أبو عبيدة ويدعوه لملاقاة عمر والتشاور معه ، ووضع الخطوط الأساسية العريضة لخوض المعركة السياسية الحاسمة .

ممّا لا ريب فيه أن الوضع العام للمسلمين في الجزيرة العربية ، بعد انتقال الرسول محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كان في مهب الرياح . فهو لم يكد يلحق بالرفيق الأعلى حتى أحدقت جيوش الأخطار من كل جانب بالرسالة الإسلامية ، ففي المدينة نفسها أحدث موت الرسول اضطراباً في الأفكار ، وجعل الجميع لا يفكرون إلاّ بهذا الحدث الخطير . والحقيقة أن جميع الأحقاد الكامنة قد استيقظت أثر الوفاة ، بعد أن ظلّت زمناً غير قصير في طيّات الصدور يطفي أوارها الرسول الكريم بنفوذه وقوته ، كلما أرادت الظهور إلى الواقع ، وكم هو مفيد أن لا يغرب عن بالنا أن الجماعات الذين أسلموا كرهاً ، أرادوا الرجوع إلى دينهم القديم بعد انتقال الرسول ، أو بعد سنوح الفرصة ، وعلينا أن نذكر أن هناك أنصار المدينة ، وهم الذين أرادوا التحرر من سلطات الأغلبية المتمثلة في المهاجرين ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين . وهناك الموجة الصاخبة التي علت وغايتها الارتداد عن الدين الجديد ، والرجوع إلى الوثنية القديمة . إن تلك الموجة العاتية ما لبثت أن طغت على الحياة في بلاد العرب ، وبين البدو الذين أرادوا التخلص من السلطة العليا في المدينة ، وهي التي كانت تفرض عليهم فرائض شتى لا طاقة لهم باحتمالها ، وهم الذين قد تعودوا أن يعيشوا أحراراً قبل رسالة الإسلام .

كانت المعركة السياسية الأولى تدور بين أحزاب ثلاثة هي : الأنصار، وقريش، وبني هاشم، وقد استطاع القرشيون أن يهزموا الأنصار في الجولة الأولى من المعركة، ومن المسلم به أن حزب الأنصار لم يكن وليد ساعته، وإنما هو حزب درس وصمم ووضعت أسسه منذ أيام الرسول الكريم. فالأنصار كانوا يعتقدون أنهم أول من لبَّى نداء الرسول، وأنهم أصحاب دار الهجرة التي تكوَّن فيها المجتمع الإسلامي، والمكان الذي انطلقت منه التعاليم إلى كافة الأرجاء، فضلاً عن تبجحهم وادعائهم بما بذلوه في سبيل الدعوة الإسلامية من دماء وضحايا وأموال. كانوا يرون أنهم أحق من قريش بزعامة المسلمين، فقريش لم يدخل أقطابها الإسلام إلاّ تحت السيف. كل هذه أسباب دفعتهم إلى عقد اجتماعهم الأول في الثقيفة، والإسراع بالإعلان عن عزيمتهم، لأنهم كانوا يخشون من أن تؤول السلطة إلى القرشيين، فيفلت زمام الأمور منهم، وعندئذ يصبح لقريش السلطة العليا التي تمكنها من الانتقام منهم ثأراً للضحايا التي سفك دماءها «الأنصار» في الحروب الأولى التي خاضوا غمارها في سبيل الإسلام.

من المسلم به... أن أبا بكر كان لبقاً في المعركة الأولى التي خاضها في سبيل الخلافة، وقد ظهرت خبرته ومرونته وبراعته حينما استغل الخلاف الداخلي بين الأوس والخزرج، فراح يخوّف الأوس من أن يتسلّم شؤون الزعامة الخزرج، كما أنه بالمقابل خوَّف الخزرج من الأوس، وعندما دبَّ الخلاف بين القبيلتين الكبيرتين على القيادة تضاءل الخطر، وانفرط العقد الذي كان يهدد القرشيين بأشد الأخطار. وهنا يظهر الحزب الهاشمي بزعامة الإمام علي في المجال متحفزاً لإحراز قصب السبق، والمبادرة إلى إعلان دعوته، التي كانت بالفعل غير عملية، فعلى الأقل فكرية أو نظرية. لقد كان هذا الحزب العقائدي يقول: بأن الخلافة يجب أن لا تخرج من بني هاشم، وأنها يجب أن تكون لعلي بن أبي طالب،

لأن علي هو أول من وضع سيفه، ووهب دمه وشبابه للإسلام، كما أنه أول من لبّى نداء الرسول الكريم وناصره وفداه وهاجر في سبيل الدعوة التي آمن بها إيماناً مطلقاً، ومن دراسة أحوال الحزبين الأولين نرى أنهما كانا قبليين إقليميين على جانب كبير من الإنكماش، بينما الحزب الهاشمي عقائدي شامل منظّم يضم في عداد رؤسائه رجالاً من قبائل شتى. ففيهم الأموي كخالد بن سعيد بن العاص، والغفاري، كجندب ابن جنادة «أبو ذر»، والكندي كالمقداد بن الأسود، والفارسي كسلمان، وعبيدي كعمار بن ياسر، إلى غيرهم من المهاجرين وعيون الأنصار، ولكن هذا الحزب الهاشمي الذي نحن بصدده لم يكن يتوقع أن تتم البيعة لأبي بكر في الثقيفة بسهولة، بدليل جواب الإمام علي لعمّه العبّاس، حينما ألحّ عليه بأخذ البيعة: «هذا أمر ليس يخشى عليه» ومعنى هذا أن علياً كان يعتقد أنه لا يوجد بين العرب من يختلف عليه بشأن الخلافة، ولكن العبّاس كان أكثر معرفة بما تنطوي عليه النفوس، وأكثر خبرة بأخلاق العرب، ثم نراه يلحُّ عليه مرة ثانية عندما جاء أبو سفيان لأخذ البيعة... فقال العباس: يا ابن أخي: هذا شيخ قريش قد أقبل، فامدد يدك أبايعك ويبايعك معي، فإنا إذا بايعناك لم يختلف عليك أحد من بني عبد المناف، وإذا بايعك بنو عبد المناف لم يختلف عليك قرشي، وإذا بايعتك قريش لم يختلف عليك بعدها أحد من العرب»... وهذا دليل على أن العباس كان يعلم أن هناك تخطيطاً سابقاً يهدف إلى سلب الخلافة من بني هاشم.

لقد كان آخر سهم أطلقه علي، بعد فشله في المعركة الأولى، هو خروجه إلى الأنصار محاولاً استفزازهم وضمّهم إليه كي يتخذ منهم قوة في سبيل إعادة الخلافة إليه. خرج ليذكرهم بجهاده في سبيل الإسلام، وإيثار الرسول الكريم، ولكن مرونة أبو بكر سدّت عليه كافة الثغرات. فالأنصار أنفسهم كانوا قد بايعوه وانتهى كل شيء. وهكذا يعود علي

خائباً ، ولكن هل نستطيع القول أنه عاد ليركن إلى الهدوء ، أم أنه جاء ليبدأ نشاطاً آخر ، ويخوض معركة على أسس جديدة؟

إن الأدلة والوقائع تشير إلى أن علياً تمكن في هذه الفترة من أن يضم إليه زعماء كبار من الأنصار كمثل : عبادة بن الصامت ، وأبو تيهان ، وحذيفة بن اليمان . وهؤلاء عقدوا مؤتمراً كبيراً في المدينة ، وطالبوا أن يكون أمر الخلافة شورى ، ولكن أبا بكر ردَّ الطعنة إلى صدر الحزب الهاشمي فتمكن من إحداث ثغرة في صفوفه ، أو بلغة أصح تمكن من قسمته إلى فريقين : فريق يطالب بترشيح علي للخلافة ، وفريق رأى في الساعات الأخيرة أن عمّه العبَّاس أكبر منه سناً ، وأجدر لهذا المنصب الكبير ، وهكذا دبَّ الخلاف في الحزب الهاشمي أيضاً ، كما دبَّ في صفوف الأنصار من قبل ، وكل هذا كان من الأسباب التي قرَّبت الخليفة الأول من كرسي الخلافة ، والإنتصار في أكبر معركة سياسية .

وأخيراً : تسلَّم عبد الله بن أبي قحافة «أبو بكر» شؤون الخلافة الإسلامية الأولى ، وبتسلمه المركز الكبير انتهى الشوط الأول من المعركة ، وامتلأت الصفحة الأولى من تاريخ الإسلام ، ولكن هل نستطيع أيضاً القول : إن الثورة هدأت من نفوس الفئة المعارضة الناقمة؟ وهل انتهى عمل الحزب المخذول؟

المعروف تاريخياً أن المعارضة كانت ممثلة بشخص علي بن أبي طالب ، وباعتقادي أن علياً كان مخلصاً لرسالة الإسلام ، وحريصاً على وحدة الصف ، وعلى المحافظة على البناء الذي أقام أسسه ابن عمّه الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم . وكل هذا كان من العوامل الكبرى التي وقفت بوجه أتباعه ومؤيديه ، وجعلته يعمل دائباً على التخفيف من حماستهم ، وإرجاعهم إلى الهدوء . ومِمَّا يجب أن لا يغرب عن بال كل باحث هو أن علياً لو فرَّط في الأمر ، وسمح لأنصاره

بالعمل ، واتخاذ الإجراءات الرادعة اللازمة ، لما كانت الخلافة وصلت إلى أبي بكر بهذه السهولة ، ولما كانت الأمور انتهت دون إراقة دماء ، ويجب أن لا يغرب عن بالنا بأن أقل معركة تنشب ، أو دماء تسفك في ذلك العهد المبكر ، كان سيجعل العديد من القبائل ، والأقطاب يرتدون عن الدين الجديد ، وفي هذا تهديم للكيان وللرسالة التي أقامها الرسول الكريم .

ومهما يكن من أمر . . . فنحن أمام ما يسميه المؤرخون ردة الفعل ، وهي التي انبثقت من صفوف الحزب الهاشمي بعد فشله في المعركة التي خاضها .

إن هذه الردة للفعل التي أخذ حزب الإمام علي يخوض غمارها ، لم تكن سياسية بالمعنى الصحيح ، إنها معركة عقائدية ، بل وأعمق من عقائدية ، وسنرى فيما بعد أثر هذا التخطيط الجديد في الكيان الإسلامي وفي المجتمع العربي .

«التشيع»

المعنى اللغوي لكلمة «الشيعة» هي الفرقة من الأتباع والأنصار الذين يوافقون على الرأي والمنهج . فشيعة الرجل في اللغة هم : مريدوه وأصحابه الذين اتبعوا رأيه ، وسلموا أمورهم إليه ، وأمَّا المعنى الإصطلاحي لهذه الكلمة فهي الفرقة المتميزة بعقائدها ، وعاداتها الخاصة ، والمعروفة عند الفقهاء ، والمتكلمين ، ومؤرخي الفرق .

ونذهب إلى أبعد من ذلك في القول إلى أن الشيعة في بدء ظهور الإسلام ، كانت فكرة نظرية ، ولكنها أصبحت حزباً سياسياً منظماً لعلي ابن أبي طالب ، وبنيه من بعده ، وخاصة بعد الفشل الذي مني به في معركة الخلافة الأولى ، على أن هذا الحزب لم يبرز إلى الوجود ، وإلى مجال الواقع العملي التنظيمي ، إلاَّ في وقت متأخر .

إن أول بذرة وضعت في بناء الشيعة، نظرية القول بأفضلية علي بن أبي طالب، والتمسك بولاية آل بيت الرسول الكريم، والإنحياز إليهم في كل نازلة تنزل، وفي كل خطب يلم. وهذه الغرسة كانت موجودة في أفكار رجال الكتلة التي سميناها «الحزب الهاشمي»، وليس معنى هذا أن الفكرة لم تكن موجودة إلاّ في يوم الثقيفة، بل على العكس من ذلك، فإن الفكرة موجودة منذ عهد الرسول، ولكنها لم تكن لتظهر واضحة محدودة الأهداف في الزمن المتقدم، وعندما فشل علي بن أبي طالب، كما قلنا في المعركة الأولى، اشتد بروز الفكرة إلى حيز الوجود، وتركزت تركيزاً عملياً، واستمدت عناصر حياة جديدة، بعد المظالم التي تعرَّض لها علي وفاطمة وأهل البيت، حيث اتخذت القضية صفة نضالية دينية، وعندما نشبت حروب الجمل، وصفين بلغت تمام نموها، بعد أن اغتذت بالدماء السائلة، والآلام المشتركة، والمصير المحتم، والهدف الواحد.

وفي أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية، تكامل النظام الفكري للمذهب الشيعي في بحوث عقلية منطقية، وآراء فلسفية عميقة تدور حول مسائل الإمامة، والتأويل، والفقه، وغير ذلك من فروع العقيدة الإسلامية، وقد اتخذت شكلاً عقائدياً كامل الفكرة والإتجاه والأهداف، وظلّت على مر العصور تتكامل وتتطور وتتفاعل حتى عصرنا الحاضر.

«الخلافة»

الخلافة نظام من أنظمة الحكم خاص بالمسلمين وحدهم، وهو منصب قوامه الدين وأساسه الشريعة، ويقضي بأن يكون للخليفة على كل فرد من المسلمين الولاية العامة، والمبايعة الصادقة، والطاعة التامة لأنه نائب عن الرسول الكريم في الحفاظ على الدين، وحماية الشريعة، والسير

بمقتضى التعاليم والأصول التي جاء بها القرآن الكريم ، واتخاذ الخطوات لإعزاز مركزها ، والعمل على نشر تعاليمها .

ومن واجبات الخليفة أيضاً ، أن يلقي خطبة الجمعة ، ويؤم المسلمين في الصلاة ، وفي الأعياد ، وكذلك إعطاء الفتاوى المستمدة من تعاليم القرآن ، وتعيين الوزراء والقواد والولاة والشيوخ والتصرف بشؤون بيت مال المسلمين ، وإعلان الحرب ، وإعداد الجيوش ، وإصدار العفو . ولقد لعبت الخلافة الدور الرئيسي في حياة المسلمين بعد الرسول الكريم . فكانت المركز الهام الذي يتهافت على استلامه العظماء وذوو الشأن من المسلمين ، ولولا هذا المركز ، وانقسام المسلمين بشأنه ، واختلافهم على الشخصيات المرشحة له ، لما وصلت الأمة الإسلامية إلى ما وصلت إليه من الإنقسام والتأخر ، ولكانت أعظم أمم الأرض على الإطلاق .

إن صلاحيات الخليفة بعد الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كانت تتطور حسب المكان والزمان وشخصية الخليفة ، وسعة علمه ودرايته . أمّا في عصرنا الحاضر فقد انتهى دور هذا المنصب ، ولم يعد له أي وجود ، وكان آخر خليفة للمسلمين هو السلطان «محمد السادس» العثماني ، وكان مركزه في القسطنطينية سنة ١٩٢٢م .

«الإمامة ـ نشوؤها ـ وفلسفتها»

ما اختلف المسلمون في أمر اختلافهم في الإمامة . وهذا الخلاف لم ينشأ عن أي أثر من الغموض في التعاليم الإسلامية ، أو من الجهل بتفهم نصوص القرآن الكريم أو تفسيره أو تأويله ، إنّما وقوع كل ذلك كان بدافع سياسي بحت ، والسياسة ما كانت إلاّ أداة للتفرقة والإنقسام فهي كما قيل : ما دخلت في شيء إلاّ أفسدته . وممّا يجب أن نقوله في الإمامة :

إنه بعد الفشل الذي مني به أتباع الإمام علي بن أبي طالب في المعركة

السياسية الأولى التي وقعت بعد وفاة الرسول الكريم مباشرة، وخاصة بعد اليأس الذي تسرَّب إليهم من تولي الخلافة كما قلنا، لم يجدوا في الأفق سوى فكرة الإمامة يطلعون بها، ويردون على أعدائهم الذين اغتصبوا حق الإمام علي انتقاماً وثأراً، وهي أعظم من الخلافة الزمنية، وأوسع منها صلاحية ومقاماً.

أجل . . . طلعوا بفكرة الإمامة، وقالوا: إن علياً بن أبي طالب هو الإمام الأول، وأوردوا الأقوال، والوصايا، والأحاديث، والحجج التي تؤيد قولهم، ولم يكتفوا بذلك، بل ذهبوا إلى أبعد حدود التقديس والتعظيم لحاملها، بل إن بعضهم جعلها من الأسرار الإلهية، أو المظهر الربوبي، أو الألوهية المصغرة بذاتها بكل ما في هذه الكلمة من معنى. ولا بد من القول:

بأن أول بذرة وضعت في حقل الإمامة كانت البذرة التي غرسها «عبد الله بن سبأ»، وهو الذي ذكرت المصادر الإسلامية عنه: أنه من أصل يهودي يمني، وأنه مؤسس الفكرة السبئية التي كانت تدعو إلى تأليه الإمام علي، ولكن علي قتله وأحرقه، وكان يلقب «بابن السوداء»، وقد أيَّد الطبري الروايات التاريخية الأخرى فقال:

كان يهودياً، وأسلم في السنة السابعة في خلافة عثمان بن عفان، أي سنة ٢٩ أو سنة ٣٠هـ، وسرعان ما ظهر بعد إسلامه في ثوب الغيور على الدين، ممَّا أدخل الشك على المؤرخين، ولا سيما العرب منهم. فجعلهم يعتقدون أنه إنَّما اعتنق الإسلام لغاية في نفسه، أو ليكيد للإسلام، وأنه كان من أقوى العوامل لإثارة الناس على عثمان.

مصادر التاريخ كلها تؤيد النظرية القائلة: بأن عبد الله بن سبأ بعد إسلامه تنقل في البلاد الإسلامية. فبدأ بالحجاز، ثم بالبصرة، ثم بالكوفة، ومنها سافر إلى الشام فمصر، وفي الشام التقى مع أبي ذر

الغفَّاري ، وكوَّنا أول فكرة للشيعة الإمامية ، ثم أنهما جاءا إلى المدينة فغرسا معاً أول بذرة للشيعة ، أو بالأحرى للإمامة . والإمامة برأي الشيعة هي زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعزّ المؤمنين ، وأسٌ الإسلام النامي ، وفرعه السامي ، وأنها تمام الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، وتوفير الفيء ، والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام .

واتفق أكثر المسلمين على القول :

بأنها أمر محتم ، فلا يجوز أن يبقى المسلمون دون إمام يسير بهم على كتاب الله وسنّة رسوله ، ويقودهم في الطرق المؤدية إلى النجاة والخلاص . فالإمامة إذن أمر محتم ، وجائز ، وليس فرضاً ، وهناك فريق من أهل السنّة يقول : إنها تثبت بالإختيار ، وإجماع الأمة ، أو أنها واجبة عليها .

أمَّا الشيعة الإثنا عشرية فيقولون :

إنها واجبة على الله تعالى من باب اللطف ، ووجوب تنصيبه من قبل الله تعالى ، لإقامة الحجة على عباده ، وأنه يتم باختيار الأمة المسؤولة عنه ، وواجب عليها ، وأنَّ الله لا يخلي الأرض من حجة ظاهرة أو مستورة . وهناك من يذهب إلى أنها فرع من فروع الدين ، وليست من أصوله ، فإن شاء المسلم أقامها ، وإن شاء أهمل أمرها . أمَّا الذين ذهبوا إلى وجوبها فهم على قسمين : منهم من ذهب إلى أنها من أصول الدين ، ومنهم من ذهب إلى أنها من فروعه . فالقائلون أنها من أصول الدين ذهبوا إلى أنها واجبة على الله فهي عندهم أمر يرجع إلى الله ورسوله ، ولا علاقة فيها للمسلمين . أمَّا القائلون بأنها من فروع الدين ، فقد رأوا أن جماع الأمة مسؤولة عن هذا الواجب ، ولا بد لنا من التحدث عن الرازي وما ذكره في كتابه «المحصل» حول هذا الموضوع . قال :

منهم من قال بوجوبها ، ومنهم من لم يقل ، أمَّا القائلون بوجوبها فمنهم من أوجبها على الخلق . فالذين أوجبوها على الله تعالى هم الإمامية ، ثم ذكروا في وجوبها وجوهاً عديدة : أحدها : أن يكون لطفاً في الزجر عن المقبحات العقلية ، وهو قول الإثني عشرية ، والثاني : أن يكون معلماً بمعرفة الله تعالى وهو قول السبعية ، وثالثها : أن يعلمنا اللغات ، وأن يرشدنا إلى الأغذية ، ويميزها عن السموم ، وأمَّا الذين أوجبوها على غير الله تعالى ، فهو قول الجاحظ ، والكيسي ، وأبو الحسن البصري ، وأمَّا الذين أوجبوها سمعاً فقط منهم جمهور أصحابنا ، وأكثر المعتزلة . وأمَّا الذين يقولون بوجوبها فهم الخوارج ، وأمَّا الزيدية فساقوا الإمامة على مذهبهم ، وقالوا بأنها باختيار أهل الحل والعقد لا بالنص . وأمَّا الإسماعيلية فذهبوا إلى أبعد من ذلك ، عندما اعتقدوا أنها تولية إلهية ، وأنها فرض من فروض الدين ، وأنها وجدت منذ أن وجد الدين ، وتقابل الإيمان في الإعتقادات ، وأنها واجبة ، إذ لا يتم اعتقاد أو شرع إلاَّ بوجودها ، ولهذا كانت هذه الفرقة هي الوحيدة التي ظلَّت سائرة في ظل الإمامة ، وقائمة بواجباتها حتى وقتنا هذا . أمَّا عن النسب في الإمامة ، فقد قال بعض الشيعة :

إنَّ النسب شرط في الإمامة . وقال آخرون : إن النسب ليس بشرط أصلاً ، وأنها تصلح في القرشي ، وغير القرشي إذا كان فاضلاً مستجمعاً للشرائط المعتبرة ، واجتمعت الكلمة عليه ، وهو قول الخوارج ، وقال معظم الزيدية : إنها في الفاطميين خاصة ، وفي الطالبيين ، ولا تصلح في غير هذين البطنين ، وبعض الزيدية يجيزها في غير الفاطميين . أمَّا الراوندية فإنهم خصصوها بالعباس وولده ، لأنهم من بطون قريش ، وأمَّا الإمامية فإنهم جعلوها سارية في ولد الحسين بن علي ، وجعلتها الكيسانية في محمد بن الحنفية وولده ، ومنهم من نقلها إلى غير ولده . قال الرازي :

إن نصب الإمام يجب أن يفرض على الخلق أن ينصبوا لأنفسهم رئيساً ، أمَّا كيف يجب تنصيب الإمام لدى الفريق القائل بوجوبها على الله والقائلين بوجوبها على الأمة فهي :

إن جميع الشيعة ما عدا الزيدية ، وبعض المعتزلة يقولون : إن الإمام يجب أن يكون بالنص من النبي أو القائم مقامه لأنها بنظرهم من أصول الدين ، وأنها واجبة على الله ، وهناك طائفة من الفرق الإسلامية تذهب إلى أبعد من ذلك . فتقول : إن الإمام راجع إلى الأمة المسلمة لأنها من فروع الدين . أمَّا الغلاة فقد شذوا وبعدوا حينما اعتبروها الوهية أو حلولية أو ما شابه ذلك من الأقوال التي لا تنطبق على واقع أو حقيقة . ولا بد من أن نأتي على أقوال فلاسفة الإسماعيلية في الإمامة ، وهي أهم من كل ما ذكرناه . فنقول :

في الإعتقادات الإسماعيلية يجوز أن تنتقل الإمامة من الآباء إلى الأبناء ، ولا تنتقل من أخ إلى أخ ، أو من جدّ إلى حفيد ، وهذه الإمامة يكون انتقالها عن طريق الميلاد الطبيعي فيكون ذلك بمثابة نص من الأب إلى الإبن ، وكذلك يقولون : إن الإمام بما أوتيه من معرفة خارقة للعادة ، يستطيع أن يعرف أي أبنائه قد نالها بالنص كما يعتقدون : أن الإمام لا يخطىء في معرفته هذه بحال من الأحوال ، وإلاَّ لما عُدَّ إماماً ، وكل هذا كما يظهر مستمد من أصولَ القرآن : «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِه» . ويضيفون إلى قولهم : إن الله لا يترك العالم خالياً من إمَام ، لأنه حَجة الله على خلقه وهاديهم إلى الطريق المستقيم ، وأبوهم الروحي . فوجب على كل مؤمن أن يتبع هذا الإمام وأن يسلّم أمره إليه ، وجعلوا ولاية الإمام أحد أركان الدين ودعائمه ، بل هو الإيمان بعينه ، ثم ذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما قالوا : إن الإمامة أفضل دعائم الدين وأقواها ، ولا يستقيم الدين إلاَّ بها . فالإمامة هي المركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض ، فلا يصح وجودها إلاَّ بوجوده ، ثم إنهم يقولون بالنص ، وأن الإمامة

تستمر مدى الدهر ، وأن الكون لا يستطيع البقاء لحظة دون إمام ، وأنه لو فقد الإمام ساعة واحدة لمات الكون وتبدد ، فهي تعادل درجة الإيمان كما قلنا ، أو القلب في الجسم ، أو العقل في الرأس ، وفوق هذا ، فالإمام في نظرهم يحل الحرام ، ويحرم الحلال ، ويقيم حدود الله ، ويذبّ عن دين الله ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحجة الباقية .

أمَّا الإمامة من الناحية الفلسفية فهي بنظر الإسماعيليين تذهب إلى حد القول : بأن الخالق الباري ، قديم وقبل الأزل ، وأن عالم الموجودات والمبدعات محدث ، لأنه إذا كان غير محدث فيجب أن يكون شيء سابق قد أحدثه ، وإذا كان العالم القديم قبل الخالق ، استحال تعلق جبروته بالقدم ، ووجوده بالعدم ، واقتضى موجداً عمل على إيجاده ، وهو المتعالي عن درك الصفات . فلا ينال بحس ، ولا يقع تحت نظر ، ولا تدركه الأبصار ، ولا ينعت بجنس ، ولا يخطر في الظنون ، ولا تراه العيون ، ولا يوصف بالحواس ، ولا يدرك بالقياس ، ولا يشبه بالناس . فهو المنزّه عن ضد مناف ، أو ند مكاف ، أو شبه شيء . تعالى عن شبه المحدودين ، وتحيرت الأوهام في نعت جبروته ، وقصرت الأفهام عن صفة ملكوته ، وكلّت الأبصار عن إدراك عظمته ، ليس له مثل ، ولا شبه ، هو غير ذي ند ، وغير ذي ضد ، لأن الضد إنما يضاده مناف دلَّ على هويته بخلقه ، وآثاره على أسمائه بأنبيائه . فليس للعقل في نيلٍ سمائه مجال أو تشبيه ، إذ أن تشبيه المبدع بمبدعه محال ، فهو سبب كل موجود ، ومبدع المبدعات ، ومخترع المخترعات ، وسبب كون الكائنات ، ورب كل شيء ، وخالقه ومتممه ، ومبلغه إلى أفضل الأحوال . جلَّ أن يحده تفكير ، أو يحيط به تقدير . ليس له أسماء لأن الأسماء من موجوداته ، ولا صفات لأن الصفات من أبياته ، وأن حروف اللغة لا يمكن أن تؤدي إلى لفظ أمه ، أو أن يطلق عليه شيء منها ، لأنها جميعها من مخترعاته ، وأن كافة الأسماء التي أبدعها جعلها أسماء لمبدعاته ، هو قديم وقبل الأزل ،

وصاحب مصدر الأولية بالترتيب ، لأن الحد الأول انبثق منه ، والموجود الأول فاض منه ، وهو مبدع المبدعات ، ومعل العلل ، وباري البرايا ، والدائم الموجود ، والفرد المعروف بفرديته ، وصمدانيته ، وصاحب فعل الإيجاد الأول للعدد الأول الذي هو أصل الأعداد ، كما أن العقل هو أصل الموجودات ، والناطق أصل عالم الدين ، ويضاف إلى كل هذا بأنه لا ينال بصفة من الصفات ، وأنه ليس جسماً ، ولا هو في جسم ، ولا يعقل ذاته عاقل ، وله يحس به محس ، وهو ليس بصورة ولا بمادة ، ولا يوجد في اللغات ما يمكن الإعراب به عنه ، وهو موجود ، لأنه لا يصح أن يكون غير موجود ، ولا أن يكون موجوداً من نوع الموجودات التي وجدت عنه ، وأمَّا الإستدلال عليه فيستخلص من وجود الموجودات ، وذلك لأنه لا معلول دون علة ، ولا موجود إلاَّ بما يوجب وجوده ، وأن الموجودات يستند بعضها في وجوده إلى بعض ، وأن بعض الذي يستند إليه البعض الآخر من الموجودات غير ثابت في الوجود ، وليس له أي وجود . ويقولون : إن توحيد المبدع قد عرَّفه الدليل المرسل الذي أرسل هادياً للأمة دون تشبيه أو تعطيل أو تحديد أو تكييف ، وإن من عرف الإبداع معرفة جيدة ، والمبدع ، والمبدَع الأول الذي هو العقل الأول ثم الثاني ، وهو النفس الكليَّة ، ثم الهيولى ، ثم الصورة الكلية ، إلى آخر الحدود السبعية ، ثم نزَّه الخالق واعتقد بطاعته ، وطاعة الأنبياء المرسلين ، والأئمة الوارثين ، فيكون قد عرف الله على الحقيقة ، وحاز مرتبة الخلود في جنان عالم العقل والنفس العلويين ، وبغير هذا تعود نفسه إلى هوة السعير المظلمة ، وعالم الزمهرير ، تتقلب في أجوائه بالصعود تارة ، وبالهبوط تارة أخرى حسب أعمالها واجتهاداتها ، وهي في كلتي الحالتين تكون محجوبة عن كل معرفة ونور وقرب واتصال ، سائرة في عالم يكتنفه الظلام الدامس ، والعذاب الأليم .

ويقولون عن أمر المبدع :

إنه القادر على التخليق ، لا من شيء هو مادته ، ولا بشيء هو آلته ، ولا مع شيء هو رفيقه ، ولا مثل شيء هو شبيهه ، ولا لشيء هو ذو حاجة إليه ، ويطلق على الأمر العلم والحكمة والوحدة ، ومعنى ذلك أن أمر الباري لم يخالف علمه ، ولا علمه يخالف أمره ، ولا وقع بين ما علم من كيفية إبداع المبدعات ، وبين ما أمر من فعل البينونة . ومعنى الكلمة الواقعة على الأمر أنها ممَّا تحمل على الاسم ليكون به قولاً مؤلفاً من اسم وكلمة ، فلمَّا وضعت الكلمة بمعنى أمر المبدع ، فقد أمر المبدع جلَّ جلاله أن تلحق بأمره كلمته ، كما تلحق بما دونه من المبدعين ، ومعنى المواحدة أن الله تعالى مقدِّر التوحيد الذي منه انبعاث الواحد المتعالي عن سمات البرية ، ومظهر المبتدعات المستغني عن مشاركة قوة أخرى معه ، فهو وحدته التي خرجت الأشياء منها دفعة واحدة . وقد نزلت بذلك آيات كثيرة منها :

«وَمَا أمرُنا إلاَّ واحدةٌ كَلَمْحِ البَصَر» و«إلاَّ لهُ الخلقُ والأمرُ» و«لا يحيطون بشَيءٍ من علمه إلاَّ بما شاءَ» و«أنزله بعلمه» و«أتت كلمة ربّك صدْقاً وعدْلاً» و «إذا دعي الله وحده» و «ليعبدوا الله وحده» .

إن «الأمر» ليس من الحدود العلوية ، كما يعتقد البعض ، وليس له ممثول في عالم الطبيعة ، بل هو مصدر الأفعال ، وقوة إرادية ، ومشيئة عليا انبعثت من نفس المبدع ، وأن الإرادة والمشيئة والأمر بمعنى واحد لأنه إذا شاء أراد ، وإذا أراد أمر ، وكل ذلك عبارة عمَّا اتصل بالمبدع الأول من الأمر الساري إليه من مبدعه ، وقد صار العقل الأول ، وما اتصل به من مبدعه شيئاً واحداً لا تمايز فيه ولا تغاير . ويضيفون إلى ذلك :

بأن الأمر هو تدبير للسياسة ، وقول عادل صدر عن مقام الرئاسة ، وفعل صدر عن الرئيس الأعلى ، ورأي صائب جال في فكر عاقل مدبر . أمَّا العقل فهو وجه الباري ، كما أن النفس وجه العقل ، وأن الروح لا

توجد في البداية، بل توجد في النهاية، وهي قوة جارية في الأعضاء كمثل الهواء الجاري في الأضواء، أو هي كمثل الحمل الذي يتكوَّن من ماء دافق حقير، وعندما تستوي خلقته وتنتقل من لا شيء صورته، ويصير في دار الحس، وتنتشر فيه مواد النفس يعتبر عندئذ خلقاً جديداً ظاهراً، وهكذا روح القدس في البداية تقبل أمر الأمر للنهاية في بحر ذلك الكور فاضت قبل حدوث الدور، لأن أرواحها موجودة في الأول من جوهر العقل اللطيف، وأنها تقبل تأييد الباري لأنها في عالم العقل النفيس، وأن الجوهر الثمين يخرج من الصدف الخسيس، وخاصة عندما يتجلّى العقل للنفوس في ختام الأكوار، وإبتداء الأدوار، وهذا ما طلبه آدم، وسعى إليه، ظاناً أنه دائم وسرمدي لا يزول. وننتقل بعد ذلك للتحدث عن العقل الأول الذي يمثل الإمامة. فنقول:

إنه أول من حد من حدود الموجودات. فهو المنبعث الأول، والواحد بترتيب العدد، وأول خلق ظهر من أمر الله تعالى، وسمي «العقل» لأن المبدع حصر في جوهره صور المبدعات كلها كي لا يذهب شيء منها، ويقال للعقل أيضاً «القلم» لأن بالقلم تظهر نقوش الخلقة من الإبتداء إلى الإنتهاء، ومن العقل تنفطر الحروف الجامعة للكلام، ويقال للعقل «العرش» ومعناه أن إقرار معرفة التوحيد هو ما يتقرر في العقل من الإثبات والنفي، وبالعقل تعرف جلالة الله وعظمته عن سمات البرية، كذلك العرش فهو مقر لمن جلس عليه، وبجلوسه عليه تعرف جلالته عمن هو منحط دونه، ويقال للعقل «الأول» ومعناه أنه مصدر الأولية التي ظهرت منها المخلوقات، ويقال للعقل «السابق» ومعناه أنه سبق لقبول آثار الكلمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحاده بها وهي والعلم والأمر بمعنى واحد، وقد يجوز أن يكون فعل العقل، قد سبق قوته، ولم توجد هذه الفضيلة في موجود سواه لأن جميع الحدود من دونه قواتهم سابقة لأفعالهم، وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً، وأن العقل

هو الأول في الوجود ، والسابق في الوجود ، والتام في الوجود ، والتمام في الوجود ، والحد الأول والمبدع الأول ، والمترتب أولاً في الوجود على طريق الإبداع كاملاً أزلياً ، فهو الملك المقرب ، والإسم الأعظم ، لا إله إلاَّ من أبدعه ، كما وأنه أداة باطنة في الإنسان فيه يبصر ما يبطن ، كما أن العين أداة ظاهرة فيها يبصر ما يظهر ، وهو كالواحد بين الأعداد من حيث تعدد النسب والإضافات ، فكما أن الواحد يتعدد بالنسبة إلى غيره من الأعداد ، ويتكثر بالإضافة إلى غيره من الأعداد ، ويتكثر مرة أخرى أيضاً إلى غيره من هذه الأعداد فإنه يبقى مع ذلك واحداً دائماً ، فكذلك الموجود الأول تتعدد نسبه ، وتتكثر إضافاته إلى ما سواه من الموجودات ولكنه يظل مع ذلك واحداً أبداً ، وللعقل وظيفتان : وظيفة التفكير في الباري عز وجل ، ووظيفة التفكير في نفسه ، ومن العقل انبثقت نفس العالم ، ولها ميلان علواً إلى العقل ، وسفلياً إلى عالم الطبيعة ، وهناك من يطلق على الموجود الأول اسم المبدع الأول ، أو العقل الأول ، أو المحرك الأول باعتباره أصلاً لجميع المتحركات في عالمي العقل والجسم ، وأن الحدود وجدت عن بعضها البعض بترتيب بديع ، فمن العقل النفس ، ومن الهيولى الصورة ، ومن الصورة وجدت السموات والأرض وحركاتها .

إن العقل الأول مركز لعالم العقول ، والعقل الفعَّال مركز لعالم الأجسام العالية الثابتة إلى الأجسام المستحيلة المسماة عالم الكون والفساد ، والعقل أول مبدع أبدعه الباري ، فهو الإبداع الأول ، والخلق الأكمل ، وأنه فعل فعله الباري بذاته ، وأوجده بكلمته وقدرته التي قدر فيها وجوده ، والعقل أقرب الأشياء من باريه جلَّ اسمه ، وهو الفاعل لما دونه بأمره ، وفي المعلول توجد العلة ، ويضاف إلى كل ذلك : بأن العقل هو العلة الأولى لوجود ما سواها من الموجودات ، والمبدأ الأول لحركة جميع المتحركات في عالمي العقل والجسم ، فهو دائم الإشراق في الأدوار يقبل

ما يتصل به من فيض المبدع ، وأن نوره كنور الشمس في المثال ، وكمشيئة المبدع وحكمته النافذة في البرية التي أوجبت أن يفيض منه كثرة الأعداد حتى تظهر القدرة ، والمبدع الأول هو علة الوجود والموجودات الكائنة ، كما أن الواحد هو علة الأعداد جميعها ، وأن الإنسان مكوَّن من كثيف ظاهر ، ومن لطيف باطن . فالكثيف الظاهر ينقسم إلى عناصر الحياة الأربعة التي هي التراب والهواء والنار والماء ، وهناك شيء لطيف باطن هو العقل ، وقد أطلق على النفس الناطقة النفس الكليَّة ، وعلى العقل الكلِّي أيضاً ، لأن العقول الجزئية ، والنفوس الجزئية التي في الإنسان منسوبة إلى العقل الكلِّي ، والنفس الكليَّة في عالم العقل ، وهو الباطن اللطيف ، وأن العقل سابق في الوجود على كل الحدود كما أن النفس به لاحقة ، ثم إن الهيولى سابقة ، والطبيعة لاحقة تشوقت إلى الصورة وهيولاها كتشوقها إلى لطائفها إذ بها كمالها وتمامها ، والهيولى الأولى مشتاقة إلى النفس ، وما تقبله من فيضها .

أمَّا النفس فهي الخلق الثاني المنبثق من الخلق الأول ، وإنما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للإستفادة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة ، ويقال للنفس «اللوح» ومعناه أن الذي انفطر من العقل من أنوار الكلمة يتسطَّر في النفس ، ومن النفس يتصل بجريانها المنبثة منها على مقدار صفائها ولطافتها ، ويقال للنفس «الملك» ومعنى ذلك أن النفس هي ملك العقل وقينته ، لأن بالنفس ظهرت فضيلة العقل ، كما أن بالملك تظهر فضيلة الملك ، ويقال للنفس «الثاني» ومعناه أنها الحال الثاني لجميع المخلوقين ، ومحافظتهم أشياءهم إنما تفضيل النفس ، ويجوز أن تتلو النفس بقوتها العقل بفعله ، ويقال للنفوس «القدر» ومعناه أن الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل ، فإن التقدير والتحديد محيطان به ، ويقال للنفس «الصورة» ومعنى ذلك أن النفس تصورت من جوهر العقل وضيائه ، وأنها متى همَّت أن تلحق به لتنزل منزلته محق نورها ، كما أن القمر يستفيد نوره

من نور الشمس ، وإذا اجتمع مع الشمس في المنزلة محقت أنوارها نوره ، ويقال للعقل والنفس بكلمة واحدة «الأصلان» ومعناه أن العقل والنفس مرجع الأشياء سواء أكان روحياً أم جسمانياً . أمَّا متى يكون اتصال النفس الكليَّة بالإنسان ، ومتى يكون معادها ، فالجواب هو أن النفس النامية هي الحياة الكامنة في كل شيء من موجودات عالم الكون والفساد ، وهي التي تسمَّى الحياة الهيولانية ، ويعني أنها موجودة في كل هيولى طويل عريض عميق ، وهي تنسل في الأبخرة الصاعدة من الماء والأرض إلى الهواء ثم يمازجها قسط من الهواء ، وقسط من النار ، وتصير غيوماً ، ثم تنحل مطراً فإذا انعقد من ذلك المطر معادن كانت تلك الحياة وهي التي تسمَّى النامية والكامنة في تلك المعادن ، وإذا ظهر ذلك المطر نباتاً كانت تلك الحياة فيه تسمَّى نفساً نامية ، واتصالها به عند حصول البذر الذي هو سبب النبات في الثرى الذي هو الماء والتراب ، لإنمائها ذلك النبات وتحريكها إياه ، وقد سميت نامية لأنها تجتذب له الغذاء بالعروق من عمق الأرض ، وتزيد في طوله وعرضه وعمقه ، فإذا حصل من ذلك مع ما يلائمه من الأغذية مع بعض الحيوانات التي يغتذيه نطفة كانت تلك الحياة كامنة في تلك النطفة ما دامت في أصلاب الذكران ، فإذا ظهرت بالمناكحة إلى أرحام الإناث كان عند وقوعها في الرحم ظهور فعل تلك الحياة من تلك النطفة التي هي كامنة فيها ، فحركتها وأنمتها طولاً وعرضاً ، وجذبت بقوتها التي هي الجاذبة للغذاء إلى كل عضو قسطه بالقوة الماسكة ، وهضمت ما يرد عليها من الغذاء بالقوة الهاضمة ، ودفعت فضول الأغذية بالقوة الدافعة ، وأنمت كل عضو بالقوة المنمية ، وصورت كل عضو صورته التي تلتقي به بالقوة المصورة ، وغذت كل عضو بما يصلح له من الغذاء بالقوة الغاذية ، فهذه قوى النفس وفعلها في الجسم ، واتصالها به عند وقوع النطفة في الأرحام ، ويضاف إلى كل ذلك أن النفس الكليَّة تصدر عن الملائكة الموكلين بعالم الطبيعة ، وعن الملائكة وعالم الطبيعة يصدر عن الإنسان بالنفس والجسم ، وعن الهيولى والصورة

يصدر عالم الطبيعة بأفلاكها وكواكبها ، فترجع النفس إلى ما عنه وجدت ، وهم الملائكة ، ويرجع الجسم إلى ما عنده وجد وهو الهيولى والصورة ، والنفس جوهر لطيف يقبل نور العقل ، وقد وجد وهو الهيولى والصورة ، والنفس جوهر لطيف يقبل نور العقل ، وقد وجد بعد العقل ، وهي القوة الثانية الجامعة للأنوار ، وقد أودعت صورة الأشياء جميعها من ميت وناطق وحي . وأن النفس الكليَّة مستعدة للإحاطة بالعلم وقبول الصور كالشمعة التي تنال من الحرارة فتصبح قابلة للنقش ، أو أنها ذات شبيهة بمادة تحصل فيها صورة . إذن فهذا النقش وتلك الصورة احتوت على المادة بأسرها وصارت المادة بجملتها كما هي بأسرها في تلك الصورة كما أن النفس قبل تعلقها بالجسم تحرَّكت حركة طويلة غير متوهمة كتوهم الحركات المحسوسة الكائنة في الزمان الفلكي ، وكانت في عالمها الروحاني ، ومحلها النوراني ، ومركزها إلى جانب العقل الفعَّال ، تقبل منه الفيض والفضائل والخير ، وتتراءى فيها المثلات العقلية الربانية ، وكانت معه ملتذة مسرورة . فلمَّا أقامت على تلك الحركة الفاضلة ، والنعمة الكاملة ، والبركة الشاملة ما لا يصل إلى تصوره الوهم الجزئي ، والتخيل الحسي فامتلأت من تلك الفضائل والخيرات ، وأرادت التشبه بعلتها ، وأن تكون مفيدة ، وأن تكون ذاتاً تامة وجوداً ، فلمَّا رأى الباري سبحانه ذلك مكّنها من الجسم ، وهيّأه لها وخلق من ذلك الجسم عالم الأفلاك بعضها في جوف بعض فتحركت النفس فيها حركة إختيارية ، فوجدت في الأشياء المخلوقة منها قوة القبول لآثارها ، فصوّرت فيها صورة ما في ذاتها ، وجعلتها ونقشتها وصنعتها وأكسبتها الحركة ، وأن الباري جلَّ جلاله ، وتقدَّست أسماؤه لمّا أبدع الموجودات في المبدع الأول ، وهو العقل اخترع المخترعات بوساطة النفس وجعلها مقدرة في الكائنات مكونة بحس الأمهات والمواليد ورتبها ونظمها كمراتب الأعداد عن الواحد الذي قبل الإثنين ، والإثنين الذي قبل الثلاثة ، وكذلك إلى ما بعده وجعل لكل جنس منها حداً مخصوصاً ونهاية معلومة متطابقة بعضها لبعض فاعلة

ومنفعلة وهيولى وصورة نوعاً وجنساً إذ أنه رأى أن ذلك أحكم وأتقن وأكمل وأحسن وأهدى إليه وأبين ، والنفس منها عاقلة مميزة ناطقة معبرة ونامية وحيوانية ، وهي درّاكة بالقوة ، فعّالة بالطبع ذات سبع قوى هي : العاقلة ، والحافظة ، والذاكرة ، والمتخيلة ، والمفكرة ، والناطقة ، والعلاّمة .

ويضيف فلاسفة الإسماعيلية :

بأن العقل اسم المبدع الأول ، والعقل الأول ، والمحرك الأول ، باعتباره أصلاً لجميع المتحركات في عالمي الجسم ، والعقل ، وأن الحدود وجدت عن بعضها البعض بترتيب منه . فمن العقل النفس ، ومن النفس الهيولى ، ومن الهيولى الصورة ، ومن الصورة السموات والأرض وحركاتها . ويضيفون أيضاً :

بأن الإنسان مكوّن من كثيف ظاهر ، ومن لطيف باطن . فالكثيف الظاهر ينقسم إلى عناصر الحياة الأربعة : التراب والهواء والنار والماء . وهناك شيء لطيف باطن وهو العقل ، وقد أطلق على النفس الناطقة الكليّة ، وعلى العقل الكلّي لأن العقول الجزئية ، والنفوس الجزئية التي في الإنسان منسوبة إلى العقل الكلّي والنفس الكليّة في عالم العقل ، وهو الباطن اللطيف .

وأخيراً لا بد من القول :

بأن جسم العالم بأسره يسمّى الجسم الكلي ، وأن النفس الكلية هي نفس العالم بأسرها ، وأن العقل الكلّي هو القوة الإلهية المؤيدة للنفس الكلية ، وأن الطبيعة هي قوة النفس الكلية السارية في جميع الأجسام المحركة والمدبرة لها ، وأن الأجسام البسيطة هي الكواكب والأفلاك والأركان الأربعة التي هي : النار والهواء ، والماء ، والتراب ، وأن الأنفس البسيطة هي قوى النفس الكلية المحركة ، والمدبرة لهذه الأجسام ، وأن الأجسام المولدة هي الحيوان والمعادن والنبات .

هذه لمحة خاطفة عن الإمامة من وجهة النظر الإسماعيلية ، وكم يكون من المفيد القول : بأنهم جعلوا للإمامة شروطاً وخصائص يجب أن تتوفّر

بالإمام ومنها أن يكون قد تربَّى وتثقف في مدرسة الدعوة ، وأن يكون من آل بيت الرسول الكريم ، وأن يكون صحيح الجسم دون عاهات ، وأن يكون وقوراً ومهاباً وكريماً وعالماً وغيوراً وساهراً على أتباعه يوفِّر لهم السعادة والخير .

* * *

«الفرق الإمامية»

تقول المصادر التاريخية أن عدد فرق الشيعة الإمامية إثنان وثمانون . والمشهور أن الأمة الإسلامية افترقت إلى سبع وسبعين فرقة ، والشيعة نفسها افترقت إلى هذا القدر ، ونحن في كتابنا هذا لا نريد أن نأتي على ذكر من بادوا ولم يتركوا بعدهم أثراً . وهذه أهم الفرق الإمامية التي ملأت أخبارها صفحات التاريخ :

أ ـ الحنفية

١ ـ الكيسانية
٢ ـ الهاشمية
٣ ـ الراوندية
٤ ـ الحارثية
٥ ـ البيانية
٦ ـ الكربية
٧ ـ الحميرية
٨ ـ العميرية
٩ ـ المختارية
١٠ ـ الرزامية
١١ ـ الكاملية

ب ـ الحسنية

١ ـ المغيرية
٢ ـ المنصورية
٣ ـ المحمودية

ج ـ الزيدية

١ ـ الجارودية
٢ ـ السليمانية
٣ ـ البترية أو الصالحية
٤ ـ اليعقوبية

د ـ الجعفرية

١ ـ الخطابية
٢ ـ الموسوية ـ والمفضلية
٣ ـ النصيرية
٤ ـ المباركية
٥ ـ الناووسية
٦ ـ المحمدية
٧ ـ المفضلية × والموسوية
٨ ـ المعمرية
٩ ـ الميمونية

هـ ـ الاسماعيلية

١ ـ المستعلية أو الطيبية
٢ ـ الداؤدية
٣ ـ السليمانية
٤ ـ النزارية
٥ ـ المؤمنية
٦ ـ الآغا خانية
٧ ـ الدروز
٨ ـ القرامطة
٩ ـ الخسروية
١٠ ـ المجهولة

١٢ ـ الهشامية
١٣ ـ الزرارية
١٤ ـ اليونسية

١٠ ـ البزيغية
١١ ـ الباقرية
١٢ ـ الشميطية
١٣ ـ العمارية
١٤ ـ القطعية
١٥ ـ الشامية
١٦ ـ الزرارية
١٧ ـ اليونسية
١٨ ـ الشيطانية
١٩ ـ الاسحاقية
٢٠ ـ الاثنا عشرية

و ـ فرق أخرى
١ ـ الأبو مسلمية
٢ ـ الوهابية

١ ـ الكيسانية «الحنفيَّة»

الكيسانية فرقة شيعية إمامية كبرى ، سارت وراء «كيسان» مولى الإمام علي بن أبي طالب وهو الذي قتل في حرب صفين سنة ٣٧ هـ . وكنيته «أبو عمرة» وقيل هو تلميذ «محمد بن الحنفية» ابن الإمام علي . وكان أتباعه يعتقدون به إعتقاداً بالغاً لإحاطته بالعلوم كلها ، وإقتباسه أسرار الدين بجملتها من علم التنزيل والتأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس .

اعتبروهم من الشيعة ، وبعضهم قالوا إنهم من الغلاة ، ويجمعهم القول : بأن الدين هو طاعة رجل . وكانوا يقولون : بأن لكل ظاهر باطن ، ولكل شخص روح خاصة به ، ولكل تنزيل تأويل . وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقاً . وقالوا : إن الإمام شخص مقدس يجب أن تبذل له الطاعة ، وقالوا : إن له العصمة ، فهو رمز العلم الإلهي ، وأن له رجعة كما تقول السبئية ، وأن الإمامة بعد الحسين انتقلت إلى أخيه محمد ابن الحنفيَّة الذي لم يمت ، وهو حي في جبل «رضوى» .

ومهما يكن من أمر فإن «أبا هاشم» بن محمد بن الحنفيَّة باغتصابه الخلافة من بني عمّه الحسينيين وتنازله عنها للعباسيين أضاع على العلويين فرصة الإستيلاء على الخلافة من الأمويين ، كما ساعد على تفككهم ، ومن جهة أخرى مكَّن العباسيين من قلب الدولة الأموية ، والإستئثار بالخلافة دون العلويين .

يوجد حتى أيامنا هذه بقايا من الكيسانية الشيعية في جبل رضوى ـ المملكة السعودية وهو قرب ينبع ، وأكثرهم يتحدرون من قبائل حرب وجهينة ، وعددهم يتجاوز العشرين ألفاً . وكان الشاعر كثير عزة من هذه الفرقة ، وهو القائل :

ألاَ إنَّ الأئمة من قريشٍ ولاة الحق أربعة سواءُ
عليٌّ والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبطٌ سبط إيمان وبرٍّ وسبط غيَّبتهُ كربلاءُ
وسبط لا يذوق الموت حتَّى يقود الخيل يتبعها اللواء
تغيَّب لا يرى عنهم زماناً برضوى عنده عسلٌ وماءُ

٢ ـ «الهاشمية»

هم أصحاب أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، الذين قالوا بانتقال الإمامة إليه من أبيه بعد أن أفضى أليه بأسرار العلوم . ويقولون : إن لكل ظاهر باطن ، ولكل شخص روح ، ولكل تنزيل تأويل . ويقولون : إن الأرواح تتناسخ من شخص إلى آخر ، وأن روح الله قد تناسخت حتى وصلت إليه . ومات أبو هاشم في خراسان ، فاختلف أصحابه بعده ، فزعم فريق أنه حي لم يمت ، وسيعود وزعم فريق آخر ، أنه مات وتحوَّلت روحه إلى «إسحق بن زيد بن حارث الأنصاري» . وأخيراً : انقسمت الهاشمية إلى خمس فرق :

١ ـ فرقة قالت : إن أبا هاشم مات منصرفاً من الشام بأرض الشراة ، وأوصى إلى محمد بن عبد الله بن عباس ، وسرت في أولاده حتى صارت الخلافة في أبي العباس .

٢ ـ وفرقة قالت : إن الإمامة بعد موت «أبي هاشم» قد تحوَّلت إلى ابن أخيه «الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية» .

٣ ـ وفرقة قالت : إن أبا هاشم أوصى إلى أخيه علي بن محمد ، وهذا أوصى بدوره إلى إبنه الحسن . فالإمامة عندهم لا تخرج إلى غيرهم .

٤ ـ وفرقة قالت : إن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي ، وأن روح أبي هاشم تحوَّلت إليه .

٥ ـ وفرقة قالت : بإمامة عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب .

٣ ـ الراوندية :

فرقة كيسانية أبي هاشمية ، زعمت أن أبا هاشم أوصى بالإمامة لمحمد ابن علي بن العباس في دمشق ، وهذه الفرقة ساهمت بإبعاد الحسينيين ومهَّدت لقيام العباسيين ، وأفسحت المجال لوصولهم إلى مركز الخلافة . ومن الجدير بالذكر أن الراوندية التي تنتسب إلى أبي الحسين أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندي وهو من المعتزلة ، ثم بعد ذلك من المرتدين .

٤ ـ الحارثيَّة :

من الفرق الحنفيَّة التي قالت : إن أبا هاشم أوصى بالإمامة إلى عبد الله بن معاوية الذي ينتسب إلى أبي طالب والد الإمام علي . أمَّا عبد الله بن الحارث الذي تنتسب الحارثية إليه ، فكان غالباً من أهل المدائن ، وقد أوجد فرقة خاصة به ثم انضمَّ أخيراً إلى عبد الله بن معاوية ، ويظهر أن الفرقتين هما نفس : الحربية ، والجناحية .

٥ ـ البيانيَّة :

هم أصحاب «بيان بن سمعان النهدي التميمي» وقيل هو : «بنان بن سمعان النهدي» وكان تباناً ظهر في العراق بأول القرن الثاني للهجرة ، وأدعى أول الأمر أن جزءاً إلهياً حلَّ في «علي» ثم انتقل إلى «محمد بن الحنفيَّة» ثم في إبنه «أبي هاشم» . وأخيراً ادعى النبوة .

اعتبرت هذه الفرقة من غلاة الشيعة ، وقال صاحبها : بانتقال الإمامة من أبي هاشم إليه ، وأن علي بن أبي طالب إلهاً ، وأن جزءاً إلهياً قد انتقل إليه بالتناسخ ، لذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة ، وكان يقول أيضاً : بأنه هو المقصود بالآية القرآنية : «هذا بيان للناس ، وموعظة للمتقين» وكان يؤول الآيات القرآنية حسب مزاجه ومعرفته . قتله أخيراً «خالد بن عبد الله القسري» وصلبه .

٦ ـ الكربيَّة :

هم أصحاب أبي كرب الضرير ، وحمزة بن عمَّار البربري ويسمَّى المقدسي ، وقيل : ابن كرنب الأعمى ، وهذه الفرقة غالت في حق محمد ابن الحنفيَّة غلواً تجاوز حدود المعقول والدين ، فزعمت أنه لم يمت وأنه في كهف الغيبة والإستتار ، وأنه سيظهر ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وقالت : إنه في جبال رضوى عن يمينه أسد ، وعن يساره نمر يحفظانه ، ويأتيه رزقه رغداً إلى وقت خروجه . ومن الجدير بالذكر أن هذه الفرقة من الغلاة أيضاً .

من جهة ثانية ادَّعى حمزة أخيراً أن محمد بن الحنفيَّة هو الله وأنه هو نبيه ، وتذكر المصادر التاريخية أنه ظهر من هذه الفرقة رجلان لهما شأن يقال لأحدهما صائد وللآخر بيان .

هذا ومن الواضح : أن هذه الفرقة التي انشقت من الكيسانية ، بادت ولم تبقِ الأيام من آثارها شيئاً .

٧ ـ الحميرية :

من الفرق الحنفية التي قالت بإمامة محمد بن الحنفية الغائب في جبل رضوى . وكان السيد الحميري الشاعر المتوفى سنة ١٧٣هـ . من هذه الفرقة وهو القائل :

سنين وأشهـر ويرى برضـوى — بشـعب بين أنمار وأُسـد
مـقـيم بين آرامٍ وعينٍ — وحـفـانً تروح خـلال ربُد
تراعيها السباع وليس منهاً — ملاقيهن مفترساً بحد
أمنَّ به الردى فـرتعن طوراً — بلا خوفٍ لدى مـرعى وورد

٨ ـ العميرية :

فرقة حنفية انشقَّت من البيانية بعد موت أبي هاشم ، ونادت بإمامة عمر بن بيان العجيلي . ولم تخرجَ كثيراً عن إعتقادات الفرق الحنفية الأخرى .

٩ ـ المختارية :

فرقة من الكيسانية الحنفية سارت وراء «المختار بن أبي عبيد بن مسعود ابن عمرو الثقفي» . كان خارجياً ، ثم صار زبيرياً ، ثم شيعياً كيسانياً حنفياً . يقول بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي بن أبي طالب ، وقيل بعد الحسن والحسين ، ويظهر أنه كان من رجاله ودعاته . وقيل : إن محمد بن الحنفية عندما اطلع على أقوال المختار تبرأ منه علناً ، ولكنه أيَّده سراً .

قدم المختار إلى الكوفة مع «مسلم بن عقيل» وعندما قتل مسلم قبض عليه «عبد الله بن زياد» وسجنه ، وبقي في سجنه حتى بعد مقتل الإمام الحسين ، فشفع له زوج أخته «عبد الله بن عمر» فأطلق سراحه على أن يخرج من الكوفة ، فخرج إلى الحجاز ، وأعلن أنه سيطالب بدم الشهيد المظلوم . ومن الجدير بالذكر أن المختار استطاع بعد خروجه من الكوفة ، أن

يجهز جيشاً لقتال عبيد الله بن زياد بقيادة إبراهيم بن الأشتر النخعي الذي تمكن من قتل ابن زياد ، ومعه العديد من قواد الشام ، وأن يبعث برأسه إلى المختار في العراق ، وهذا بعث به بدوره إلى عبد الله بن الزبير في مكة ، وهكذا تمَّت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة والعراقين ، ممَّا جعله يدعي نزول الوحي عليه ، ثم ادعى أخيراً بالنبوة ، وعندئذ توقف الأشتر عن نصرته ، واستولى على بلاد الجزيرة . هذه الفرقة قالت :

إن الإمامة لعلي ثم لمحمد بن الحنفية ، وذلك بالإستدلال ، وليس بالنص ، وأن محمد بن الحنفية وهو المهدي المنتظر ، وقد اختلفوا مع الفرق الأخرى عن الإمام بعده ، فقالت المختارية : إن الإمامة رجعت إلى ابن أخيه علي زين العابدين ، وبعضهم قال برجوعها إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية .

١٠ ـ الرزامية :

هم أصحاب «رزام بن رزم» . قالوا : بإمامة علي ثم بمحمد بن الحنفية ، ثم بأبي هاشم ، ومنه انتقلت إلى عبد الله بن عباس بالوصية ، ثم ساقوها إلى محمد بن علي الذي أوصى بها إلى إبنه «إبراهيم الإمام» صاحب أبي مسلم الخراساني .

ظهرت هذه الفرقة في خراسان أيام أبي مسلم حتى قيل إن أبا مسلم كان على دينها ، كما قيل إنه كان على مذهب الكيسانية الأولى بادىء ذي بدء ، ثم ساق الإمامة إلى أبي مسلم ، وادعى حلول روح الله فيه ، وقد افترقت هذه الفرقة إلى فرق ثلاث :

١ ـ واحدة زعمت : أن أبا مسلم حي ولم يمت ، وأن الإمامة فيه .

٢ ـ والثانية قالت : إن الإمامة صارت إلى محمد بن علي من جهة أبي هاشم .

٣ ـ والثالثة قالت : إن الإمامة كانت للعباس بن عبد المطلب بعد رسول الله .

ومن أقوال هذه الفرقة : الدين هو معرفة الإمام ، وأن تناسخ الأرواح حقيقة .

١١ ـ «الكاملية» :

هذه الفرقة الشيعية ليست من الإمامية ، وإنما هي من الشيعة الرافضة التابعة لأبي كامل وهو من الذين كانوا يزعمون أن الصحابة كلهم كفروا بتركهم بيعة علي بن أبي طالب ، كما أنه كفَّر علياً لأنه ترك قتالهم . ويقال إن بشار بن برد كان على هذا المذهب الذي يكفِّر كل الناس . قال : بتناسخ الأرواح عند الموت ، وبالحلول . وقال : برجعته إلى الدنيا قبل يوم القيامة . وقال : بتصويب إبليس في تفضيل النار على الطين . وأخيراً قال أبو كامل : بأن الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى آخر . انحصر نشاط هذه الفرقة في العصر العباسي الأول .

١٢ ـ الهشامية :

هذه الفرقة الكيسانية ـ الحنفيَّة تنقسم إلى فرقتين :

الأولى ـ أصحاب «هشام بن الحكم الرافضي» صاحب المقالة في التشبيه ، وكان على مذهب الشيعة الإمامية ، وقد قال ابن الراوندي عنه : إن بين معبوده وبين الأجسام تشابهاً ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك ما دلّت عليه . ومن أقواله :

إن معبوده جسم ذو حد ونهاية ، أي ذو أبعاض له قدر من الأقدار ، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء ، وأن المعارف كلها اضطرار ، فإنها لا تعرف إلاَّ بعد النظر والإستدلال ، وأن القرآن لا خالق ولا مخلوق .

الثانية ـ هم أصحاب «هشام بن سالم الجواليقي» الذي نسج على منوال صاحبه في التشبيه ، وهو يرفض مذاهب الإمامية ، ولكنه مفرط في التشبيه والتجسيم ، وتقول هذه الفرقة بإمامة الحسين بن علي بعد إمامة الحسن بن علي أخيه .

١٣ ـ الزراريّة :

هم أصحاب «زرارة بن أعين» . كان على مذهب «الأفطحية» القائلين : بإمامة «عبد الله بن جعفر» ثم انتقل إلى مذهب الموسوية ، عندما سأله عن مسائل ، ولم يجد عنده جواباً لها ، فصار إلى الإئتمام بموسى الكاظم ابن جعفر .

ومن أقواله :

إن الله تعالى لم يكن حياً ، ولا قادراً ، ولا سميعاً ، ولا بصيراً ، ولا عالماً ، ولا مريداً حتى خلق لنفسه قدرة وعلماً وإرادة وسمعاً وبصراً ، فصار بعد أن خلق لنفسه هذه الصفات حياً قادراً عالماً مريداً سميعاً بصيراً .

١٤ ـ اليونسية :

هم أصحاب «يونس بن عبد الرحمن القمي» . وكان هذا في الإمامية على مذهب «القطعية» الذين قطعوا بموت جعفر . ومن الواضح أنه أفرط في التشبيه ، فزعم أن الله تعالى يحمله حملة العرش ، وهو أقوى منهم .

* * *

ب ـ الحَسنيَّة

هم أتباع الحسن بن علي وولده فيما بعد ، والقائلين بإمامتهم ، وقد تفرَّع من هذه الفرقة فرق عديدة أجدرها وأهمها بالذكر :

١ ـ «المغيريَّة ـ الحسنيَّة»

هم أصحاب «المغيرة بن سويد العجلي» . كان ساحراً متشيعاً ، وكان يقول لو أردت أن أحي عاداً وثمود لفعلت . ويقول : لو أراد علي بن أبي طالب ذلك لفعل ، ويقول عن نفسه أنه يحي الموتى بالإسم الأعظم .

كان يقول : بأنه ينتمي إلى الإمام محمد الباقر ، وأنه يعمل باسمه ، وادَّعى النبوة تارة والتشيع تارة أخرى مع الدعوة إلى المهدي المنتظر . ثم قال :

إن الإمام بعد محمد الباقر هو : محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي المشهور «بالنفس الزكيَّة» ، ولمَّا قتل قال : إنه في الغيبة والستر وسوف يعود ، ولكن هذا الإعتقاد لم يلبث أن تغيَّر عندما ادَّعى الإمامة لنفسه .

كان يغالي في حب الإمام علي ، حتى وصل أخيراً إلى حد التأليه . وكان يكفِّر أبا بكر ، وعمر وسائر الصحابة .

أحرقه خالد بن عبد الله القسري مع أصحابه ، الذين جرى بينهم إختلافات في أصل العقيدة قبل وفاتهم .

٢ ـ المنصورية :

هم أصحاب «أبو منصور العجلي» الذي عزا نفسه إلى الإمام محمد

الباقر في أول الأمر فلمَّا تبرأ منه وطرده ادَّعى الإمامة لنفسه ، وقال : إن الإمام الباقر قد فوَّض الأمر إليه ، وجعله وصيه من بعده .

هو من عبد القيس سكن الكوفة وله فيها داراً ، وكان أميّاً لا يقرأ ، وقد نشأ في صغره في البادية . وقال :

إن الإمام الباقر قد فوَّض الأمر إليه ، وجعله وصيه من بعده كما قلنا ، وأنه نبي ورسول وأن جبريل يأتيه بالوحي ، وأن الله أرسل محمداً بالتنزيل وأرسله هو بالتأويل ، وأن علياً هو الكسوف الساقط من السماء ، وزعم أنه عرج به إلى السماء ، ورأى معبوده فمسح بيده على رأسه ، وأن عيسى أول من خلقه الله سبحانه ثم خلق بعده علي بن أبي طالب . وقيل :

إنه حلَّل الزنا والمحارم لأصحابه ، وأسقط الواجبات والفرائض ، ولمَّا وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق بعهد هشام بن عبد الملك على قصته قبض عليه وصلبه ، وظهر من بعده إبنه الحسين . فادعى مرتبته ، ولكن المهدي العباسي قتله وصلبه ، وبعد مقتله افترق أتباعه إلى فرقتين هما : الحسينية والمحمدية .

فأمَّا الحسينية فقالت بالإمامة بعد أبي منصور العجيلي هو ولده الحسين كما ذكرنا ، وجعلوا له خمس أموالهم .

٣ ـ المحمدية :

وأمَّا المحمدية فقالت : إن الإمام بعد أبي منصور هو محمد بن عبد الله النفس الزكية ، لأن أبا منصور كان يقول : إنما أنا مستودع ، وليس لي أن أضعها في غيري .

* * *

ج ـ «الزيديَّة»

الزيديَّة فرقة إمامية شيعية قالت : بإمامة الحسن بن علي ، ثم بإبنه الحسن المثنَّى ، وأخيراً بزيد وهو صاحب هذا المذهب ، ومن المعروف أن زيد هو ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الفرقة قالت أيضاً في بدء أمرها بالإمام الحسن المثنَّى ثم بإبنه عبد الله ، ثم بأخيه إبراهيم ، ثم بإسماعيل ، ثم بإبراهيم طباطبا .

ومن فرقة الزيدية الشيعية تفرعت أسرة بني الحسن ، وبني الحسن ، وبني طباطبا ، والرسيين وبني المطوق ، وبني بخ ، والإمام الحسن ، وولد الهادي الذي له الإمارة في اليمن ، وبني الأذرع ، وولد الداعي إلى الحق في طبرستان ، وولد الحسن بن زيد الذي أسَّس إمارة في الديلم ، وولد الناصر الحسني الذي لعب دوراً كبيراً في اليمن .

ومن أئمة الزيدية البارزين محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط ، ويقال له النفس الزكية ، وهذا الإمام خرج بالحجاز وتلقب بالمهدي ، فتصدت له عساكر المنصور العباسي فقتلته ، وعهد إلى أخيه إبراهيم بالإمامة بعده ، فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي ، فوجّه المنصور إليه عساكره فهزمه وأخيراً قتل هو وعيسى المذكور .

ويذهب آخرون منهم إلى القول :

بأن الإمام بعد محمد بن عبد الله «النفس الزكية» هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر ، وهو أخو زيد بن علي الذي خرج بجبال الطالقان بفارس فقبض عليه ، وسيق إلى المعتصم العباسي حيث سجنه إلى أن مات في سجنه .

وقال آخرون : إن الإمام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي ساهم مع إبراهيم في القتال ضد جيش المنصور العباسي ، وكان قد تقلّد الإمامة في عقبه ، وإليه انتسب صاحب الزنج «علي بن محمد» فيما بعد .

وقال آخرون أيضاً :

إن الإمام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه إدريس الذي فرَّ إلى المغرب ومات هنالك ، وقد قام بالأمر بعده إبنه إدريس الذي اختطَّ مدينة «فاس» وكان من عقبه ملوك المغرب الحاليين ، وبعد ذلك ظلَّ أمر الزيدية غير منتظم ، وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان ، وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين وأخوه محمد بن زيد ، ثم قام بهذه الدعوة في الديلم ، ومنهم الناصر الأطروش ، وقد أسلموا على يده ، وهو الحسن بن علي بن عمر ، وعمر أخو زيد بن علي ، وكان لبنيه دولة في طبرستان .

إن هذه الفرقة الكبيرة بعد كل ما مرَّ عليها من إنقسامات وأحداث وحروب لا تزال سائرة على النهج الإمامي ، وقد توحَّدت أخيراً بالزيدية الحديثة .

يقولون :

بإمامة المفضول مع قيام الأفضل ، ومن الواضح أنهم تأثروا بالإعتزال ، واشترطوا الإجتهاد في الأئمة ، وهم لا يتبرأون من أبي بكر وعمر ، وإنما يصححون إمامتهما ، ويرفضون العصمة والتقية وغيبة الإمام وجواز مبايعة إمامين في قطرين ، واستمرار الإمامة .

آخر أئمتهم هو «البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين» ويتحدَّر من أسرة حميد الدين الزيدية ، وكان يتسلَّم السلطتين الدينية والزمنية في دولة اليمن الشمالية ، ويقيم الآن في «لندن» بعد أن تحوَّلت دولته إلى جمهورية أثر إنقلاب عسكري ، وهو الإمام الثالث والخمسين .

هذه الفرقة الشيعية الإمامية مرَّت في مراحل قاسية ومعقدة ، وقد تفرَّع منها فرق عديدة باد أكثرها ، ولم يبق منها إلاَّ المجموعة الزيدية في اليمنين الشمالي والجنوبي والحجاز والإمارات وعددها قريب من المليونين .

يقال : إن عدد فرق الزيدية /٣٣/ فرقة جميعها قد بادت ، ودخلت في غياهب الزمن ، سوى أربع فرق ، وهي الأهم :

١ ـ الجارودية :

هم أصحاب زياد بن أبي زياد المعروف بأبي الجارود ، وقيل هو : ابن المنذر الهمداني ، هذه الفرقة قالت : بأن الرسول الكريم محمد صلَّى الله عليه وآله وسلم نصَّ على إمامة علي بالرمز والوصف دون التسمية ، وأن الناس لم يتعرفوا إلى الوصف ، ولم يطلبوا الموصوف ، وإنما نصبوا «أبا بكر» باختيارهم فكفروا بذلك ، ولهذا خالف أبو الجارود الإمام زيد ، كما قالوا : إن الحسن هو الإمام بعد أبيه الإمام علي ، ومن بعده أخوه الحسين ، وإن الإمامة مقصورة على أولادهما دون غيرهما .

واختلفت الجارودية ، كما افترقت إلى فرق عديدة يقولون وتقولون . كما أنهم اختلفوا في الإمام المنتظر ، وقالوا فيه أقوالاً عديدة ، وقد تفرعت من الجارودية فرق عديدة أهمها :

٢ ـ السليمانية :

هي فرقة زيدية سارت وراء سليمان بن جرير الزيدي ، ويسميها بعض المؤرخين الجريرية . قالت : إن السخط والرضى من صفات الله تعالى ، وأن علم الباري سبحانه شيء وقدرته شيء وحياته شيء ولا يقولون إن صفاته تعالى شيء . أمَّا سليمان فيقول :

إن الإمامة يجب أن تكون شورى بين الخلق ، ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وأنها تصح بالمفضول مع وجود الأفضل ، وقد

تبعه الكثير من المعتزلة . كما أثبت سليمان إمامة أبو بكر وعمر ، وطعن في عثمان وكفره ، كما كفَّر عائشة وطلحة والزبير ، وطعن في الرافضة لأنهم يقولون بالتقية .

٣ ـ البترية أو الصالحية :

هم أصحاب الحسن بن صالح بن حي الذي مات متخفياً سنة ١٦٨هـ . وهو من كبار الشيعة الزيدية وعلمائها وعظمائها ، وكان زاهداً متكلماً ومتحدثاً . وهناك «البترية» أصحاب : كثير النوى الأبتر وهذه الفرقة تتفق مع الصالحية تماماً ، ويقولون في الإمامة كما تقول اليمانية ، إلاّ أنهم توقفوا في أمر عثمان ، واختلفوا فيه هل هو مؤمن أم كافر ، وأخيراً اعترفوا بإيمانه .

وأمَّا علي بن أبي طالب فهو عندهم أفضل الناس بعد الرسول ، وهو الذي سلَّم الإمامة راضياً . ويقولون : بأن بيعة أبي بكر وعثمان ليست خطأً ، وجوزوا إمامة المفضول ، وتأخير الفاضل . ومن الواضح أنهم تأثروا بالمعتزلة ، وعظموا أئمتهم ، وكانوا على مذهب أبي حنيفة ، ووافقوا في بعض المسائل القليلة الشافعية .

٤ ـ اليعقوبية :

هم أتباع يعقوب بن علي الكوفي ، وهو من أصحاب الآراء والإجتهاد ، ولا يختلف عن الزيديين الآخرين إلاّ في قضايا فرعية .

* * *

د ـ الجعفرية ـ الإثنا عشرية:

فرقة شيعية قالت بإمامة موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق ، بعد وفاة أخيه إسماعيل إمام الإسماعيلية ، وبعد وفاة موسى ظلّ أتباعه يسيرون وراء أحفاده حتى الثاني عشر «محمد بن الحسن» وهو الإمام الذي غاب في سامراء سنة ٢٦٦هـ . وكان عمره أحد عشر عاماً ، ولا يزال أتباعه ينتظرون عودته ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

هذه الفرقة تعتبر أكثر اعتدالاً من الفرق الشيعية الأخرى ، ويأتي ترتيبها بالإعتدال بعد الزيدية فهي ترى أن الإمام يجب أن يكون من أهل بيت الرسول ، وله الأفضلية العلمية والعملية والإجتهادية ، وهو لا يتمتع بالعصمة ، ولكنه فوق الناس ، وهو حارس الشريعة ، والمنفذ لما جاء به القرآن .

وفي مضامين الفقه ـ أي الفقه الجعفري ـ يظهر المذهب الظاهر ، ممَّا لا يتفق مع الباطن ، كما أنه لا يقول بفلسفة خاصة ، بل يقول : بأن الإمامة لا تكون إلاَّ بالنص مع الرسول أو من يقوم مقامه ، ويقولون : بأن مذاهب المجتهدين خمسة بدل أربعة بإضافة مذهب جعفر الصادق . ويقولون : بأن الإمامة واجبة على الله تعالى من باب اللطف ، ووجوب تنصيبه من قبل الله تعالى ، لأن الإمامة أصل الدين .

تفرقت الجعفرية الإثنا عشرية إلى فرق عديدة ، منها ما قد باد وانقطع أثره ، ومنها ما لا يزال موجوداً ، وعلى العموم فإن هذه الفرقة أكثر فرق الشيعة عدداً ، وعددها في العالم يصل إلى حد المائة مليون ، ونيِّف . اشتهرت هذه الفرقة الإمامية بالعلم والحديث والفقه والتفسير ، وكل هذا يرجع به إلى فقه الإمام جعفر بن محمد الصادق .

١ ـ الخطابيّة :

هم من أصحاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع المشهور بأبي الخطّاب . . . وقيل هو «محمد بن يزيد» وأمه زينب ، وكنيته أبو ثور ويكنّى أبا إسماعيل ، وأبا الظبيان ، وكان مولى لبني أسد ، وكان يقول : لكل شيء من العبادات باطن . وأن الإمامة كانت في أولاد علي إلى أن انتهت إلى جعفر الصادق ، وأن روح الإله حلّت فيه ، ثم في أبي الخطّاب من بعده ، ولمّا وقف الصادق على غلوه تبرأ منه ولعنه ، وكتب إلى مؤيديه ببراءته منه . يقول التاريخ :

إن أبا الخطّاب كان إباحياً ، وإنه عطّل الواجبات وارتكب المحرمات . وأخيراً : قال بألوهية علي .

انقسمت الخطّابية بعد براءة الإمام الصادق من أبي الخطّاب إلى أربع فرق :

١ ـ فرقة قالت : إن جعفر الصادق هو الإله ، وأن أبا الخطاب هو النبي المرسل .

٢ ـ وفرقة قالت : إن السري الأقصم أرسله الصادق فصلوا وصاموا وحجوا لجعفر .

٣ ـ وفرقة قالت : إن جعفر هو الله تعالى .

٤ ـ وفرقة قالت : إن بزيغاً مثل أبي الخطاب نبي مرسل وشريكه أبو الخطاب «وبزيغ هو ابن موسى» . . . ومن الجدير بالذكر أن أبا الخطاب وأصحابه قاتل هو وأصحابه عيسى بن موسى والي الكوفة ، ولمّا وقع في الأسر قتله عيسى ثم صلبه مع أنصاره في كناسة الكوفة .

٢ ـ الموسوية والمفضلية :

فرقة واحدة ، سميت الموسوية لقولها بإمامة موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق ، وسميت المفضلية نسبة إلى رئيسها «المفضل بن عمر» أحد تلامذة الإمام جعفر الصادق . . . وتعرف بالإسمين .

قالوا :

بأن الإمام موسى الكاظم حي ولم يمت وأنه المهدي المنتظر ، وكان الإمام موسى الكاظم قد أظهر إمامته بعهد الرشيد العباسي فحمله الرشيد من المدينة وحبسه عند عيسى بن جعفر ، وقيل إن يحي بن خالد بن برمك دسَّ إليه السم ، وأخرج الجثمان ودفن في مقابر قريش ببغداد ، واختلفت فرقة من أتباعه بعد موته تسمَّى «الممطورة» فقالت لا ندري أمات أم لم يمت ، وفرقة قطعت بموته ويقال لها «القطعية» ثم ساقوا الإمامة بعده في أولاده : علي الرضا ثم محمد التقي ، ثم علي الرضا ، ثم الحسن العسكري ، ثم القائم المنتظر «الثاني عشر» ومنهم من توقف عنده ، وأنه لم يمت ، وسيخرج بعد الغيبة وهؤلاء يقال لهم «الواقفية» .

٣ ـ النصيرية ـ أو العلوية الحديثة :

فرقة شيعية إمامية باطنية عرفت في التاريخ القديم باسم «النصيرية» نسبة إلى نصير غلام الإمام علي بن أبي طالب ، أو إلى «محمد بن نصير البصري النميري» أبو شعيب ـ وهو أحد دعاة الإمام الحسن العسكري ، وهي تتفق مع الشيعة الجعفرية بالقول بإمامة الإثني عشر بدءاً من الإمام علي ومروراً بموسى الكاظم وأحفاده حتى الإمام محمد بن الحسن «الثاني عشر الذي غاب في سامراء» كما ذكرنا .

بعض المؤرخين يقولون :

إن الدولة الحمدانية في حلب كانت تمثل هذه الفرقة ، أو بلغة أصح

تنتسب أو تتحدر منها، والبعض يقول عكس ذلك .

ومهما يكن من أمر . . . فإن هذه الطائفة تتحدَّر من عرب العدنانية خاصة، وهي أحد بطون قبيلة تغلب بن وائل أعظم بطون ربيعة بن نزار .

كانوا يقيمون قبل الإسلام في بادية الشام، وعندما ضاقت بهم الأرض نزحوا إلى ديار ربيعة في الجزيرة العربية قرب سنجار ونصيبين، وتعرف ديارهم بديار ربيعة في الجزيرة الفراتية، بينما نزل بنو بكر في شمالي المنطقة، وتعرف أرضهم بديار بكر .

إعتنق بنو تغلب الديانة النصرانية كما يذكر التاريخ، وقد يكون هذا الدين قد تسرَّب إليهم من جيرانهم الروم، ولكنهم اعتنقوا الإسلام بعد ذلك عند ظهور الرسالة المحمدية السمحاء .

في عهد العباسيين اضطهدوا إلى حد ما، وفي عهد الأيوبيين عاشوا في ظل الضغط والإرهاب لذلك مارسوا عقائدهم بسرية تامة، وفي عهد الأتراك الأول هاجروا مرغمين من مواطنهم في العراق فاستوطنوا منطقة بيلان وأدنه وإنطاكية، ونزل قسم كبير منهم في منطقة الكلبيَّة إلى الشرق الجنوبي من مدينة اللاَّذقية، وقسم آخر استوطن الجبال الواقعة شمال وشرق مدينة طرطوس، وهي الجبال المعروفة تاريخياً باسم «جبال البهراء» وهي سلسلة تمتد من شرقي مدينة طرطوس شمالاً حتى حدود إسكندرون وشرقاً نهر العاصي وسهل الغاب، وغرباً البحر المتوسط، وهذه المواقع لم تكن خاصة بهم وحدهم وإنما كانت مشتركة بينهم وبين الإسماعيليين .

عقائدهم «باطنية» وينظرون إلى الإمام علي بن أبي طالب نظرة العصمة والتقديس، ويأتي بعده سلمان الفارسي والخمسة الآخرين وهم : عثمان بن مضعون، وعبد الله بن رواحة، وقنبر مولى الإمام علي، والمقداد بن الأسود، وأبو الذر الغفَّاري .

يقرأون القرآن ويؤمنون بما جاء فيه ، ولكنهم يعتمدون على التأويل كباقي الفرق الباطنية مخالفين بذلك الشيعة الجعفرية الإثني عشرية .

أقاويل المؤرخين عنهم كثيرة ، وهي بمجموعها لا تختلف عن الأقاويل الأخرى التي صنفوها عن الفرق الشيعية الأخرى ، والتي كتبها مؤرخون مستأجرون لا ضمير لهم .

مواطنهم في تركيا وخاصة في أدنه ـ إسكندورن ـ إنطاكية . ويقدر عددهم بأكثر من ثلاثمائة ألف ، وفي طرابلس ـ لبنان يقدر عددهم بأربعين ألفاً ، أمَّا في سوريا فقد يصل عددهم إلى المليونين .

اشتهروا بالكرم ، وإقراء الضيف ، وبإنجاب الشعراء ، وهم لا يأكلون أنثى الحيوانات الأهلية حفاظاً على النسل ، ويحافظون على قبور موتاهم ، وزيارات مشائخ دينهم . ومن دعاتهم الحسين بن حمدان الخصيبي ، والمنتجب العاني ، وحسن المكزون السنجاري .

أشهر عشائرهم :

النواصرة ، القراحلة ، الرشاونة ، الرسالنة ، الجردية ، الياشوطية ، المتاورة ، المهالبة ، المحارزة ، البشارغة ، الحدادين ، الخياطين . وجميع هذه العشائر تخضع لتعاليم دينية واحدة دون خلاف أو فرقة .

٤ ـ المباركية :

من الفرق الإمامية الجعفرية ، وتنتسب إلى مبارك مولى إسماعيل بن جعفر واعتقدت بإمامته وبعد موته . اندمجت بفرقة أخرى .

٥ ـ الناووسية :

فرقة شيعية جعفرية من الغلاة ، سارت وراء رجل من أهل البصرة

يقال له «ناووس» وقيل إن اسمه ابن ناووس ، أو عجلان بن ناووس ، وقيل أيضاً إنه نسبة إلى قرية إسمها «ناسا» أو «ناووس» وتقع على مقربة من بلدة همذان ببلاد فارس .

أتباع هذه الفرقة ساقوا الإمامة بجعفر الصادق بنص من الإمام محمد الباقر . وقالوا : إن الصادق حي ولن يموت حتى يظهر أمره ، وهو القائم المهدي . وقالوا : إن علي بن أبي طالب مات وستنشق الأرض عنه يوم القيامة .

هذا ومن الجدير بالذكر أن السبئية انضمت إلى هذه الفرقة أخيراً .

٦ ـ المحمَّدية :

فرقة جعفرية تفرَّعت من الخطابيَّة وقالت بإمامة محمد بن أبي جعفر الصادق وبعد موته انضمَّت إلى فرقة أخرى .

٧ ـ المفضلية والموسوية :

جرى الحديث عنها في الصفحات السابقة تحت عنوان الموسوية والمفضلية رقم ٢ .

٨ ـ المعمريَّة :

من الفرق الجعفريَّة التي تفرَّعت من الخطابية ، ولكن آثارها طمست فيما بعد .

٩ ـ الميمونية :

فرقة جعفرية قالت : بإمامة جعفر بن محمد الصادق ، وكان يتولّى قيادتها ميمون القدَّاح وهو أحد تلامذة جعفر الصادق .

١٠ ـ البزيغية :

فرقة جعفرية انشقت من الخطابيَّة بعد موت مؤسسها أبو الخطاب ، وقد وقفت عند إمامة جعفر بن محمد الصادق ، ولم تقل بإمامة أحد بعده .

١١ ـ الباقرية :

فرقة جعفرية سارت وراء الإمام محمد بن علي الباقر ، الإمام الرابع بعد جده علي بن أبي طالب ، وقد اعتقدت فيه أنه الإمام المنتظر الذي سيعود ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

١٢ ـ الشميطية :

أصحاب يحيى بن أبي شميط ، وكان ممن انحاز إلى معسكر «المختار بن عبيد الثقفي» وقتل معه . يقولون : بإمامة محمد بن جعفر الصادق ، وإن الإمامة في أولاده على هذا الترتيب : إسماعيل ، محمد ، موسى ، عبد الله الأفطح ، إسحق .

١٣ ـ العمَّارية :

فرقة جعفرية شيعية سارت وراء رجل منهم يسمَّى عمَّاراً وكان داعياً ، وقد ساق الإمامة بجعفر بن محمد الصادق ، وبولده عبد الله وكان أفطحاً أي معوج الرجلين ، وقيل لأنه كان أفطح الرأس ، ولهذا أطلقوا عليها الأفطحية ، وهذه الفرقة اندمجت في غيرها بعد وفاة الإمام جعفر بحوالي سبعين عاماً .

١٤ ـ القطعية :

فرقة تفرعت من الجعفريين . وساقت الإمامة بجعفر بن محمد الصادق . هذه الفرقة قطعت بموت ولده موسى زاعمة أن الإمام بعده هو محمد بن الحسن السبط بن علي بن موسى الرضا .

١٥ ـ الهشامية :

فرقة جعفرية قالت بإمامة جعفر الصادق ، وكان داعيها يسمَّى هشام ابن سالم الجواليقي وهي من الفرق التي تدخل في عداد المجسمة .

١٦ ـ الزرارية :

فرقة جعفرية سارت وراء زرارة بن أعين وكان من الأبطحين ثم أصبح موسوياً فيما بعد .

١٧ ـ اليونسية :

من الفرق الجعفرية أيضاً ، وأتباع يونس بن عبد الرحمن القمي ، وكان على مذهب القطعية التي قطعت بموت موسى بن جعفر الصادق .

١٨ ـ الشيطانية :

فرقة تفرَّعت من الجعفرية ، وهي من أتباع محمد بن النعمان الملقب بالشيطان ، وكان في عهد جعفر بن محمد الصادق ، ثم ساق الإمامة بولده موسى وقطع بموته ، وانتظر عودة أسباطه .

١٩ ـ الإسحاقية :

فرقة جعفرية كانت تتبع إسحق بن زيد بن الحارث ، وكان من أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وكان يقول : بأن لعلي بن أبي طالب شراكة بنبوة محمد وكان يبشر بالإباحية وبالتعطيل .

٢٠ ـ الإثنا عشرية :

جرى بحثها والتعبير عنها في الصفحات السابقة ـ عند ذكر الجعفرية ـ الإثني عشرية .

* * *

هـ ـ الإسماعيليَّة:

أصحاب مدرسة فلسفية قامت على أساس أممي ، وإتباع نظام فكري سياسي اتخذوا من الدين أساساً لنشر تعاليمهم السياسية ، ومن الواضح أنهم اقتبسوا العلوم والفلسفة من فلاسفة الإغريق ، وأدخلوها على نظامهم الفكري الإسلامي ، ثم استخلصوا منها عقيدة فلسفية متطورة تعتمد على العقل ، وكل هذا عبرت عنه كتبهم وتراثهم كإخوان الصفاء ، وراحة العقل ، والرياض ، ودعائم الإسلام ، وكتب أخرى لمؤلفين أعلام مشهورين .

افترقت الإسماعيلية عن المجموعة الشيعية الإثني عشرية ، إفتراقاً عميقاً شمل الإمامة وفروعها ، وقد ظهر بعهد الإمام الخامس جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وتعتبره الإسماعيلية الخامس بينما تعتبره الشيعة الإثنا عشرية السادس بإضافة «الحسن» بن علي ، بينما الإسماعيلية لا تعتبر الحسن إماماً ، وعندما انقسمت الشيعة إلى فرقتين عند وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق الذي ثبتت إمامته بالنص الشرعي العلني ، ولكن إسماعيل مات في حياة والده ، فقالت الإسماعيلية بإمامة ابنه محمد بعده ، على اعتبار أن الإمامة لا تكون إلا من أب إلى ابن ، بينما الإثني عشرية قالت بإمامة موسى الكاظم أخ إسماعيل ، ومن ذلك اليوم افترقت الشيعة إلى فرقتين رئيسيتين كما ذكرنا ، ومنهما تفرعت فرق أخرى منها قد باد ومنها ما لا يزال موجوداً . والآن بعد أن ذكرنا الفرق الشيعية الإمامية ننتقل إلى الإسماعيلية وفروعها . ونقول :

إن بعض المؤرخين والباحثين مزجوا بين الإسماعيلية والفاطمية ، وبعضهم فرَّق واعتبر أنهما فرقتين وتنويراً للأذهان نقول :

أن كلمة «فاطمية» أطلقت على الدولة التي أقامها «عبيد الله المهدي» في شمالي أفريقيا ، وهذه التسمية شملت الأئمة الذين تحدروا من الإمام علي بن أبي طالب ، ومن زوجته فاطمة الزهراء إبنة الرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك تمييزاً عن أبناء علي الآخرين الذين ولدوا من أمهات غير فاطمة .

إذن فالإسماعيلية هم أتباع الفاطميين ، لأن الفاطميين هم الأئمة الذين حكموا الإسماعيلية باسم الإمامة ، وهم الذين تسمَّت دولتهم باسمهم ، في حين أن ليس هناك أية فوارق دينية . فالإسماعيلية والفاطمية عقيدة واحدة ، والتسمية لا اختلاف فيها .

١ ـ المستعلية ـ أو الطيبية «البهرة» :

فرقة من الإسماعيلية انشقت بعد وفاة الخليفة الفاطمي «الإمام المستنصر بالله» الإمام الثاني عشر لجده الإمام علي بن أبي طالب ، وكانت الإسماعيلية قد انقسمت إلى فرقتين :

مستعلية ونزارية :

فالمستعلية أو الطيبية ـ «البهرة» انفصلت وسارت وراء المستعلي بن الإمام المستنصر بالله الصغير ، عندما رفض «الأفضل الجمالي» قائد جيوش الدولة الفاطمية في مصر وخال المستعلي تنفيذ وصية الإمام المستنصر بالله الشرعية التي تنص على إمامة نزار بن الإمام المستنصر بالله الأكبر ، ولم يكتف بل ساند ابن أخته المستعلي ، وأجبر الناس على مبايعته للإمامة ، كما قتل نزار وإخوته . ومَّما تجدر الإشارة إليه ان الجمالي هو أرمني وخارج عن الإسلام .

هذه الفرقة بعد وفاة المستعلي سارت وراء إبنه الآمر بأحكام الله ، ولكنه عندما قتل توقفت عن السير الإمامي ، وادعت أن امرأة الآمر

بأحكام الله قد ولدت صبيّاً إسمه «الطيب» ولكنه دخل وهو في المهد كهف الستر، ولا يزالون ينتظرون عودته .

من الجدير بالذكر . . . أن هذه الفرقة اتخذت لرئاستها الدينية وكيلاً أطلقت عليه اسم «داعي مطلق» ومنحته الصلاحيات التي يتمتع بها الإمام . . . بعد أحداث القاهرة العنيفة تسلّم الحكم الحافظ ، ثم الظافر ، ثم العاضد ، وهؤلاء كانوا وكلاء على الدولة ، ولكنهم ليسوا أئمة ، وإنما هم من الأسرة الفاطمية وفي عهد آخرهم سقطت الدولة الفاطمية بأيدي الأيوبيين . وهكذا انتهت الدولة الفاطمية في مصر على أيدي «البهرة» المستعليين وجيوشهم الأرمنية .

٢ ـ المستعلية الداؤدية :

في عام ٩٩٩هـ أو سنة ١٥٩١م انتخبت إسماعيلية كجبرات المستعلية «داؤد بن قطب» داعياً مطلقاً ، وتسموا داؤدية مستعلية أو بهرة ، ولكن مستعلية اليمن عارضوا ذلك، وانتخبوا داعٍ يسمّى «سليمان بن الحسن» وتسموا «سليمانية مستعلية» ، وهكذا انقسمت هذه الفرقة إلى فرقتين داؤدية وسليمانية .

يبلغ عدد الفرقة الداؤدية ما يقارب الأربعمائة ألف وهم موزعون في الهند وباكستان وبنغلادش واليمن وأفريقيا الشرقية . ومن الجدير بالذكر أنهم لا يختلفون عن السليمانية في العقائد ، كما أنهم لا يختلفون عن النزارية إلاّ بنسب الإمامة ، ومن هنا كان اختلافهم يعتبر فرعياً .

اشتهر أتباع فرقة البهرة بمداومتهم على العبادات ، وهم يطبقون فروض الشريعة الإسلامية ويقولون : بإمام غائب هو الطيب بن الآمر . أمّا داعيهم المطلق فهو «برهان الدين بن طاهر سيف الدين» ، ويقيم في بومباي الهند .

لهذه الفرقة «جامعة» تدرس الفلسفة والتاريخ والأدب الإسماعيلي في مدينة سورت القريبة من بومباي الهند . كما أنها تمتلك مكتبة المخطوطات الإسماعيلية النادرة ولكنها تضن بها على العلماء والباحثين .

٣ ـ السليمانية :

هذه الفرقة انشقت عن المستعلية الداؤدية سنة ٩٩٩هـ أو سنة ١٥٩١م عندما انتخب فريق منهم «داؤد بن قطب» داعياً مطلقاً ، فخرجت هذه الفرقة وانتخبت «سليمان بن الحسن» داعياً مطلقاً . . . هذه الفرقة لا تختلف عن الداؤدية إلاَّ بتولية الداعي المطلق فقط .

تعتبر قبيلة «بني يام» العربية اليمنية دعامة هذه الفرقة . أمَّا المناطق التي تسكنها هذه الفرقة فهي «نجران» في السعودية ، ولها في اليمن جالية وفيرة ، وفي الهند وباكستان وبنغلاديش ، ويقدر عددها بمائتي ألف ، وداعيها المطلق يدعي محمد بن الحسن ، وعددها لا يزيد على مئتي ألف في كل أنحاء العالم . وهي ترفض اسم «بهرة» لأن هذا الاسم خاص بمستعلية الهند الداؤديين الغير عرب .

٤ ـ النزارية :

فرقة إسماعيلية ، سارت وراء «نزار» الابن الأكبر للإمام الفاطمي الخليفة المستنصر بالله ، وولده من بعده ، وذلك بعد وفاة المستنصر ، وكان الأفضل الجمالي الأرمني قائد الجيش الفاطمي قد ناصر ابن أخته المستعلي ابن الإمام المستنصر الأصغر ، وفرضه كإمام على الإسماعيليين ناقضاً الوصية الشرعية التي نصَّت على إمامة نزار ، ولم يكتفِ بذلك ، بل جرَّد حملة على نزار ، وقتله هو وإخوته وأولاده ، ولم ينج سوى ولده الصغير الحسن الذي تمكن الداعي الإسماعيلي «حسن بن الصبَّاح» من الإحتفاظ به وأخذه إلى «ألموت» في بلاد فارس حيث أقام له الدولة الإسماعيلية .

من الصعوبة إحصاء عدد هذه الفرقة بكافة فرقها . . . أمَّا مواطنها ففي الهند وباكستان وإيران وأفغانستان وبنغلاديش وسوريا وأفريقيا وكندا . ولا بد من القول بأنها مقسومة إلى فرقتين هما : المؤمنية ، والقاسمية أو الآغاخانية .

٥ ـ المؤمنية :

من الإمام الحسن بن نزار المذكور وهو أول إمام فاطمي في (ألموت) تسلسل سبعة أئمة فاطميين كان آخرهم «شمس الدين محمد» وبعد وفاته انقسمت النزارية إلى مؤمنية وقاسمية . فالمؤمنية هم أتباع «مؤمن» الابن الأكبر للإمام شمس الدين ، وهذه الفرقة ظلت سائرة على النهج الإمامي وقائمة بعد الإمام مؤمن حتى «الإمام محمد الباقر» الذي كان مقيماً في مدينة «أورنك آباد» في الهند ، وفي سنة ١٢٢٠هـ طرأ على الفرقة أحداث جسام ، فانقطع أثر هذه الأسرة في البلاد الهندية ، ممَّا جعل أتباعها يتوقفون عن متابعة السير الإمامي ، وأصبحت كبعض الفرق الإمامية تقول بإمام مستور ، وترفض الإقرار بغيره .

يتراوح عدد هذه الفرقة بين الخمسين والمئة ألف ويسكنون في قدموس ومصياف وسلمية في سوريا وبعض القرى التابعة لها ، ومنهم أيضاً في أفغانستان وخاصة بدخشان ويطلقون عليهم اسم الخسرويين نسبة إلى الفيلسوف ناصر خسرو ويتراوح عددهم بين المئة إلى المئتي ألف ونيف .

٦ ـ الآغاخانية:

هذه الفرقة الإسماعيلية سارت وراء ابن الإمام شمس الدين محمد الابن الأصغر «القاسم» وهو أخ «مؤمن» الأكبر ، وظهر نشاطها خاصةً في الهند بعد غياب الإمام محمد الباقر «المؤمني» ، وظلت على مسيرها من إمام إلى آخر حتى آغاخان الحالي «كريم خان» .

يقدر عدد هذه الفرقة بما يقارب العشرة ملايين كما يقولون ، وهي موزعة في أفريقيا الشرقية وكينيا وأوغندا وتانزانيا ومدغشقر وزنجبار ، وفي سلمية والخوابي من أعمال طرطوس ، وفي إيران وباكستان والهند وبنغلاديش وكندا ، وهناك جاليات أخرى موزعة في أوروبا والعالم .

تعتبر هذه الفرقة الأولى بين فرق الشيعة التي ظلت سائرة على النهج الإمامي حتى أيامنا هذه وهي كالفرقة الزيدية الشيعية ، والوهابية السنيَّة . تقول بإمام موجود .

٧ ـ الدروز :

عندما نتحدث عن هذه الفرقة ، نكون ملزمين أن نسميهم «الموحدين» أو «بني معروف» ولكن الناس لا يعرفونهم إلاَّ بإسمهم الشعبي التقليدي القديم «الدروز» وهذا مرفوض لديهم .

الدروز فرقة انشقت عن الإسماعيلية الأم سنة ٤١٠هـ في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عندما قام كبير الدعاة «محمد بن إسماعيل» «نشتكين» وكان مقرباً من الإمام الحاكم بأمر الله بالإعلان عن ألوهيته ، ولم يستطع أحد من الدعاة المقربين منه ، من ردعه عن هذه الدعوة الجديدة التي انتشرت بسرعة وخاصة في بلاد الشام وبمنطقة وادي التيم ، وجبال السمَّاق وضواحي مدينة حلب ويبدو أن نشتكين أراد أن يستأثر بالقيادة الدينية للدعوة الجديدة ، فتصدَّى له داعٍ آخر كبير هو «حمزة بن علي بن أحمد» فعمل على إحباط مساعيه ، ووقف بوجهه مدة من الزمن ، وأخيراً قتل نشتكين في ظروف غامضة سنة ٤١١هـ . وعندئذ صفا الجو لحمزة ولقب بـ «هادي المستجيبين» و «حجة القائم» وعندماً اختفى الإمام الحاكم بأمر الله ، انطلق حمزة ، وأخذ يقوم بنشاطه في مصر ، ويزرع التعاليم في كل مكان ، ولكن أتباعه في مصر تعرضوا إلى ضغط شديد من قبل الإمام «الظاهر لإعزاز دين الله» ممَّا اضطرهم إلى

الهجرة قاصدين بلاد الشام ، وهناك استجاب إلى دعوتهم أمراء التنوخيين في لبنان بفرقتيهما : القيسية واليمنية .

يقولون :

بغيبة الإمام الحاكم بأمر الله التي وقعت ليلة الإثنين في السابع والعشرين من شوال سنة ٤١١هـ أو سنة ١٠٢٠هـ ، ولذلك أعلنوا إغلاق باب دعوتهم بوجه الراغبين والمستجيبين حتى عودة الحاكم من جديد ليملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً وبغياً .

لم يعترفوا بالخليفة الفاطمي العاشر الإمام «الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله» لأنه قاوم دعوتهم ، وطاردهم ، وقتل منهم أعداداً لا تحصى جماعياً ، كما خرَّب بيوتهم ومثَّل بهم في بلاد أنطاكية ، وجبل السمَّاق ، ووادي التيم ، وفي كل مكان ، وكان ذلك سنة ٤٢٣هـ .

ينقسم مجتمعهم الديني إلى فئات ثلاث :

العقَّال ، والأجاويد ، والشرَّاح ، والجهَّال ، ولا يسمح للجهَّال بالإطلاع على أسرار العقيدة إلاَّ القليل من المسائل الأولية ، ومن العقَّال تخرج طبقة «المتنزهين» وهؤلاء يثابرون على العبادة ، وبعضهم لا يتزوج ، ولا يأكل لحماً ، وربما صام طيلة عمره .

كتابهم هو القرآن كباقي الفرق الإسلامية ، ولكنهم يتبعون مبدأ التأويل للآيات القرآنية ويقولون :

بقدم العالم ، والتناسخ ، والتقمص . ويقولون : بأن الله حلَّ بالحاكم بأمر الله ، ولكن ليس هناك ما يؤيد هذا القول ، لأن التاريخ وقف من هذه الفرقة موقف فيه الكثير من التجني .

يتبعون في مواريثهم وزيجاتهم وجنازاتهم المذهب الحنفي السني ، ولكن باستثناء الوصية . ويتحلون بصفات سامية ، ويعتزون بعروبتهم ووطنهم ،

فلا يدخنون ويتجنبون الكذب والغدر والسرقة والزنا ، ولا يطبقون مبدأ تعدد الزوجات ، كما لا يعيدون الامرأة المطلقة ، والوصية جائزة عندهم للوارث ، ومن المشهور عنهم الكرم والوطنية الصادقة ، وحفظ حقوق الجار ، والدخيل والمستجير ، وأن تاريخهم حافل بالبطولات والإشتراك بالثورات ضد المستعمرين والفاتحين .

ومن مبادئهم :

الوحدة والإجتماع وتناسي العداوة والبغضاء ، مهما كان حجمها وذلك عند ظهور عدو كبير ، ولم يسبق أن انقسموا على أنفسهم ، أو تحاربوا ضد بعضهم البعض ، وهم على علاقة طيبة مع الإسماعيليين ، وينادونهم بأبناء عم .

زعامتهم في لبنان تنقسم إلى جنبلاطيين وإرسلانيين ، وهناك إحصاء رسمي لعددهم ، غير أنه لا يمكن تقديره بوجه صحيح لأن الإحصاء لا يجري كل عام ، ولكن ممكن تقدير العدد على وجه التقريب بمئتي ألف ونيف موزعين كما يلي :

في سوريا ـ جبل العرب ـ حوران ـ نواحي حلب/ .
في لبنان ـ جبال الشوف والمتن وبيروت/ .
في فلسطين والأرض المحتلة والمملكة الأردنية/ .
أخيراً :
الدروز لا يعتبرون من الفرق الإمامية بنظر المتطرفين من أعدائهم .

«٨ ـ القرامطة» :

عندما قامت الدولة العباسية ، كان عليها قبل كل شيء استئصال شأفة أعداءها المعارضين ، وكانت قد اعتبرت ، أهل البيت «العلويين» سواء الحسينيين أو الحسنيين من الأعداء الذين يخططون للقضاء عليها ،

وإسقاطها ، فشنَّت عليهم هجوماً ، وأمرت بقتلهم بشتى الوسائل وأينما وجدوا . أمّا «محمد بن إسماعيل» إمام الإسماعيلية السابع ، ففرَّ واستقرَّ في بلدة تدمر في نهاية المطاف تحت اسم مستعار هو «ميمون القدَّاح» وبالفعل امتهن مهنة قدح العيون ليخفي نفسه عن العباسيين الذين كانوا يطلبونه في كل مكان ، وبعد موته في تدمر ـ السورية ، انتقل ولده «عبد الله» إلى مدينة سلمية فتسمَّى «عبد الله بن ميمون القدَّاح» وأعلن عن نفسه بأنه من الشيعة الإيرانيين الذين يدعون إلى إمام مستور من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ، وبعد موته قام ولده «أحمد» فسار على منوال والده ، وبعد أحمد الحسين ثم ، علي المعل ، وهذا الإمام مات في ريعان الشباب بعد أن ترك وراءه ولداً هو القائم بأمر اللّه فقام عمّه «عبيد الله المهدي» بمهمة الوصاية عليه لأنه كان دون سن الرشد وذلك تحت ستار لقب «إمام مستودع» وهذا الإمام كان قوياً وجريئاً فأعلن عن إمامته ، وهذا الإعلان اختلف على البعض وشكَّل ما يشبه الشكوك في كافة المناطق حتى العراق ، على إعتبار أن هذه الأسرة إيرانية الأصل وكانت قد أعلنت عن أنها تقوم بالدعوة إلى إمام مستور ، وقد نتج عن ذلك أن الداعي الكبير «حمدان بن الأشعث» وكان على رأس إسماعيلية العراق أعلن انفصاله عن مركز الدعوة في سلمية ، وتسمَّى أتباعه بالقرامطة ، وقد استمرَّ بهذا الإعلان حتى وقت اصطدامه بزعيم كبير آخر هو «زكرويه بن مهرويه» الذي قتله أخيراً واستولى على الزعامة ثم ألَّف جيشاً قوياً وخرج من العراق إلى سوريا ليدمر ويخرب ويستولي ، وكانت غايته الأساسية القضاء على أسرة عبيد الله المهدي في سلمية التي اعتبروها خارجة ، وحللوا قتل أفرادها . وأخيراً : سار زكرويه وولديه إلى فتح البلدان والقتل والنهب والتدمير ، وعندما وصل الحسين بن زكرويه صاحب الخال إلى سلمية فتحها ولم يخرج من أهلها أحد ، حتى الأسرة الفاطمية ، وعددها ثلاثة وثمانين ، فإنه قتلهم عن آخرهم ، بينما عبيد الله المهدي والإمام القائم فكانا في طريقهما إلى تونس .

استمرَّ أبناء زكرويه بهجماتهم ، فهاجموا سلمية وقتلوا كل من كان فيها ، ولم يسلم أحد من الإسماعيليين ، واستمروا بالأعمال العدائية والعصيان على الدولة العباسية ، حتى تمكن الخليفة العباسي أخيراً من القضاء على هذا الجيش المحارب ، وعندئذ انتقلت زعامة القرامطة إلى أسرة آل الجنابي في البحرين . ومن الجدير بالذكر أن هذه الأسرة انقسمت إلى قسمين : قسم يؤيد الفاطميين ، وقسم يؤيد العباسيين والحمدانيين ، واستمرت الحرب بينهما وأخيراً : انتصرت الأسرة التي تؤيد العباسيين ، فقامت بجملة هجمات على دمشق التي كانت خاضعة للفاطميين وتمكنت من افتتاحها حتى أنها هاجمت القاهرة مرتين بقيادة «الحسن الأعصم» وأخيراً :

قاد الإمام العزيز بالله المعركة الأخيرة ضد هذه الفئة ، وكان معه القائد الفاطمي الكبير جوهر الصقلي ، فتمكنا في معركة الرملة التي استمرت بضعة أيام من القضاء على جيش الأعصم القرمطي ، وإلى الأبد ، وبعد هذا لم يبق لهذه الفرقة شيء ، ومن سلم منها انضمَّ إلى الفاطميين .

ومهما يكن من أمر . . . فإنها ثورة قامت قبل أوانها ، لذلك لم تستمر ، وقادها بعض المغامرين الذين لم يوفروا قتل الحجاج أو جلب الحجر الأسود . أمَّا عقائدهم وما رواه المؤرخون عنهم فهو مبالغ فيه ، وأنهم لا يختلفون عن الإسماعيلية عقائدياً . وبالمناسبة ولمزيد من الاطلاع نحيل القارئ الكريم إلى كتابنا عنهم المسمَّى «القرامطة» .

في عهدنا الحاضر يوجد بقايا من هذه الفرقة القرمطية ، تعيش في مناطق الأحساء التابعة للمملكة السعودية ، وفي «الواحة» الواقعة على مقربة من الشيعة الإثني عشرية ، وقسم من عشيرة بني خالد البدوية المتشيعة ، ويوجد منهم أيضاً عدد محدود في واحة القطيف ، وفي القطيف أيضاً ، وهناك أربعون قرية يوجد فيها أعداد من القرامطة ، كما يوجد منهم في الواحة والجزر المقابلة للساحة في «تاورت ودارين» وتقدر

أعدادهم في الأمكنة المذكورة بأربعين ألفاً . . . وفي بادية المملكة الأردنية توجد قبيلة تسمَّى «القرامطة» وعدد أفرادها يتراوح بين السبعة والثمانية آلاف ، ولكن حتى الآن لم تبدر أية بادرة تدل على أن أفراد هذه القبيلة هم من القرامطة فعلاً .

إن التاريخ طافح بالأخبار والأساطير عن هذه الفرقة ، وقد اتخذ منها بعض الباحثين مادة للكتابة وابتداع الأقاويل والأفكار والظنون ، حتى أن الشيوعية تغنَّت بها واعتبرتها حركة شيوعية أممية .

٩ ـ الخسروية :

فرقة إسماعيلية نزارية مؤمنية تقول بإمامة مؤمن بن الإمام شمس الدين محمد النزاري يعيشون في منطقة بدخشان من أفغانستان وينتسبون إلى الفيلسوف الإسماعيلي الكبير ناصر خسرو .

١٠ ـ المجهولة :

يوجد عدد كبير من الإسماعيليين النزاريين في الاتحاد السوفييتي وخاصة في مقاطعة تاجيكستان ولا يعرف عددهم بالضبط ، كما أنه لا يعرف عن اعتقاداتهم وطقوسهم الدينية شيئاً وكل ما نقوله عنهم : أنهم يعيشون وراء الستار الحديدي ، وفي ظل النظام الشيوعي .

وهناك أعداد كبيرة من الإسماعيلية النزارية يعيشون في وادي بامير في الصين وهؤلاء في عزلة تامة عن العالم ولا يمكن تقدير عددهم ، وليس غريباً أو عجيباً أن نطلق عليهم اسم «الإسماعيلية المجهولة» .

* * *

و ـ «الأبومسلمية»:

١ ـ الأبو مسلمية:

فرقة من الإمامية الغلاة قالت بألوهية أبي مسلم الخراساني وبحفيده فيروز من بعده، وأن بعض المؤرخين يعتبرونها من الفرق الخارجة عن نطاق الشيعة.

٢ ـ «الوهابية»:

فرقة إسلامية سنيَّة «غير شيعية» أدخلت تعاليم متطرفة على الإسلام، واجتهادات فيها الكثير من التعصب والخروج عن القواعد الأساسية، وهذه الدعوة ترفض التمييز بين الدين والسياسة فإن الإمامة تعود حتى إلى الحاكم الذي يجمع السلطتين.

مؤسس هذه الدعوة محمد بن عبد الوهاب من قرية العينية في نجد سنة ١٧٤٤م ثم انتقل إلى الدرعية على بعد عشرين كيلو متراً من الرياض، فتقرب منه «محمد بن سعود» شيخ عشيرة عنزة وتزوج ولده إبنته تم تسمَّى محمد بن سعود الإمام الأول. وتسلسلت منه بقية الأئمة على الوجه التالي:

١ ـ الإمام الأول: محمد بن سعود ـ مات موتاً طبيعياً سنة ١٧٦٥م.

٢ ـ الإمام الثاني: عبد العزيز محمد ـ [١٧٦٥ ـ ١٨٠٣] اغتاله شيعي انتقاماً لغزوة كربلاء.

٣ ـ الإمام الثالث: سعود بن عبد العزيز ـ [١٧٨٨ ـ ١٨١٣] مات موتاً طبيعياً.

٤ ـ الإمام الرابع : عبد الله بن سعود ـ [١٨١٣ ـ ١٨١٨] أعدم في الأستانة .

٥ ـ الإمام الخامس : تركي بن عبد الله ـ [١٨٢٠ ـ ١٨٣٠] اغتاله ابن عمّه مشاري بن عبد الرحمن .

٦ ـ الإمام السادس : مشاري بن عبد الرحمن ـ [١٨٣٠] قتله فيصل ابن تركي انتقاماً لأبيه .

٧ ـ الإمام السابع : فيصل بن تركي ـ [١٨٣٠ ـ ١٨٣٩] نفي إلى القاهرة .

٨ ـ الإمام الثامن : خالد بن سعود ـ [١٨٣٩ ـ ١٨٤١] خلفه ابن عمّه عبد الله بن ثنيان وتوفي في المنفى .

٩ ـ الإمام التاسع : عبد الله بن ثنيان ـ [١٨٤١ ـ ١٨٤٢] حبسه فيصل بن تركي ومات في السجن .

١٠ ـ الإمام العشر : فيصل بن تركي ـ [١٨٤٣ ـ ١٨٦٥] تولى الإمامة بعد عودته من القاهرة .

١١ ـ الإمام الحادي عشر : عبد الله بن فيصل ـ [١٨٦٥ ـ١٨٧١] عزله أخوه سعود .

١٢ ـ الإمام الثاني عشر : سعود بن فيصل ـ [١٨٧١ ـ ١٨٧٥] مات موتاً طبيعياً .

١٣ ـ الإمام الثالث عشر : عبد الرحمن بن فيصل «عزله أولاد سعود» .

١٤ ـ الإمام الرابع عشر : عبد الله بن فيصل ـ استعاد الإمامة ، ولكن أولاد أخيه أعادوا الكرة عليه فاستنجد بمحمد آل الرشيد أمير حائل الذي تغلب على أولاد سعود ، وأخذ عبد الله إلى حائل وهناك توفي وهو شبه أسير سنة ١٨٨٩ . فعادت الإمام إلى الثالث عشر عبد الرحمن بن

فيصل . فيكون هو الإمام الخامس عشر وقد تخلّى عن منصبه في ولايته الثانية لولده عبد العزيز الذي اعتبر الخامس عشر .

١٥ ـ الإمام الخامس عشر : عبد الرحمن بن فيصل .

١٦ ـ الإمام السادس عشر : سعود بن عبد العزيز ـ [١٩٥٣ـ١٩٦٤] ـ عزل من منصبه وتوفي في المنفى .

١٧ ـ الإمام السابع عشر : فيصل بن عبد العزيز [١٩٦٤ ـ ١٩٧٥] ـ اغتاله ابن أخيه فيصل بن مساعد .

١٨ ـ الإمام الثامن عشر : خالد بن عبد العزيز ـ [١٩٧٥ ـ ١٩٨٢] مات موتاً طبيعياً .

١٩ ـ الإمام التاسع عشر : فهد بن عبد العزيز ١٩٨٢ حامي الحرمين .

* * *

«الشجرة الإمامية الشيعيَّة وفروعها»:

«الإثنا عشرية»

١ ـ علي بن أبي طالب

٢ ـ الحسن

٣ ـ الحسين

٤ ـ علي (زين العابدين)

٥ ـ محمد (الباقر)

٦ ـ جعفر (الصادق)

٧ ـ موسى (الكاظم)

٨ ـ علي (الرضا)

٩ ـ محمد (الجواد)

١٠ ـ علي (الهادي)

١١ ـ حسن (العسكري)

١٢ ـ محمد (المنتظر)

«الإسماعيلية»

الإسماعيلية		
علي بن أبي طالب	١	
الحسين	٢	
علي (زين العابدين)	٣	
محمد (الباقر)	٤	
جعفر (الصادق)	٥	
اسماعيل (المبارك)	٦	
محمد (المكتوم) أو ميمون القداح	٧	
عبد الله (الرضي)	٨	
أحمد (الوفي)	٩	
حسين (الأهوازي)	١٠	الحسين
علي (المعل)	١١	سعيد الخير
القائم (محمد)	١٢	(عبيد الله المهدي)

«الشجرة الإمامية الشيعية وفروعها»

الزيدية	«الحسنية البارزون»	الحسينية	الحنفية
صفحة مستقلة	١ ـ الحسن المثنى بن الحسن	١ ـ علي بن أبي طالب	١ ـ علي بن أبي طالب
↓	٢ ـ عبدالله بن الحسن	٢ ـ الحسن	٢ ـ محمد بن الحنفية
	٣ ـ ابراهيم بن عبدالله	٣ ـ الحسين	٣ ـ عبدالله (أبو هاشم)
	٤ ـ محمد النفس الزكيّة	٤ ـ علي زين العابدين	
	٥ ـ إدريس بن عبدالله	٥ ـ زيد بن علي	
	٦ ـ يحيى بن عبدالله	٦ ـ يحيى بن زيد	
		٧ ـ عيسى بن زيد	

الفرق الإمامية الأخرى :

في كتابنا هذا توقفنا عن تعداد الفرق الأخرى التي انبثقت عن الخوارج ، والمعتزلة ، والقدرية والمرجئة واليزيدية ، لأن أكثر هذه الفرق لا يدخل في عداد الإمامية ، ولأن أكثر هذه الفرق باد ولم يبق له أثر .

ومهما يكن من أمر . . . فإن الفرق الجديرة بالبحث هي الإسماعيلية والإثنا عشرية والزيدية وهي الفرق الموجودة حتى اليوم ، وفي الصفحات التالية سنضع الصور الواضحة عن واقعهم الإمامي وعن عدد أئمتهم ، وتسلسل الإمامة لديهم والإختلافات الحاصلة وكل ما له علاقة بهذا الموضوع . وبالإضافة إلى ذلك لمحة عن حياة الأئمة ، وذلك لكي يسهل على القارىء الكريم الوقوف على كل ما يتعلق بموضوع الإمامة .

«الأئمة الأولون» :

١ ـ علي بن أبي طالب» :

«إلهي ماذا وجدك من عرفك ، وماذا عرفك من وجدك . تعرفت إليك في كل شيء . عبدتك لا خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك ، بل وجدتك إلهاً تستحق العبادة فعبدتك ، ولو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً . كفاني فخراً أن تكون لي رباً ، وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً ، أنت كما أريد فاجعلني كما تريد» .

«الإمام علي»

في عقيدتي : أن ابن أبي طالب كان أول عربي لازم الروح الكليَّة وجاورها وسامرها ، وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها على مسمع قوم لم يسمعوا بها من ذي قبل . فتاهوا بين مناهج بلاغته ، وظلمات ماضيهم . فمن أعجب بها كان إعجابه موثوقاً بالفطرة ، ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية .

مات علي بن أبي طالب شهيد عظمته ، مات والصلاة بين شفتيه ، مات وفي قلبه الشوق إلى ربه ، ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره ، حتى قام من جيرانهم الفرس ، أناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى . مات قبل أن يبلغ العالم رسالته كاملة وافية ، غير أنني أتمثله مبتسماً قبل أن يغمض عينيه عن هذه الأرض .

«مات شأن الأنبياء الباصرين الذين يأتون إلى بلد ليس ببلدهم ، وإلى قومٍ ليسوا بقومه وإلى زمنٍ ليس بزمنهم ، ولكن لربكَ شأناً في ذلك وهو أعلَم» .

جبران خليل جبران

«وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل

عن الموكب الإلهي ، واتصل بالروح الإنساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة ، وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الأجلى ، وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس ، وآنات كأني أسمع ، خطب الحكمة ينادي يا علياء الكلمة ، وأولياء أمر الأئمة ، يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الإرتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة ، ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير» .

الإمام محمد عبده

«في فصول الثورة تكشفت نفسيات الأشخاص ، ومدى احتكامها بمنطق الضمير والدين والأخلاق . فعائشة زوج الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم القوّامة الصوّامة تخرج وتسفك الدماء ، وطلحة والزبير اللذان صحبا النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أمداً طويلاً ينقضان البيعة ، وأبو موسى الأشعري يخذل أميره في مقعد القضاء والتحكيم ، ومعاوية يعبث بالقرآن ـ كتاب اللّه الأقدس ، فيرفعه على الأسنة خدعة حطيطة ، والجموع تتفرق من حوله حينما لم يخولهم من الأموال إلاّ ما خولهم إياه الدستور الذي ثاروا لأجله» .

ولّدت هذه المشاهد في نفس علي عليه السلام أسى مريراً ظهر جلياً ، فانصرف إلى تثقيف الجمهور بروح الإسلام من جديد ، وتقديم المثل الأعلى للمسلم الصحيح في شخصه ، وما فتىء يضرب على هذه النغمة حتى خرَّ صريعاً ، وهو ينادي الناس إلى الصلاة ، إلى الفلاح في غلس الليل .

وكان هذا إيذاناً بأن فجر الإسلام المثالي قد ذهب مع الأمس ، وفجر الغد سيكون ملطخاً أبداً بالدماء والأباطيل الحمراء .

أطلّت الشمس على الدم القاني وهي في خدر أمها فجذبت الغمام إليها ، كأنها تشيح بوجهها أن ترى منظر الهول الممدود في إنسان المبادىء الفضلى . . .

أبت الأقدار إلاّ أن تمنحه وسام الشرف في ظل كلمة اللّه التي جاهد لها ، وخرَّ صريعاً دونها وهي ملء قلبه وفمه .

جاء في الشريعة أن السحر وقت تجلي اللّه ، فينفح الرحمات ، ويهب البر والخير والمحبة ، وكان باطل الإنسان يقظان أيضاً في شكل أفعى تنفث معناها ، وفي عين اللّه ، التوت على عنق الداعي «حي على الصلاة ، حي على الفلاح» ، ثم استدارت على يده كي تطفىء المصباح ، كأنها تربه أن يفضحها ، فرأى اللّه ، وأبصر .

نطق الحق بصوت الليل . هاتوا أبنائي وخذوا أبناءكم ، فإن الباطل إلى التراب يصير ، والحق يجنّح صعداً نحو السماء .

إزدوج صوت علي عليه السلام حينما تخددت هامته بيد فاجرة ، مع صوت المؤذن : الله أكبر ، الله أكبر . وكان لهما قرار واحد ، ثم صمت الفجر كأنه يتسمَّع .

«عبد الله العلايلي»

في عقيدتي : إنه لم يمش على وجه هذا الكوكب إنسان له من المناقب والفضائل ما لعلي بن أبي طالب . وفي عقيدتي أن علياً ما يزال اللغز الذي لم يستطع العلم اكتشاف كنهه وأسراره ، والكنز الذي عجز الباحثون عن النفاذ إلى درره ولآلئه . إذن فلتخرس الأفواه ، ولتقف الأقلام خاشعة أمام عظمة «الناموس» العظيم ، والإنسان الكامل .

«عارف تامر»

ولد علي بن أبي طالب عليه السلام في الكعبة سنة ٦٠٤م الموافق

للثالث والثلاثين من عام الفيل ، ولم يولد من بني هاشم في الكعبة غيره . سمته أمه «حيدرة» في غياب والده ، ولكنه بعد أن جاء سمّاه «علي» . والده هو عمران ولقبه أبو طالب ، وقد توفي وعلي له من العمر ست سنوات . والدته هي فاطمة بنت هاشم بن عبد المناف بن قصي ، وأمها هي فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص .

عندما بلغ سن العاشرة ، هبَّ لنصرة ابن عمِّه محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وكانت دعوته قد أخذت بالظهور . أخوته : جعفر وطالب وعقيل . تزوج سنة ٦٢٣م من فاطمة بنت محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، وأنجب منها الحسن والحسين ومحسن وزينب الكبرى وأم كلثوم . وبعد وفاتها تزوج العديد من النساء ومنهنَّ : خولة بنت قيس بن جعفر الحنفي ـ وأنجب منها «محمد بن الحنفيَّة» .

فدى النبي محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بنفسه ، ونام في فراشه ، وهاجر في سبيله من مكة إلى المدينة على رجليه وحيداً مدة أربع عشرة ليلة ، وقاد الحملات الباسلة المستعرة في سبيل الإسلام ، كما أنه اشترك بغزوات رسَّخت قواعد الإسلام ، ووطّدت دعائمه . ومنها : بدر الأولى والثانية ، وخيبر ، والخندق ، وحنين ، ووادي الرمل ، والطائف ، واليمن . ويضاف إليها حرب صفين والجمل والنهروان . صلّى على الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وجهَّزه ، ودفنه ، ورسخ قواعد اللغة العربية عندما دفعها وحددها إلى أبي الأسود الدؤلي قائلاً : انح هذا النحو .

تسلّم شؤون الخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان سنة ٦٥٦م . أو سنة ٣٦هـ . ولكن عائشة زوجة النبي محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وطلحة والزبير شقوا عليه عصا الطاعة ، واتخذوا من البصرة قاعدة لتجهيز القبائل وإعلان الثورة والعصيان ، فجاء بجيوشه وقضى على مقاومتهم ، وتعرف المعركة بمعركة الجمل ، كما أن معاوية أعلن العصيان

على خلافته سنة ٦٥٧م أو سنة ٣٧هـ. فزحف بقواته لملاقاة جيوش الشام، وأسفرت المعارك عن التحكيم كما هو معروف تاريخياً، وتلك المعارك تعرف بحرب صفين.

طعن يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٤٠هـ. وتوفي يوم الأحد في السابع عشر من رمضان أثر طعنة من عبد الرحمن بن ملجم عن عمر «٦٣» عاماً.

كنيته: أبو تراب، وأمير النحل، وأمير المؤمنين، والكرَّار، وأسد الله، وصاحب ذو الفقار، وحيدرة.

اشتهر بالفصاحة والبلاغة والكرم والزهد. أمَّا شجاعته وفروسيته وقوة عزيمته فهي حديث الأجيال والتاريخ، ويكفي أن نعلم أنه ما صارع أحداً إلاَّ صرعه. ويصفح عن عدوه، ولا يتبع مهزوماً، وأن السماء لم تظل أشجع منه، ولا أقوى ساعداً.

وفي نهاية المطاف... فإن الأقلام لعاجزة، وأن الأفواه لتصمت أمام مثاليته، وتضطرب الأفئدة أمام عظمته، وأن البيان ليسف، وما الشعر والكلام إلاَّ حصاة في ساحله.

٢ ـ الحسن بن علي:

ولد في المدينة بتاريخ ١٥ رمضان من العام الثالث للهجرة، وتوفي مسموماً بتأثير من معاوية سنة ٥٠هـ. سمَّاه والده «حرب» ولكن جده الرسول محمد صلَّى اللّه عليه وآله وسلَّم بدَّل اسمه وسمَّاه «حسن» وهو الابن البكر للإمام علي عليه السلام أمَّا والدته فهي: فاطمة بنت محمد.

اعتبرته الشيعة الإثنا عشرية والزيدية إماماً شرعياً. أمَّا الإسماعيلية فاعتبروه إماماً مستودعاً قائماً بالإمامة نيابة عن الإمام المستقر «الحسين»، فهم والحالة هذه لا يدخلونه في شجرة الإمامة، ولا في عداد الأئمة

المستقرين . تسلّم شؤون الخلافة لفترة قصيرة بعد وفاة والده ، وبايع مضطراً بعد ذلك .

من المؤكد أن زوجته «جدعة بنت الأشعث بن قيس الكندي» دسَّت له السم في الطعام ، وكان معاوية قد وعدها بأخذها زوجة لولده يزيد ، فظلَّ الحسن مريضاً مدة أربعين يوماً ، ثم توفي أخيراً يوم الجمعة في الخامس من ربيع الأول سنة ٥٠هـ . وكان عمره سبعة وأربعين عاماً .

كان سخياً حليماً ، وخطيباً مصقعاً . طلب أن يدفن عند قبر جده النبي محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في البقيع . ألقابه : التقي ، والزكي ، والولي .

٣ ـ الحسين بن علي :

ولد في المدينة المنورة في الخامس من شهر شعبان سنة ٤هـ . سمَّاه جده الرسول الكريم محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم حسين . والدته هي فاطمة بنت محمد . كنيته أبو عبد الله ، وله ألقاب كثيرة أشهرها الزكي . استشهد في كربلاء في العاشر من محرَّم سنة ٦١هـ . وكان قد خرج من المدينة إلى العراق ليلة الخميس ٢٨ رجب سنة ٦٠هـ . ومعه أهله وإخوانه وأبناء أخيه .

أول ما ذهب من المدينة إلى مكة المكرمة بعدما لقي من اضطهاد الأمويين في المدينة التي ولد فيها ، وقضى فيها أيام الطفولة والشباب ، ثم غادرها يوم الثلاثاء ١٨ ذي الحجة من نفس العام إلى الكوفة ، وكان قصده أخذ البيعة من القبائل ، بعد أن وصله منها دعوات مستعجلة ممَّا جعله يسرع بإرسال ابن عمِّه «مسلم بن عقيل» للتحقق من أمر الدعوات ، فسار حتى أتى الكوفة ونزل ضيفاً على المختار بن أبي عبيد ، وبدأ يدعو لبيعة الحسين سراً ويأخذ العهود والمواثيق ، فعلم به يزيد ، فكتب إلى عبيد اللّه بن زياد والي البصرة يأمره أن يتولى الكوفة ، ويوقف

ابن عقيل أو يقتله أو يبعده ، فجاء ابن زياد وأخذ يبحث عن مسلم ، وبعد جهود اهتدى إلى مقره عند أحد الشيوخ يسمَّى هاني بن عروة فاستدعاه ابن زياد وأمره بتسليم مسلم بن عقيل ، ولكنه رفض فظلَّ يضربه بالعصا حتى ادمى وجهه وهشَّم أنفه دون أن يقرَّ عليه .

وعندما شاع خبر مقتل هاني تجمع أهل الكوفة ، وساروا وراء مسلم ، وعددهم أربعة آلاف لاحتلال قصر ابن زياد ، ولم يكن فيه سوى مئة شرطي ، فبدأ هؤلاء بالتراجع والفرار واحداً بعد الآخر حتى وصل العدد الباقي معه إلى الخمسين ، فخرج بهم إلى المسجد ليصلي صلاة العشاء ، وبعد الصلاة تطلع فلم يرى أحداً حوله ، فهام على وجهه في سوق الكوفة وحيداً غريباً وكان قد أضناه الجوع والعطش حتى وقف أخيراً على دار أرملة كانت تنتظر رجوع إبنها ، فاستسقى فسقته ، وعاد إبنها فأوصته أن يحفظه ، ولكنه سمع بالمكافأة ممَّا جعله يخبر عنه ، فجاء رجال ابن زياد واقتحموا الدار فهجم عليهم وظلَّت المعركة بينهم وبينه فترة طويلة ، وأخيراً رموه بالحجارة والنار من الأسطحة ، فوقع مغشياً عليه وكان يبكي ندماً على كتاب بعثه إلى عمِّه الحسين يطلب إليه فيه الحضور إلى الكوفة ، وأخيراً : قتله ابن زياد ، ورمى بجثته من القصر ، ثم أرسل رأسه ورأس هاني بن عروة إلى يزيد بن معاوية .

سار الحسين حتى وصل إلى القادسية ، وفيها نعي إليه مسلم ، ونصح بالرجوع ، وكان معه أخوة مسلم فأبوا الرجوع ، وقالوا بأخذ الثأر ، وعندما وصل الحسين إلى كربلاء نشبت بينه وبين رجال ابن زياد وعلى رأسهم الحر بن يزيد فقاتل حتى قتل مع جميع أصحابه . أمَّا الحر فانحاز إلى الحسين وقاتل حتى قتل وحيداً مع عدو يفوقه عدة وعدداً .

يعتبر حادث قتله من القصص المثيرة التي يتفطَّر لها القلب ، وهو أول شهيد في سبيل الواجب ، وكان له ثلاثة أولاد هما علي الأكبر ، وعلي

الأوسط ، وعلي الأصغر ، فالأول قتل مع أبيه ، وهكذا الأصغر ، كما قتل القاسم بن الحسن ، وابن الحسن المثنى ، وابن عبد الله ، وعبد الله بن الحسن ، وكان مع الحسين في المعركة فضلاً عن ثلاثة وثمانين رجلاً ، عدد من النساء منهنَّ زينبت وأم كلثوم ، والرباب وفاطمة ، ولم يسلم من الذكور سوى علي الأوسط «زين العابدين» وكان مريضاً .

هو الإمام الثاني من الوجهة الإسماعيلية ، والثالث لدى الإثني عشرية ، والزيدية . اشتهر بالشجاعة والإقدام وقوة الساعد ، ويذكره التاريخ في عداد أبطال العرب الخالدين . مدة إمامته إحدى عشر عاماً وستة أشهر وأربعة أيام .

٤ ـ علي بن الحسين ـ «زين العابدين»

هو الإمام الرابع بنظر الشيعة الإثني عشرية والزيدية ، والثالث من الوجهة النظرية الإسماعيلية . ولد يوم الجمعة ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٣٨هـ . في المدينة المنورة ، وليس للحسين عقب إلاَّ من ولده هذا الذي نجا بأعجوبة من معركة كربلاء .

أمه هي سلافة بنت كسرى أنو شروان يزدجرد آخر ملوك فارس . كان له من العمر تسعة أعوام عندما استشهد والده وإخوته في كربلاء .

مات بالسم بمؤامرة حاكها عبد الملك بن مروان ، ودفن في روضة البقيع في ضريح عمّه الحسن بن علي سنة ٩٢هـ . وكان له من العمر ستة وخمسون عاماً .

اشتهر بالزهد والعبادة ، ولم يكن يوجد من يماثله في هذه الصفات ، ولذلك لقب بزين العابدين والسجَّاد .

مدة إمامته ثلاث سنوات ، وتسعة أشهر ، وتسعة عشر يوماً .

٥ ـ محمد بن علي «الباقر» :

هو الإمام الخامس بالنسبة للشجرة الإمامية الإثني عشرية ، والرابع من

وجهة النظر الإسماعيلية الإمامية . ولد يوم الثلاثاء في الثامن من صفر سنة ٥٧هـ في المدينة المنورة أي قبل استشهاد جدّه الحسين بثلاث سنوات . لم يتعرض للإمامة خوفاً من الرقابة المفروضة عليه . أمه فاطمة بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . تزوج أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر .

كان كريماً إلى حد الإسراف ، يجود بما يسد الخلة ، وبما يغني من الفقر ، واذا وجب الحال بذل المال الذي يملكه في سبيل المعروف وعمل الخير . اشتهر بمدرسته العلمية التي كان لها السبق بتخريج أكبر عدد من العلماء الأفذاذ في ذلك العصر ، ومن بينهم ولده الإمام جعفر بن محمد «الصادق» .

لقب بالباقر نظراً لعلمه ، وتبحره في كافة العلوم السائدة في عصره ، ومعنى الكلمة باقر أي التفجير أي أنه فجَّر العلم .

مات مسموماً بمؤامرة حاكها الوليد بن عبد الملك ، وكان في الحميمة ثم نقل إلى المدينة ، ودفن في روضة البقيع سنة ١١٧هـ . في قبر أبيه وعم أبيه الحسن بن علي .

مدة إمامته تسعة عشر عاماً ، وستة أشهر وأربعة أيام .

٦ ـ جعفر بن محمد «الصادق» :

هو الإمام السادس من وجهة نظر الإثني عشرية ، والخامس من وجهة نظر الإسماعيلية . ولد في المدينة سنة ٨٠هـ أي يوم الإثنين ١٧ ربيع الأول في بيت اشتهر بإنجاب عظماء الأئمة ، وأكابر الأعلام والقواد . إنه بيت جدّه علي بن الحسين «زين العابدين» .

أمّه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر . تربى في كنف جدّه علي زين العابدين ما بين عشرة أو أربعة عشرعاماً ، وفي كنف والده

محمد الباقر نحواً من ثلاثين عاماً درس خلالها عليه ، وتطبع بصفات الفضل ومحبة العلم ،وتعلّم من جدّه زين العابدين أن يطعم حتى لا يبقى لعياله طعاماً ، وأن يكسو حتى لا تبقى لهم كسوة .

لقب بالصادق لصدقه في مقالته وأعماله . من تلامذته جابر بن حيَّان الباحث العبقري في الكيمياء ، ومن الثابت أن الصادق كان يملي عليه الدروس .

للصادق نظريات صائبة في علم الفلك والفلسفة والتقويمات الشهرية والسنوية ، وقد اشتهر بالفقه والحديث .

مات مسموماً بالعنب بتدبير منصور الدوانيقي العباسي ، ودفن في البقيع في قبر والده وجدّه الحسن بن علي وذلك سنة ١٩٨هـ . عن عمر قدّر بـ «٦٨» عاماً .

كان على جانب كبير من الحنكة السياسية والمداراة ، فلم يعرض شخصه للخطر ، وقد رفض الخلافة حينما عرضت عليه وذلك حتى لا يصطدم بالعباسيين ، ورفض أن يعلن الثورة عليهم حتى لا يناله ما نال ابن عمّه «النفس الزكية» ، وأعلن براءته من أبي الخطاب «تقيةً» لكي يرضي الرأي العام المتحمس ، واتخذ من ضعف الفريقين أتباع الحسن ، وأتباع ابن الحنفية فرصة لإظهار نفسه بأنه الوارث الحقيقة للإمامة ، وأن لا حق لأحد أن يطالب بها غيره ، وذلك ليبعد شر العباسيين عنهم ، ويقرب الحاكمين إليه ، عدا الرأي العام الذي سعى إلى التقرب منه ونيل رضاه .

مدة إمامته أربعة وثلاثون عاماً ، وسبعة أشهر ، وعشرة أيام .

«أئمة الحسنية» البارزون

١ ـ الحسن المثنّى بن الحسن :

هو الابن الأكبر للإمام الحسن بن علي بن أبي طالب . ولد سنة

٣٤هـ . في المدينة . أمّه مليلة بنت خارجة بن سنان . لقبه الحسين المثنّى . كان جريئاً ومغامراً ، وعلى جانب كبير من الوسامة والهيبة . أبلى بلاءً حسناً في حرب كربلاء ، وكان يتلقى النبال المصوَّبة إلى عمّه الحسين بصدره . يعتبر الإمام الثاني بعد والده الحسن .

٢ ـ «عبد الله بن الحسن» :

ولد في المدينة سنة ٥٤هـ . لقبه عبد الله المحض . كنيته أبو محمد . كان شيخ الهاشميين في عصره ، وحجتهم . لعب دوراً كبيراً على مسرح الأحداث الإسلامية ، وكان من العلماء البارزين ، الذين أتقنوا الفقه والحديث والبلاغة والتفسير .

قتل في المدينة سنة ٨٧هـ . ودفن فيها . خاصمه وناصبه العداء ابن عمّه زيد بن علي بن زين العابدين .

٣ ـ «إبراهيم بن عبد الله» :

ولد في المدينة سنة ٨٩هـ . هو ابن عبد الله بن الحسن المثنّى خرج إلى البصرة يطالب بالخلافة ، فطلبه أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ . وقتله بسهم عابر .

من الجدير بالذكر أن الإمام جعفر بن محمد الصادق ضاق ذرعاً به ، ومحمد بن عبد الله النفس الزكية أخيه فبادلهما الإتهامات الجارحة إنقاذاً لهما ،ولكن لم تنفع تلك الأساليب فقتلا ، وبعد ذلك انضمَّ أتباعهما إلى الحسينيين . من المعلوم أن الخليفة الهادي العباسي هو الذي قتلهما بمعركة فخ سنة ١٦٩هـ .

٤ ـ «محمد بن عبد الله» النفس الزكيَّة :

ولد سنة ٨٧هـ في المدينة . لمّا أحاطت جيوش عيسى بن موسى ابن أخ المنصور العباسي بالمدينة ، كان النفس الزكية يدعو لنفسه بالخلافة ، فلم

يشأ أن يهرب بل خرج يباشر الحرب بنفسه ، وكان معه قلة من الناس ، وبالرغم من معرفته بأنه سيقتل ، فقد ظلّ يقاتل حتى خرَّ صريعاً .

كانت المعركة التي قتل فيها أشبه بمعركة حمزة بن عبد المطلب ، إذ أن أعداءه رموه بالسهام مدة ، لأن المحاربين لم يتجاسر أحد منهم أن يدنو منه ، وحينما دهمته الخيل وقف إلى جزر فتحاماه الناس ، وعندما تيقن من الموت تحامل على سيفه فكسره . كان مقتله في المدينة في ١٤ رمضان سنة ١٤٥هـ .

هو الابن الأكبر لعبد الله بن الحسن المثنَّى . كان حديث الناس في عصره ، ومضرب المثل بالشجاعة والرجولة المتميزة ، وقد حمل رأسه إلى المنصور العباسي .

٥ ـ «إدريس بن عبد الله» :

هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . يقال له إدريس الأول ، شهد وقعة فخ ، وهو في واد في مكة ، وكان الخليفة العباسي الهادي قد جرَّد حملة عسكرية كبرى للقضاء على أتباع محمد بن عبد الله النفس الزكية .

اضطرَّ إدريس إلى الإختباء بعد المعركة مدة ، ثم فرَّ إلى مصر ، ومنها إلى المغرب حيث استطاع أن ينشىء أول دولة علوية حسنية وذلك في سنة ١٧٢هـ . وقد ظلَّت هذه الدولة تحكم المغرب الأقصى قرابة قرنين من الزمن .

يروى : أن مؤدبه عبد الله بن مسعود كان قد أخرجه بعد مقتل أبيه إلى السنه فقتل فيها ، ووجه برأسه إلى أبي جعفر المنصور .

٦ ـ «يحيى بن عبد الله» :

نجا يحيى بن عبد الله مع من نجا من وقعة فخ ، ثم غادر إلى بلاد

الديلم فزاد فيها سلطانه وكثر أنصاره، فندب الرشيد العباسي لقتاله الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي في خمسين ألفاً، غير أن الفضل صانعه ولاطفه حتى أجاب إلى الصلح، على أن يكتب له الرشيد أماناً فكتبه، وأشهد عليه الفقهاء والقضاة ومشائخ بني هاشم، ثم أتى إلى بغداد فأقام بمنزل الفضل بن يحيى بن خالد أياماً، ثم دفعه إلى جعفر البرمكي فحبسه وأكرمه في سجنه. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن السبب في قتل الرشيد للبرامكة هو معاملة جعفر الطيبة ليحيى بن عبد الله. أخيراً: قتل سنة ١٧٦هـ في بغداد.

«أئمة الحنفيَّة»

١ ـ «محمد بن الحنفيَّة»:

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطَّاب أو سنة ٦٤٢م. هو نجل الإمام علي بن أبي طالب. أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفي من قبيلة حنفية. كان يكنى أبا القاسم. أولاده الحسن بن محمد، وعبد الله «أبو هاشم»، وجعفر الأكبر، وحمزة، وعلي، وجعفر الأصغر، وعون، وإبراهيم، وأشهرهم أبو هاشم. كان محمد غزير العلم والورع، شديداً قوياً ويملك الشجاعة والفروسية.

ظهر في حرب الجمل، وقد أوكل إليه والده حمل الراية، وشق الصفوف، ولكنه تقاعس فحمل والده على الأعداء، وشقَّ الصفوف ثم عاد ليقول له: هكذا، افعل يا ابن الحنفيَّة.

توفي في أول محرم سنة ٨١هـ. وقيل في المدينة، وصلَّى عليه أبان ابن عثمان بن عفَّان،وكان والي المدينة، وقيل إنه خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات هناك وقيل إنه مات ببلاد أيلة.

٢ ـ عبد الله بن محمد «أبو هاشم»:

هو الابن الثاني لمحمد بن الحنفيَّة. ولد سنة ٦٩هـ. قبل وفاته أوصى

بالإمامة إلى محمد بن علي بن عبد الله العباسي ، وكان ذلك في عهد خلافة سليمان بن عبد الملك الأموي مدعياً أن ليس بين العلويين من يصلح لإقامة الدعوة العلوية .

يعتبر المغتصب لحقوق أبناء عمّه الحسينيين ، وأن تنازله عن الإمامة للعباسيين قد أضاع على العلويين فرصة الإستيلاء على الخلافة من الأمويين ، كما ساعد على تفككهم ، كما أنه مكّن العباسيين من قلب الدولة الأموية ، والاستئثار بها دون العلويين . مات سنة ١١٩هـ . بأرض الشراة ، وكان منصرفاً من الشام .

«أئمة الإثني عشرية»

١ ـ موسى بن جعفر «الكاظم» :

ولد في المدينة سنة ١٢٨هـ . لقبه الكاظم ، والعبد الصالح ، وأبو الحسن . كان مشهوراً بوفرة علمه ، واحتماله الصبر . كان مسكنه في المدينة . استحضره المهدي العباسي من المدينة إلى بغداد وسجنه ، ثم أخرجه وردّه إلى المدينة ، ولكن هرون الرشيد استقدمه ثانية فيما بعد وسجنه حتى مات في السجن ، ويقال : إن محي الدين خالد البرمكي أعطاه السم بأمر الرشيد .

يعتبر موسى الكاظم الإمام السابع بنظر الفرقة الشيعية الإثني عشرية ، أمّا الإسماعيلية فقد ساقت الإمامة بأخيه إسماعيل بن جعفر ، وبعد إسماعيل بولده محمد ، واعتبرت موسى الكاظم إماماً مستودعاً قائماً بالنيابة عن ابن أخيه الإمام محمد بن إسماعيل .

توفي في بغداد سنة ١٨٣هـ .

٢ ـ «علي بن موسى «الرضا» :

ولد سنة ١٥٣هـ في المدينة بعد وفاة جدّه الإمام جعفر بن محمد

الصادق بخمس سنوات . هو الإمام الثامن لدى الإثني عشرية .أمّه هي سُمانة النوبية ، وهي جارية تزوجها والده موسى الكاظم . اعتبر من الأئمة الذين لعبوا دوراً كبيراً على مسرح الأحداث الإسلامية في عصره . زوّجه المأمون العباسي إبنته «أم حبيبة» وأشركه في الحكم ، وسمّاه لولاية العهد وذلك سنة ٢٠١هـ في مرو ، وضرب الدراهم باسمه .

كان على جانب كبير من سعة الإطلاع والذكاء . مدحه الشاعر أبو نواس بقصائد مختارة ومنها :

من لـم يكن علوياً حين تنسبـه ... فمـا له من قديم الدهر مفتـخر
مطهّـرون نقـيـات ثيـابهـم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
والله لمّا بدا خلقـاً وأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

مات بالسم ، ودفن في طوس سنة ٢٠٢هـ . ومقامه هناك من أعاجيب الدنيا ، ويقصده الزوّار من كافة أنحاء العالم .

٣ ـ محمد علي «الجواد» :

ولد في ١٩ رمضان سنة ١٩٥هـ . في المدينة . من ألقابه التقي والجواد . زوجته أم الفضل بنت المأمون العباسي ، وقد زوّجه إياها بالنظر لعلمه وفضله ، وأمه أم الخيزران .

هو الإمام التاسع بنظر الإثني عشرية . خاف الخليفة المعتصم العباسي منه على الدولة بعدما رأى إقبال الناس على تأييده ومحبته واحترامه ، ولهذا أمر بأن يدس له السم في الطعام ، فمات من جراء هذه المكيدة الدنيئة في آخر ذي القعدة ببغداد سنة ٢٢٠هـ أو سنة ٨٣٥م . ودفن في مقبرة الكاظميين على مقربة من جدّه الكاظم .

٤ ـ علي بن محمد «الهادي» :

ولد سنة ٢١٤هـ . في المدينة . كان ابن سبعة أعوام عند وفاة والده . من ألقابه : الهادي والنقي . عاصر المتوكل العباسي ، والواثق ، والمنتصر . يعتبر الإمام العاشر لدى الإثني عشرية . مات بالسم أيضاً بمؤامرة دبرها الخليفة العباسي المعتز بالله سنة ٢٥٤هـ في سامراء .

٥ ـ حسن بن علي «العسكري» :

ولد في المدينة في ٨ ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ . يعتبر الإمام الحادي عشر بنظر الإثني عشرية . تلقَّب بالعسكري لأن المحلة التي كان يسكنها في سامراء اسمها «عسكر» ، مدحه الشاعر الكبير ابن الرومي . عاصر المعتز والمهتدي والمعتمد العباسيين .

كان يلاقي كل حب ورعاية من قبل العباسيين ، وأخيراً : مات بالسم كما مات آباؤه وأجداده ، وكان له من العمر /٢٨/ عاماً بعد أن ترك ولداً واحداً هو محمد «المهدي المنتظر» . . . من ألقابه : الزكي والخالص .

كانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ . أو سنة ٨٧٣م . ودفن في مقام والده بسامراء .

٦ ـ محمد الحسن «المنتظر» :

ولد سنة ٢٥٥هـ . هو الإمام الثاني عشر لدى الفرقة الشيعية الإمامية المعروفة والمنتسبة إليه . من ألقابه الحجة ، والمهدي ، والمنتظر .

طلبه العباسيون سنة ٢٦٦هـ وكان عمره إحدى عشر عاماً ، فدخل دار الإستتار في سامراء سنة ٢٦٦هـ .

بعد غيبته توقفت هذه الفرقة عن السير الإمامي . وتقول : إنه سيعود ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

«ثلاثة أئمة من الفرع الحسيني»

١ ـ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب :

كنيته أبو الحسن . أمه أم ولد أهداها المختار بن أبي عبيدة إلى والده علي بن الحسين «زين العابدين» فولدت له زيداً . وزيد كان زاهداً عابداً مثل والده وقد ظهر في جبينه أثر السجود .

جاء إلى الكوفة ، ومنها إلى القادسية معرضاً بالخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، وهناك ألحوا عليه بالبقاء ، وأعطوه العهود والمواثيق وكان عددهم خمسة عشر ألفاً ، فأقام بالكوفة يرسي قواعد دعوته ويرسل دعاته . كانت وفاته يوم الجمعة في صفر سنة ١٢١هـ .

٢ ـ «يحيى بن زيد» :

أمه ربطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . عندما مات والده وتم دفنه عاد وأقام في جبانة السبيع ، ولكن الناس تفرقوا عنه فلم يبق معه إلاَّ عشرة نفر ، فذهب بهم إلى نينوى ثم إلى المدائن ، ومنها خرج إلى الري حتى أتى سرخس ، وهناك حمل عليه عمرو بن زرارة ، فقتل كل أصحابه ، أمَّا هو فقد أصابته نشَّابة في جبهته كما ذكرنا رماه بها رجل من موالي عنزة يقال له عيسى ، وقد صلب يحيى بن زيد على باب مدينة الجوزخان بخراسان سنة ١٢٥هـ .

٣ ـ «عيسى بن زيد» :

هو الأخ الأصغر ليحيى بن زيد . أمه ربطة بنت أبي هاشم بن عبدالله ابن محمد بن الحنفية . كان بالبصرة عندما جاءت عساكر المنصور العباسي لقتله ، باعتباره دعا إلى إمامته بعد مقتل أخيه . انتسبت إليه ثورة الزنج فيما بعد . ولم يثبت ذلك .

«أئمة الزيدية في صعدة وصنعاء»

«المؤسس الأول» :

إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنَّى إبنه محمد بن طباطبا ـ أحد أئمة اليمن . ولد سنة ٧٣هـ . وتوفي سنة ١٩٩هـ . وله من العمر ١٢٦ عاماً .

«العهد الأول» :

١ ـ أبو محمد القاسم الرسي ، ترجمان الدين بن إبراهيم طباطبا : ولد سنة ١٦٩هـ . وتوفي سنة ٢٤٦هـ . وعمَّر /٧٧/ عاماً تولّى الإمامة بعد موت أخيه محمد وسمي الرسي لأنه مات بالرس ، وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة وهي قرية على بعد ستة أو سبعة أميال من المدينة .

٢ ـ الحسين بن القاسم حكم سنة ٢٤٦هـ .

٣ ـ الهادي إلى الحق يحيى بن القاسم الرسي . ولد سنة ٢٤٥هـ . توفي في ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ . حكم سنة ٢٨٠هـ . خرج في عهد المأمون الخليفة العباسي ، وملك ما بين صعدة وصنعاء ، ووقعت بينه وبين عمَّال العباسيين معارك دامية . خطب له بمكة سبع سنين ، وكان عالماً جليلاً ، وترك عدداً من المؤلفات القيمة .

٤ ـ المرتضى أبو القاسم محمد بن يحيى : اعتزل الحكم سنة ٣٠١هـ . وتوفي سنة ٣١٠ هـ . حكم سنة ٢٩٨هـ .

٥ ـ الناصر أحمد بن يحيى : توفي سنة ٣٢٥هـ . حكم سنة ٣٠١هـ .

٦ ـ المنتخب الحسين بن أحمد . توفي سنة ٣٢٤هـ .

٧ ـ المختار أبو محمد القاسم بن أحمد : حكم سنة ٣٢٤هـ .

٨ ـ المنصور يوسف الداعي بن يحيى .

٩ ـ القاسم المنصور بن علي الألياني . توفي سنة ٣٩٣هـ .

١٠ ـ المهدي الحسين بن القاسم المنصور . حكم سنة ٣٩٣هـ .

١١ ـ جعفر بن القاسم المنصور .

١٢ ـ أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن . حكم سنة ٤٢٦هـ .

١٣ ـ الناصر أبو الفتح الديلمي بن الحسين بن محمد : قتله علي الصليحي الإسماعيلي سنة ٤٤٧هـ . حكم سنة ٤٣٠هـ .

١٤ ـ المتوكل أحمد بن سليمان بن محمد . توفي سنة ٥٦٦هـ . حكم سنة ٥٣٢هـ .

١٥ ـ علي الوحيد بن حاتم . هزمه تورانشاه الأول الأيوبي سنة ٥٦٩هـ . حكم سنة ٥٥٦هـ .

«**العهد الثاني**» :

١٦ ـ المنصور عبد الله بن حمزة : ولد سنة ٥٦١هـ . توفي سنة ٦١٤هـ . حكم سنة ٥٩٣هـ . استرد صنعاء سنة ٥٩٤هـ .

١٧ ـ الناصر عز الدين محمد بن عبد الله : مكانه في صعدة حتى سنة ٦٢٣هـ . حكم سنة ٦١٤هـ .

١٨ ـ الهادي نجم الدين يحيى بن حمزة : مات سنة ٦١٤هـ .

١٩ ـ المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم : مات سنة ٦٥٦هـ . حكم سنة ٦٢٣هـ .

٢٠ ـ المتوكل شمس الدين أحمد بن عبد الله بن حمزة : حكم سنة ٦٥٦هـ .

٢١ ـ المنتصر داؤد «فرع من قرابة بعيدة ، ونسبهم مشكوك فيه» حكم سنة ٦٨٠هـ .

٢٢ ـ أحمد الإمام . حكم سنة ٦٤٦هـ .

٢٣ ـ أبو محمد الحسن .

٢٤ ـ يحيى بن محمد .

٢٥ ـ حسين بن فلان .

٢٦ ـ إبراهيم بن أحمد . حكم سنة ٦٧٠هـ .

٢٧ ـ المطهَّر بن يحيى «ضد المنتصر داؤد» توفي سنة ٦٩٧هـ .

٢٨ ـ محمد بن المطهَّر . حكم سنة ٦٩٧هـ .

٢٩ ـ المطهَّر بن محمد .

٣٠ ـ صلاح الدين بن المطهر .

«أئمة صنعاء» :

٣١ ـ القائم المنصور بن محمد بن علي بن محمد : مات في ١٥ ربيع الأول سنة ١٠٢٩هـ . حكم سنة ١٠٠٠هـ .

٣٢ ـ المؤيد بن محمد بن القاسم : مات في ٢٧ رجب سنة ١٠٤٥هـ . حكم سنة ١٠٢٩هـ .

٣٣ ـ المتوكل إسماعيل بن القاسم : مات في ٤ جمادى الآخرة سنة ١٠٨٧هـ . حكم سنة ١٠٥٤هـ .

٣٤ ـ أحمد بن القاسم . طالب بالحكم سنة ١٠٥٤ و١٠٥٥هـ .

٣٥ ـ أحمد المهدي بن الحسن : مات في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٠٩٢ . حكم سنة ١٠٨٧هـ .

٣٦ ـ الهادي محمد بن إسماعيل . مات في جمادى الآخرة سنة ١٠٩٧هـ . حكم سنة ١٠٩٢هـ .

٣٧ ـ المهدي محمد بن أحمد بن الحسن . حكم سنة ١٠٩٧هـ .

٣٨ ـ يوسف بن إسماعيل . «ادعى الحكم لنفسه لفترة قصيرة سنة ١٠٩٧هـ» .

٣٩ ـ الناصر محمد بن الحسين .

٤٠ ـ المتوكل القاسم بن الحسين بن أحمد حكم سنة ١١٢٨هـ .

٤١ ـ المنصور الحسين بن المتوكل . حكم سنة ١١٣٩هـ .

٤٢ ـ الهادي المجيد محمد بن علي بن الحسين . حكم سنة ١١٣٩هـ .

٤٣ ـ المنصور الحسين بن المتوكل «للمرة الثانية» مات سنة ١١٤٠هـ .

٤٤ ـ المهدي العباس بن الحسين بن القاسم المتوكل . حكم سنة ١١٦٠هـ .

٤٥ ـ المنصور علي . حكم سنة ١١٩٠هـ .

٤٦ ـ المهدي أحمد بن الحسين القاسم المتوكل . حكم سنة ١٢٢١هـ .

٤٧ ـ المنصور علي . . .

٤٨ ـ المهدي قاسم . حكم سنة ١٢٥٧هـ .

٤٩ ـ محمد بن يحيى «خضع للعباسيين . عزل ثم قتل . حكم سنة ١٢٦١هـ . استردّ العثمانيون صنعاء في عهده .

٥٠ ـ يحي حميد الدين ، ثار ثم أعلن استقلال دولته بصعدة . حكم سنة ١٣٠٨هـ .

٥١ ـ يحيى بن محمد بن حميد الدين : حكم بصعدة حتى سنة ١٣٢٢هـ . في سنة ١٣٣٠هـ حكم بشهارة قرب صنعاء .

٥٢ ـ أحمد بن يحيى بن حميد الدين . حكم حتى سنة ١٣٧٩هـ .

٥٣ ـ بدر بن أحمد بن يحيى . . . هو الإمام الحالي ، ويوجد في بريطانيا أثر إنقلاب عسكري .

«الإسماعيلية الإمامية»

«تمهيد» :

هزَّت البلاد المحكومة من العباسيين أثناء العصور الوسطى للإسلام ، حركة دينية اجتماعية فلسفية وسياسية معاً ، ثم لم تلبث أن هددت كيان الخلافة الإسلامية نفسها زمناً طويلاً ، ورافقها إخراج المجتمع الإسلامي من جموده إلى عالم فسيح من التطور والحرية والإشتراكية ، وممَّا يجدر ذكره أن القائمين على هذه الحركة ، توفقوا بعد بلوغهم الذروة من التنظيم والإنشاء ، إلى إقامة خلافة فاطمية شيعية إمامية فاطمية في المغرب العربي ومصر جاءت لتقف بوجه الخلافة العباسية السنية القائمة في بغداد ، وأقل ما يقال فيها إنها ساوتها قوة ومنعة ، وفاقتها عزة ومكانة ، وأنها كانت صاحبة الشوط الأول في مجال المدنية والعلوم ، وفي طليعة الدول العاملة لبناء أسس حضارة عالمية تكون قائمة على دعائم متينة من الثقافة والعلم . أقول ذلك ، لأنه من الواضح بمكان أننا قلَّما نجد في المجتمع الإسلامي مذهباً أو دعوة إلى تغيير نظم عقائدية أو سياسية أو اجتماعية قامت إلاَّ على أسس علمية ، أو إستناداً إلى القوة والعنف .

نشأت الإسماعيلية نشأتها الأولى سنة ١٢٨هـ . في الحجاز والعراق وفارس ، كدعوة دينية إصلاحية من قبل الفقيه المتشرع الإمام جعفر بن محمد «الصادق» وكانت انئذ القاعدة الكبرى للمجموعة الشيعية الكبرى ، وحينما وقع الإنقسام الكبير بين الإسماعيليين وبين الإثني عشرية ، اتجهت الإسماعيلية إلى السير على الخط الذي رسمه لها الإمام جعفر ، فقالوا :

بأن دعوتهم الإمامية قديمة أي منذ بدء التكوين الديني بعهد آدم ، وأن التسمية الإسماعيلية أول ظهورها كانت بعهد إبراهيم بن إبراهيم الخليل وما قبل ، وبالرغم من عدم وجود ما يثبت هذا الزعم تاريخياً وعقائدياً ، فإننا لا نجد بين أيدينا مصادر تاريخية كافية تؤيد هذه الأقوال تأييداً مقنعاً ، وهذا ما يجعلنا مع أكثر الباحثين والمهتمين نولي اهتمامنا عند بحث الإسماعيلية على الحديث بدءاً من عهد إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو الإمام السادس لجدّه علي بن أبي طالب .

في الواقع : إن الحركة الإسماعيلية الدينية ، بدأت تتحول إلى دعوة سياسية أممية سنة ٢٥٩هـ آخذةً سبيلها لتحريك العقول من جمودها الضيق ، وإخراجها من عزلتها ، وإضفاء الإنطلاق الرحيب عليها ، ونبذ البدع القديمة ، والتمسك بعقيدة جديدة واقعية في نظمها وقوانينها ، فاجتمع نفر من الدعاة الشيعة الإمامية بعد وفاة الإمام إسماعيل بن جعفر ، وبايعوا ولده محمد ، وكان فريق آخر من المجموعة الشيعية قد بايع أخاه موسى الكاظم كما ذكرنا ، وهكذا انقسمت هذه المجموعة الشيعية الكبرى إلى فرقتين .

ومهما يكن من أمر . . . فإن الإمام محمد بن إسماعيل انتقل من مقره في الجزيرة العربية إلى بلاد فارس ولكن الطلب توالى عليه من العباسيين ، فخرج إلى تدمر ـ سوريا فأقام فيها تحت اسم مستعار هو «ميمون بن قدَّاح» ثم قام بنشر دعوته بطريقة سريَّة ،ولهذا اعتبر أول الأئمة المستورين بعد وفاته في تدمر ، انتقل ولده الإمام عبد الله إلى مدينة سلمية ـ سوريا تحت اسم مستعار هو عبد الله بن ميمون ، وفي عهد هذا الإمام وإبنه الإمام أحمد ظهر كتاب «رسائل إخوان الصفاء وخلاَّن الوفاء» ، وفي هذه الفترة ظهرت الحركة الإسماعيلية بقوتها التنظيمية ، ومخططاتها السرية في كل مكان من العالم العربي ، فانتشرت تلك التعاليم الجديدة على المجتمع في شمالي أفريقيا على يد الداعيين

الحلواني وأبي سفيان وبعدهما على يد أبي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٦هـ، وفي اليمن على يد منصور اليمن (ابن حوشب) وعلي بن الفضل، وأبي الفضل الجدني سنة ٢٧٠هـ. وفي البحرين على يد «الإمام الحسين» المسمَّى الأهوازي تمويهاً، وفي العراق على يد حمدان بن الأشعث «قرمط» وعبدان، وزكرويه بن مهرويه، وفي مصر على يد أبي علي الداعي المقيم، وفي فارس على يد نصر بن أحمد الساماني أمير خراسان وبلاد ما بين النهرين ومرداويج الديلمي أمير طبرستان ويوسف ابن البايغ أمير أذربيجان وغيرها.

وعندما استقرَّ «عبيد الله المهدي» في شمالي أفريقيا، وأقام دولته الفاطمية، حكم باسم الإمام المستقر القائم بأمر الله، وبعد موته تسلمها القائم ثم المنصور ثم المعزّ لدين الله الذي بسط ملكه على كامل المغرب، وفتح مصر فيما بعد أي سنة ٣٥٩هـ. ثم تعاقب على شؤون الإمامة بعده العزيز، والحاكم بأمر الله، والظاهر لإعزاز دين الله، والمستنصر بالله، وفي هذه الفترة حدث ما لم يكن بالحسبان، فبعد وفاة الإمام المستنصر بالله انقسمت الدعوة الفاطمية إلى فرقتين: نزارية ومستعلية. فالنزارية انتقل نشاطها إلى بلاد فارس وانبثق منه دولة «ألموت» أمَّا المستعلية فلم تستمر طويلاً، فاستولى عليها صلاح الدين كما يذكر التاريخ وكان آخر وكلاء عن أئمتها العاضد.

إن المستعلية هي الطيبية أو البهرة كما يسمون أنفسهم، وهذه الفرقة قد انقسمت إلى فرقتين: داؤدية وسليمانية وقد ذكرنا ذلك، أمَّا النزارية فأقامت دولة لأبناء الإمام نزار في بلاد فارس بمساعي الداعي الكبير الحسن بن الصباح. وهذه الدولة انقسمت فيما بعد وفي نهاية المطاف أي بعد أن فقدت مكانتها السياسية وكيانها إلى فرقتين: مؤمنية وآغاخانية، وكل هذا سيشاهده القارئ الكريم في الصفحات الآتية مصوراً في شجرة للإمامة.

«فروع شجرة الأئمة الإسماعيلية» :

هذا الموضوع من أدق المواضيع وأهمها ، وأكثرها تعقيداً وسرية ، بل في الحقيقة من الأصول العقائدية التي لا يعرفها إلاَّ فئة قليلة العدد حافظت على سريتها التامة طيلة العصور الماضية . أمَّا الآن فلا ندري ماذا نقول ونحن في عصر ضاعت فيه كل القيم وكل ما يسمى عقائد أو تراث .

لقد قلنا في أكثر من مكان : إن الإسماعيلية فلسفوا العقائد ، وأدخلوا التعليقات الفلسفية والبراهين والحجج التي تتفق مع واقع العقل والمنطق ، ولهذا فإنهم عندما بحثوا الإمامة ، جعلوها من عهد آدم وهكذا طبقوا القواعد وسلسلوا الإمامة تسلسلاً منطقياً مقبولاً ومرتكزاً على النصوص التي وردت في التوراة والإنجيل ، ثم أضافوا أقوالهم عن الأدوار والأكوار . فجعلوا كل دور يتألف من إمام مقيم ورسول ناطق وأساس وسبعة أئمة يكون سابعهم متم الدور ، ويمكن أن يزيد عدد الأئمة على سبعة في ظروف استثنائية ، ويشغل الزيادة أئمة مستودعين ويسمَّى هذا بالدور الصغير . أمَّا في الدور الصغير فيكون بين كل ناطق وناطق . أمَّا الدور الكبير فيبتدىء من عهد آدم إلى القائم المنتظر الذي يسمَّى الدور السابع .

وفي الصفحات التالية تظهر الشجرة الإمامية الإسماعيلية ، وفيها كافة التفصيلات ، وقد توخينا في وصفها تتمة الفائدة ، وهي مأخوذة عن الوثائق والمخطوطات القديمة .

«الرتب الإمامية الإسماعيلية» :

من الواضح . . . أن الإسماعيلية أعطوا الإمامة مكانة مرموقة في عقائدهم ، وجعلوا من الإمام المظهر الأول ، والمثل الأعلى ، وممثول العقل الفعَّال ، وجعلوها أيضاً على درجات ومقامات ، وزودوها بصلاحيات تشمل الدنيا والدين ، ومن المفيد أن نبين هنا هذه الخصائص ، بعد أن ظلت حقبة طويلة شبه مجهولة أو بلغة أصح في التقية والإستتار .

«درجات الأئمة والأسماء» :

١ الإمام المقيم

٢ الإمام ـ الأساس

٣ الإمام المتم

٤ الإمام المستقر

٥ الإمام المستودع

١ ـ الإمام المقيم :

هو الذي يقيم الرسول الناطق ، ويعلمه ويربيه ويدرجه في مراتب رسالة النطق ، وينعم عليه بكافة الإمدادات ، وأحياناً يطلقون عليه اسم «رب الوقت» و«صاحب العصر» ، وتعتبر هذه الرتبة أعلى مراتب الإمامة وأرفعها وأكثرها دقة وسرية .

٢ ـ الإمام ـ الأساس :

هو الذي يرافق الرسول الناطق في مراحل حياته ، فيكون ساعده الأيمن وأمين سره ، والقائم بأعمال الرسالة الكبرى في حياته وبعد موته ، وهو المنفذ للأوامر العليا ، ومنه يتسلسل الأئمة المستقرين في الأدوار ، كما أنه صاحب التأويل . وفي عهد رسالة الناطق محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلم أعطوه لقب «وصي» ، ولم يسبق لأحد من الأسس أن أخذ هذا اللقب .

٣ ـ الإمام المتم :

هو الذي يتم أداء الرسالة في نهاية الدور ، والدور كما هو معروف أصلاً يقوم به سبعة أئمة . فالإمام المتم يكون سابعاً ومتماً لرسالة الدور ، وقوته تكون معادلة لقوة الأئمة الستة الذين سبقوه ، ومن جهة ثانية يطلقون عليه اسم ناطق الدور لأنه هو النهاية وهو البداية أي أنه صاحب

الإنتقال والتسليم إلى الدور الجديد .

٤ ـ الإمام المستقر :

هو الإمام الذي يملك صلاحية توريث الإمامة والنص على الإمام من ولده .

٥ ـ الإمام المستودع :

هو الذي يتسلم شؤون الإمامة في الظروف الإستثنائية الصعبة نيابة عن الإمام المستقر ويكون له نفس الصلاحيات ، إلاّ أنه لا يحق له توريث الإمامة ولا النص عليها ومن ألقابه «نائب غيبة» .

«شجرة الإمامة الإسماعيلية»
«منذ أقدم العصور» :

«الدور الأول»

ويبتدىء من وقت هبوط آدم حتى إبتداء الطوفان ، ومدته ألفين وثمانون عاماً وأربعة شهور وخمسة عشر يوماً :

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	اساس الدور	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	هُنيد	آدم	هابيل		أنوش بن شيث ٤٣٥ ـ ١٣٨٥
٢			ـ ١٣٠		قينان بن أنوش ٦٢٥ ـ ١٥٣٥
٣			٢٢٥		مهلا لايل بن قينان ٧٩٥ ـ ١٦٩٠
٤			شيث		يرد بن مهلا لايل ٩٦٠ ـ ١٩٢٢
٥			ـ ٢٣٠		خنوخ بن يرد ١١٢٢ ـ ١٤٨٧
٦			١١٤٤		متوشلح بن خنوخ ١٢٨٧ ـ ٢٢٤٢
٧				لمك بن متوشلح	لمك بن متوشلح ١٤٥٤ ـ ٢٣٤٦

التفسيرات :

في هذا الدور يظهر لنا أنَّ هُنيد هو الإمام المقيم الذي ربَّى وتعهد وأقام الرسول الناطق آدم ، وفي هذا الدور أيضاً يظهر لآدم أساسين هما هابيل وشيث ، فالأول قتل بيد أخيه قابيل ، وعندئذ تسلَّم شيث منصبه بعد وفاته ، ويظهر أن متم الدور هو الإمام السابع لمكّ بن متوشلح .

من المعروف تاريخياً أن هبوط آدم كان في عدن ، وأن وفاته كانت في موقع غار أبي قبيس عند أرض الكعبة كما جاء ، ويقال إن نوحاً بعد الطوفان استخرج جثته ودفنها في النجف . إن الأرقام التاريخية المذكورة أعلاه اعتبرناها صفراً في بدء ظهور آدم حتى طوفان نوح ، ولهذا يكون آدم قد عمَّر ٩٣٠ عاماً وشيث تسعمائة وإثني عشر ، ٩١٢ وأنوش أول من غرس النخل ٩٥٠ عاماً ، وقينان ٩١٠ أعوام ، ومهلالائل ٨٩٥ عاماً ويرد ٩٦٢ عاماً وأخنوخ ٣٦٥ عاماً ، ومتو شلح ٩٥٥ عاماً ولمك بن متوشلح ٨٩١ عاماً . إن الإمام الخامس أخنوخ هو إدريس أو هرمس المثلث ، وقد ولد قبل الطوفان وكان مسكنه الكوفة . إن الكتاب السماوي المتداول في الدور الأول هو «الصحف» وتنسب لآدم .

«الدور الثاني» :

ويبتدىء من وقت الطوفان سنة ٢٢٤٢ حتى ولادة إبراهيم الخليل ومدته تسعمائة وإثنتان وسبعين سنة ، وستة أشهر ، وخمسة عشر يوماً .

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	هود	نوح	شام		أرفخشد بن شام بعد الطوفان ٤٦٧
٢		١٦٤٢-	٢١٤٢ -		قينان بن أرفخشد أوشالح ٢٧٦ -
٣		٣٥٠	٥٠٠٠		٥٦٧
٤					عابر بن شالح ٤٦٦ - ٩٣٠
٥					فالغ بن عابر ٥٤٠ - ٨٧٩
٦					ارعو بن فالغ ٦٧٠ - ١٠٠٩
٧					ساروغ بن أرعو ٨٠٢ - ١١٣٢
				ناحور بن ساروغ	ناحو بن ساروغ ٩٣٢ - ١١٤٠

«التفسيرات» :

في هذا الدور يظهر أن هوداً هو الإمام الذي قام وأنعم وربّى الرسول الناطق نوح ، وأن نوح هو صاحب رسالة النطق ، وأن شام هو أساس الدور ، ويظهر أنه سقط من الشجرة اسم قينان بن أرفخشد والد شالح ،وقينان هذا أبعد عن الإمامة وأسقط اسمه من الشجرة الإمامية لأنه كان يتعاطى السحر ، فوصيته أرفخشذ تجاوزته إلى ولده شالح ، ويلاحظ أن هناك أكثر من مصدر تاريخي يؤكد أن عابر بن شالح هو هود وبعض المصادر تؤكد أن فالغ هو ذو القرنين أو هود على اختلاف الروايات . ويلاحظ أن ناحور هو الإمام المتم للدور الثاني وأن نوح ولد سنة ١٦٤٢ من ولادة آدم ، وعندما بلغ من العمر ستمائة عام جرى الطوفان الذي ابتدأ في العاشر من شهر رجب سنة ٢٢٤٢ من هبوط آدم ، وقد دام الطوفان ستة أشهر ، وانتهى في العاشر من شهر محرم سنة ٢٢٤٣ . توفي نوح سنة ٣٥٠ بعد الطوفان وعاش ٩٥٠ عاماً ودفن على جبل الجودي من أعمال الموصل ، وقد استوطن الكوفة ، أمّا أساس الدور شام فقد عاش ٦٠٠ عام . من الواضح أن أرفخشذ عاش ٤٦٥ عاماً ، وشالح

٤٦٤ ، وعابر ٤٦٠ وفالغ ٣٣٩ ، وساروغ ٣٣٠ عاماً وناحور ٢٠٥ أعوام .

«الدور الثالث» :

«ويبتدىء من وقت ولادة الرسول إبراهيم حتى ظهور موسى ، ومدته ألف ومائة وخمسون عاماً ، وسبعة أشهر وثمانية أيام» .

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور المستقر	ساس الدور المستودع	الإمام المتم	الإمام المستودع	الإمام المستقر
١	ترح بن	ابراهيم	إسماعيل	اسحق		يعقوب بن اسحق	قيذار بن إسماعيل
٢	ناحور	١٠٨١	٨٦_٢٢٧	١٠٠-		١٦٠_٣٠٧	سلامان بن قيذار
٣	١٠١١_	-		٢٨٠	شعيب	يوسف بن يعقوب ٢٥٠_٣٦١	بنت بن سلامان
٤	١٣١٦	١٢٥٦				افرايم بن يوسف	الميسع بن بنت
٥						رازح بن عيص	يقدم بن الميسع
٦						أيوب بن موص	يقدام بن يقدم
٧						يونان بن أيوب	أدد بن يقداد
						شعيب بن صيفون	

«التفسيرات» :

في هذا الدور يبدو أن تطوراً جديداً طرأ على قضية الإمامة . فالأئمة المستقرون من ولد إسماعيل بن إبراهيم يدخلون كهف التقية والإستتار ، ويحل محلهم الأئمة المستودعين من ولد إسحق بن إبراهيم ، وقد ظلَّ هذا الوضع قائماً حتى ظهور الناطق السادس محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلم الذي يتحدر من شجرة الإمام المستقر إسماعيل ، بينما الرسولان الناطقان موسى وعيسى يتحدران من أسرة إسحق بن إبراهيم ، ومن الواضح أن دور الإستيداع هذا ينتهي في الدور السادس ويعود الحكم إلى

الأئمة المستقرين .

إن الرسـول الناطق إبراهيـم ولد في الأهواز ، وجـاء إلى حـوران حـيث اعتبرها دار هجرة ودفن في بيت المقدس وعـاش ١٣٧ عـاماً ، أمّا ولده إسماعيل فوالدته هاجر وقد عـاش ١٣٧ عـاماً أيضاً ودفـن في بيت الله الحرام ، وأمّا إسحق فوالدته ساره وكـان يقيم في الشام والقدس وقد عاش /٢٠٨ أعـوام/ ودفن في بيت المقـدس . ويوسف عـاش /١١٠/ أعـوام ودفن في مـصـر ، وأيوب توفي في مـسكنه وعـاش /٩٣/ عـامـاً ، ويونان وهو يونس مقامه في نينوى قرب الموصل ، في هذه الصفحة يظهر أن شعيب هو الإمام المستودع المتم للدور الثالث ، وكان يقيم في مدين .

«الدور الرابع» :

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور المستقر	أساس الدور المستودع	الإمام المتم	الإمام المستودع	الإمام المستقر
١	ادد	موسى	هرون			إيليا بن بسباس	عدنان بن أدد
٢		٤٢٥	٤٤٢			اليسع بن أخطف	معد بن عدنان
٣		٥٤٥	يوشع بن			صموئيل الرائي ٤٢٢ ـ ٢٤٩٤	نزار بن معد
٤			النون			داؤد بن بسي ٤١٩ ـ ٥٣٥	مضر بن نزار
٥			٤٣٦ـ٢٨			سليمان بن داؤد ٥٢٣ ـ ٥٧٥	الياس بن مضر
٦						عمران بن ماتان	مدركة بن إلياس
٧					زكريا	زكريا بن برخيا ١٦١٦ ـ ١٧١٦	خزيمة بن مدركة

«التفسيرات» :

يلاحظ أنه في هذا الدور ، لا يوجـد أساس مـستودع ، وأن الأسـاس المستقر هو هرون أخو موسى ، ويبدو أنه بعد وفاته تسلّم رتبة الأساسية يوشع بن النون . من جـهة أخـرى يظهـر أن إيليا بن بسبـاس هو «إيليـا

النبي» وأن عمران بن ماتان هو «روبيل» وأن زكريا هو الإمام السابع المستودع المتم للدور الرابع .

في المصادر التاريخية : أن موسى عاش /١٢٠/ عاماً ونقل جثمانه من صحراء سيناء إلى القدس ، وولادته كانت في السابع من آذار سنة ٤٢٥ ، وأن صموئيل الرائي عاش /٥٣/ عاماً ، وأن داؤد بن بسي عاش /١١٦/ عاماً ، وأن سليمان بن داؤد عاش /٥٢/ عاماً ، وأن زكريا عاش /١٠٠/ عام .

«الدور الخامس» :

ويبتدىء من حين ولادة عيسى حتى ظهور محمد ومدته ستمائة وسبعون عاما وستة عشر يوماً .

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور المستقر	أساس الدور المستودع	الإمام المتم	الإمام المستودع	الإمام المستقر
١	خزيمة	عيسى	يحيى			مرقص أو عبد	كنانة بن خزيمة
٢			١٧١٥			المسيح	النضر بن كنانة
٣			–			فيلبس	مالك بن النضر
٤			٣٠			اسطفانس	فهر بن مالك
٥			شمعون			هرقل	غالب بن فهر
٦			الصفا			أرميا	لؤي بن غالب
٧			١٧١٦			مروة الراهب	كعب بن لؤي
٨			– ٣٣			جرجس ـ بحيرا	مرة بن كعب
٩							كلاب بن مرة
١٠							قصي بن كلاب
١١							عبد مناف بن قصي
١٢							هاشم بن عبد مناف
١٣					جرجس		عبد المطلب بن هاشم
١٤					بحيرا		عبدالله بن عبد المطلب

التفسيرات :

في هذا الدور يظهر على المسرح أربعة عشر إماماً مستقراً يقابلهم سبعة أئمة مستودعين . ولم يجر مثل هذا في الأدوار السابقة . ويلاحظ أن ولادة عيسى كانت سنة ١٧١٦ أي بعد وفاة موسى ، وقد قتل صلباً وعمره ثلاثة وثلاثين عاماً وأساس دوره يحيى وهو يوحنا المعمدان وقد قتله هيرودوس الروماني ، وبعده شمعون الصفا الأساس الثاني المستقر وهو سمعان بن يونان أو بطرس الراهب ويعتبر مربي عيسى وحجة عمران بن ماتان الذي ورد ترتيبه الإمام السادس المستودع في الدور الرابع ، ويلاحظ أن جرجس أو بحيرا الراهب هو الإمام السابع المستودع المتم للدور الخامس ، وكانت دعاته في الجزيرة .

عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وزيد بن عمران ، وهو الذي سلم وراثة الأنبياء المستودعين إلى الإمام المستقر المقيم أبو طالب يوم جاء إليه من الجزيرة العربية إلى دير بصرى في بلاد الشام مع النبي محمد ﷺ ، ويلاحظ أن الإمام المستقر النضر بن كنانة وكان يسمى قيس ولقب النضر لنضارته ، وأن الإمام المستقر فهر بن مالك وكان لقبه مجمع قريش ، وأن كلاب بن مرة كان يلقب بالحكيم أو عروة ـ وأن قصي بن كلاَّب هو زيد وسمي قصي لأنه أقصي عن عشيرته ـ وأن عبد مناف اسمه المغيرة وهاشم اسمه عمران ، وعبد المطلب اسمه «شيبة الحمد» .

«الدور السادس» :

ويبتدىء من تاريخ الهجرة المحمدية ، وينتهي بظهور القائم المنتظر ، ولا يمكن تحديد مدته وهنا أصبح الدور الكبير مقسوماً إلى أدوار صغيرة .

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور	الإمام المستودع	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	عمران	محمد	علي بن أبي	الحسن بن		علي بن أبي طالب
٢	أبو طالب	٥٧١ ـ	طالب	علي		الحسين بن علي
٣		٦٣٤				علي بن الحسين «زين
٤						العابدين»
٥						محمد بن علي «الباقر»
٦				موسى		جعفر بن محمد
٧				الكاظم		«الصادق»
					محمد بن	اسماعيل بن جعفر
					إسماعيل	محمد بن إسماعيل

التفسيرات :

في هذا الدور، يظهر أن أبا طالب هو الإمام المقيم -للرسول الناطق محمد، وأن الإمام محمد بن إسماعيل هو الإمام المتم السابع، وقد ذكرنا في الصفحات السابقة موجزاً عن تاريخ أئمة هذا الدور، ويلاحظ أن الحسن بن علي بن أبي طالب كان مستودعاً، وأن موسى الكاظم كان ايضاً إماماً مستودعاً.

«تتمة الدور السادس» :

هذا الدور الصغير الذي هو من الدور السادس، يبتدئ من الإمام محمد بن إسماعيل، حتى الإمام المعز لدين الله، ويعتبر جزءاً من الدور الذي يبتدىء من عهد الرسول محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وينتهي بعهد القائم المنتظر.

العدد	العدد المتسلسل	الإمام المستودع	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	٨			عبدالله بن محمد «الرضي»
٢	٩			احمد بن عبدالله «الوفي»
٣	١٠			الحسين بن أحمد «التقي»
٤	١١			الأهوازي
٥	١٢	سعيد الخير		علي «المعل»
٦	١٣	أو عبيد الله		القائم بأمر الله
٧	١٤	المهدي		المنصور بالله
			المعز لدين الله	المعز لدين الله

التفسيرات :

في هذه الصورة ينعدم وجود الناطق والأساس ، ويقتصر على الأئمة الذين يقومون بالحفاظ على شريعة الناطق السادس إلى حين قيام قائم القيامة . وفي هذه الصورة يبدو واضحاً أن «سعيد الخير» أو «عبيد الله المهدي» هو الإمام المستودع القائم مقام الإمام القائم بأمر الله ، وهذا الموضوع لا تقره الفرقة الآغاخانية بل تعتبره إماماً مستقراً مخالفة بذلك اعتقاد الفرق الإسماعيلية الأخرى : المؤمنية ، المستعلية ، والدروز ، والقرامطة .

وفي الصورة يظهر أن الإمام المعز لدين الله هو الإمام المتم ، وأنه الإمام الرابع عشر أو ما يسمَّى «سابع الأسبوعين» .

«تتمة الدور السادس» :

ويبتدىء من عهد «المعز لدين الله» الإمام المتم السابع ، وينتهي بلا

نهاية بعد ظهور الإنقسامات والإختلافات والتوقفات عن السير ، وانتهاء أدوار الأئمة المتمين والمستودعين . وكل هذا سيظهر واضحاً في الصفحات التالية :

العدد	العدد المتسلسل	أئمة المؤمنة النزارية	أئمة القاسمية النزارية (آغا خان)	أئمة المستعلية البهرة
١	١٥	العزيز بالله	العزيز بالله	العزيز بالله
٢	١٦	الحاكم بأمر الله	الحاكم بأمر الله	الحاكم بأمر الله
٣	١٧	الظاهر لإعزاز دين الله	الظاهر لإعزاز دين الله	الظاهر لإعزاز دين الله
٤	١٨	المستنصر بالله	المستنصر بالله	المستنصر بالله
٥	١٩	نزار	نزار	المستعلي
٦	٢٠	الحسن بن نزار	هادي	الآمر بأحكام الله
٧	٢١	محمد بن الحسن [سنان راشد الدين]	مهتدي	الطيب «المستور»

التفسيرات :

من الملاحظ أن الإنقسامات وقعت بين الإسماعيلية حول الأئمة . فالفرقة المؤمنية النزارية ، والفرقة القاسمية الآغاخانية اختلفتا بعد الإمام التاسع عشر نزار بن المستنصر بالله ، فالمؤمنية قالت بإمامة الحسن بن نزار وذريته بعده ، بينما القاسمية قالوا بإمامة هادي ، وظلّ الإختلاف يتراوح بين المد والجزر إلى ما لا نهاية ، أمّا المستعلية فبعد الإمام المستنصر بالله ساقت الإمامة بالمستعلي ، ثم بالآمر وبعده بالطيب الذي غاب ولم يكن بعده إمام من نسله ، وقد توقفت المستعلية هنا ، واستعاضت عن الأئمة بما يسمّى داعي مطلق وكل هذا سنأتي على ذكره في الصفحات التالية .

«تتمة الدور السادس» :

ويبتدىء بالإمام المؤمني حسن بن محمد ، وينتهي برضي الدين بن محمد ، ولدى القاسمية ، الآغاخانية ، يبتدىء من قاهر وينتهي بالإمام شمس الدين .

العدد	العدد المتسلسل	أئمة النزارية المؤمنية	أئمة النزارية القاسمية الآغا خانية
١	٢٢	حسن بن محمد «جلال الدين»	قاهر
٢	٢٣	محمد بن الحسن «علاء الدين»	حسن علي ذكره السلام
٣	٢٤	محمود بن محمد «ركن الدين»	أعلى محمد
٤	٢٥	محمد بن محمود «شمس الدين»	جلال الدين حسن
٥	٢٦	مؤمن شاه	علاء الدين محمد
٦	٢٧	محمد بن مؤمن	ركن الدين خيرشاه
٧	٢٨	رضي الدين بن محمد	شمس الدين محمد

التفسيرات :

يظهر أن الإختلاف لدى النزارية كما ذكرنا قد بدأ منذ عهد نزار بن المستنصر بالله ، ويظهر أن الفرقتين عادتا إلى الإلتقاء مع أربعة أئمة هم : حسن بن محمد ، وجلال الدين ، ومحمد بن الحسن ، وعلاء الدين ، ومحمود بن محمد «ركن الدين» ومحمد بن محمود «شمس الدين» وهؤلاء أصحاب الأرقام المتسلسلة ، ٢٢ و٢٣ ، و٢٤ ، و٢٥ . أمّا لدى النزارية القاسمية الآغاخانية فيشكلون الأرقام ٢٥ و٢٦ ، و٢٧ و٢٨ . وبعد الإمام شمس الدين انقسمت النزارية انقساماً فعلياً إلى فرقتين . فالمؤمنية ساقت الإمامة بمؤمن الابن الأكبر ، والقاسمية ساقتها بقاسم الابن الأصغر . وكل هذا يظهر فى الصفحات التالية .

«تتمة الدور السادس» :

ويبتدىء لدى المؤمنية بطاهر بن رضي الدين ، وينتهي بعطية الله بن معين الدين ، أما لدى القاسمية فيبتدىء بقاسم شاه ورقمه المتسلسل «٢٩» وينتهي بأبي ذر علي ، وهو الخامس والثلاثين .

العدد	العدد المتسلسل	أئمة النزارية المؤمنية	أئمة النزارية القاسمية الآغا خانية
١	٢٩	طاهر بن رضي الدين «العزيز»	قاسم شاه
٢	٣٠	رضي الدين الثاني «شمس الدين»	اسلام شاه
٣	٣١	طاهر بن رضي الثاني «حجة الله»	محمد بن إسلام
٤	٣٢	حيدر بن طاهر «خداوند»	المستنصر بالله الثاني
٥	٣٣	صدر الدين بن حيدر «معز الدين»	عبد السلام
٦	٣٤	معين الدين بن صدر الدين «قاهر»	غريب ميرزا
٧	٣٥	عطية الله بن معين الدين «فداي نجش»	أبو الذر علي

التفسيرات :

ما تزال الشجرتان النزاريتان سائرتان على النهج الإمامي كما يظهر واضحاً .

تتمة الدور السادس :

ويبتدىء من عزيز بن عطية الله ورقمه /٣٦/ وينتهي بالإمام محمد ابن حيدر «الأمير محمد الباقر» وهو الإمام الأربعين لدى الفرقة المؤمنية ، وفي عهده تتوقف مسيرة هذه الفرقة الإمامية لأسباب سنوضحها في الصفحات التالية . أمَّا القاسمية الآغاخانية فلم تتوقف عن السير وتبتدىء من مراد ميرزا ، وتنتهي بحسن علي وهو صاحب الرقم «٤٢» .

العدد	العدد المتسلسل	أئمة النزارية القاسمية الآغا خانية
١	٤٣	قاسم علي
٢	٤٤	أبو الحسن علي
٣	٤٥	خليل الله علي
٤	٤٦	حسن علي «آغا خان الأول»
٥	٤٧	علي شاه آغا خان الثاني
٦	٤٨	سلطان محمد شاه آغا خان الثالث
٧	٤٩	كريم علي خان آغا خان الرابع

«التفسيرات» :

يظهر أن الفرقة المؤمنية النزارية لم يعد لها أي وجود على المسرح الإمامي ، وأن النزارية القاسمية الآغاخانية ظلّت وحدها سائرة دون انقطاع حتى يومنا هذا .

ويلاحظ أن الإمام التاسع والأربعين «كريم علي خان» ليس هو ابن سلطان محمد شاه بل حفيده . لأن «علي خان» وهو النجل الأكبر للإمام سلطان محمد شاه ، قد أسقط من شجرة الأئمة بموجب وصية عامة من والده .

ممَّا تجدر الإشارة إليه أن «علي خان» توفي في باريس بحادث سيارة بتاريخ / ١٢/ أيار سنة ١٩٦٠ ، وكان عندئذٍ يمثل جمهورية باكستان في الأمم المتحدة .

«لمحة تاريخية عن الإسماعيلية المستعلية ـ الطيبية ـ البهرة»

من الثابت تاريخياً أنه بعد وفاة الخليفة العاضد الفاطمي، واستلام صلاح الدين شؤون الدولة في القطر المصري، لم يبق للمستعلية الطيبية ـ البهرة في القطر المصري ما تعوَّل عليه، فاتخذت اليمن مركزاً رئيسياً لها، وقام بشؤونها الدينية «داعي مطلق» اتخذ لنفسه صفة نائب عن الإمام الغائب المستور.

هذا ومن الجدير بالذكر أن الإسماعيلية المستعلية، انقسمت سنة ٩٩٩هـ أو سنة ١٥٩١م إلى فرقتين: داؤدية وسليمانية، وذلك بعد وفاة الداعي المطلق داؤد بن عجب شاه. فانتخبت إسماعيلية كجرات «داؤد بن قطب شاه» خلفاً له، ولكن اليمنيين عارضوا ذلك، وانتخبوا داعياً آخر يدعى: سليمان بن الحسن، ويقولون: إن داؤد قد أوصى له بموجب وثيقة قانونية يحتفظون بها. وهذا هو ترتيب دعاتهم كما يظهر في الصفحات التالية.

إن الداعي المطلق للفرقة الإسماعيلية المستعلية الداؤدية اليوم هو: برهان الدين بن طاهر سيف الدين، ويقيم في مدينة بومباي ـ الهند. أمَّا الداعي المطلق للفرقة المستعلية السليمانية فهو «علي بن الحسين» ويقيم في مدينة «نجران» بالسعودية.

«الدعاة المطلقون» :

العدد	اسم الداعي المطلق	تاريخ الوفاة	الملاحظات
١	أروى بنت أحمد الصليحي	٥٣٢هـ	لعبت دوراً كبيراً على مسرح الأحداث وحكمت اليمن بجزءيها وخطب لها على المنابر
٢	الخطاب بن الحسن الهمداني	٥٣٣هـ	هو أخ الملكة أروى بالرضاع . كان شاعراً وعالماً : له ديوان شعر ومن مؤلفاته : غاية المواليد ، ومنيرة البصائر ، ورسالة النعم ، وإعجاز القرآن
٣	لمك بن مالك	٥١٠هـ	من الدعاة الكبار كان قاضياً ، ينتسب إلى همدان . أستاذه المؤيد في الدين الشيرازي
٤	يحيى بن لمك	٥٢٠هـ	هو ابن القاضي لمك . له كتاب «فصل في بيان الأرض وما عليها من المعادن»

أكثرية الإسماعيليين المستعليين لا يدخلون هؤلاء الدعاة الأربعة في عداد الدعاة المطلقين ، ودعواهم أنهم عاصروا عهد ستر الإمام الطيب الغائب المستور .

الدعاة المطلقون للإسماعيلية المستعلية :

العدد	اسم الداعي المطلق	تاريخ الوفاة هجرية	تاريخ الوفاة ميلادية	ملاحظات
١	الذؤيب بن موسى الوادعي	٥٤٦	١١٥١	له رسالة النفس ، ورسالة معرفة الموجودات
٢	ابراهيم بن الحسين الحامدي	٥٥٧	١١٦٢	له كتاب كنز الولد ، والابتداء والانتهاء ، وكتاب تسع وتسعين رسالة في علم الحقائق
٣	حاتم بن ابراهيم الحاتمي	٥٩٦	١١٩٩	
٤	علي بن حاتم بن ابراهيم الحامدي	٦٠٥	١٢٠٩	له رسالة روضة الحكمة الصفية ، وبستان العلوم الشافية
٥	علي بن محمد الوليد الأنف	٦١٢	١٢١٥	له تحفة المرتاد وغصة الأضداد ، وجلاء العقول وزبدة المحصول ، والرسالة المفيدة في ايضاح لغز القصيدة ، وضياء الألباب المحتوي على المسائل والجواب ، وديوان عر ، وكتاب دافع الباطل وحتف المناضل ، وكتاب مختصر الأصول وتاج العقائد ، ومجالس الفصح والبيان ، ورسالة الإيضاح ، ورسالة لب المعارف ، ورسالة لباب الفوائد وصفو العقائد .
٦	علي بن حنظلة المحفوظي	٦٢٢	١٢٢٩	له سمط الحقائق «قصيدة» ، وله ضياء الحلوم ومصباح العلوم .

٧	أحمد بن مبارك الأنف	٦٢٧	١٢٣٠	
٨	الحسين بن علي بن محمد ابن الوليد	٦٦٧	١٢٦٨	
٩	علي بن الحسين بن علي ابن محمد	٦٨٢	١٢٨٤	
١٠	علي بن الحسين بن علي ابن حنظلة	٦٨٦	١٢٨٧	
١١	ابراهيم بن الحسين بن الوليد	٧٢٨	١٣٢٨	
١٢	محمد بن حاتم بن الحسين	٧٢٩	١٣٢٩	
١٣	علي بن ابراهيم	٧٤٦	١٣٤٥	
١٤	عبد المطلب بن محمد بن حاتم	٧٥٥	١٣٥٤	
١٥	عباس بن محمد بن حاتم	٧٧٩	١٣٧٨	
١٦	عبدالله فخر الدين بن علي	٨٠٩	١٤٠٩	
١٧	الحسن بدر الدين بن عبدالله	٨٢١	١٤١٨	
١٨	علي شمس الدين بن عبدالله	٨٣٢	١٤٦٨	

١٩	إدريس عماد الدين القرشي	٨٧٢	١٥٠٨	له كتاب عيون الأخبار ، ونزهة الأفكار ، وزهر المعاني .
٢٠	الحسن بن إدريس عماد الدين	٩١٨	١٥٠٨	له روضة الأخبار
٢١	الحسين حسام الدين بن إدريس	٩٣٣		
٢٢	علي شمس الدين بن الحسن	٩٣٣		اربعون يوماً فقط
٢٣	محمد عز الدين بن الحسن بن إدريس	٩٤٦		
٢٤	يوسف نجم الدين بن سليمان	٩٧٣		
٢٥	جلال شمس الدين بن الحسن الهندي	٩٧٤		بعد وفاة هذا الداعي وقع الانقسام بين المستعلية الى سليمانية والى داؤدية كما يظهر في الصفحة التالية .
٢٦	داؤد بن عجب شاه الهندي	٩٩٧		

تتمة الدعاة المطلقين للمستعلية الطيبية البهرة
بعد الانقسام الى فرقتين داؤودية وسليمانية :

العدد	العدد المتسلسل	اسم داعي الفرقة الداؤدية	تاريخ الوفاة بالهجري	تاريخ الوفاة بالميلادي
١	٢٧	داؤد برهان الدين	١٠٢١	١٦١٢
٢	٢٨	شيخ آدم صفي الدين	١٠٣٠	١٦٢١
٣	٢٩	عبد الطيب زكي الدين	١٠٤١	١٦٣٢
٤	٣٠	علي شمس الدين	١٠٤٥	١٦٤٢
٥	٣١	قاسم زين الدين	١٠٥٦	١٦٤٦
٦	٣٢	قطب خان قطب الدين	١٠٦٥	١٦٧٤
٧	٣٣	بيرخان شجاع الدين	١٠٨٥	١٦٩٤
٨	٣٤	إسماعيل بدر الدين	١١١٠	١٦٩٩
٩	٣٥	عبد اللطيف زكي الدين	١١٢٢	١٧١٠
١٠	٣٦	موسى كليم الدين	١١٣٠	١٧١٨
١١	٣٧	نور الدين محمد نور الدين	١١٥٠	١٧٣٧
١٢	٣٨	إسماعيل بدر الدين	١١٦٨	١٧٥٤
١٣	٣٩	إبراهيم وجيه الدين	١١٩٣	١٧٧٩
١٤	٤٠	هبة الله المؤيد في الدين	١٢٠٠	١٧٨٥
١٥	٤١	عبد اللطيف زكي الدين	١٢١٣	١٧٩٨
١٦	٤٢	يوسف نجم الدين	١١٢٢	١٨١٧
١٧	٤٣	عبد العلي سيف الدين	١٢٣٦	١٨٤٠
١٨	٤٤	محمد عز الدين	١٣٠٢	١٨٨٥
١٩	٤٥	طيب زين الدين	١٢٥٢	١٨٣٧
٢٠	٤٦	محمد بدر الدين	١٢٥٦	١٨٤٠
٢١	٤٧	عبد القادر نجم الدين	١٣٠٨	١٨٩١
٢٢	٤٨	عبد الحسين حسام الدين	١٣٢٣	١٨٩١
٢٣	٤٩	محمد برهان اللدين	١٣٢٣	١٩٠٦
٢٤	٥٠	عبدالله بدر الدين		
٢٥	٥١	طاهر سيف الدين		

تتمة دعاة الاسماعيلية المستعلية «السليمانية» وكنا قد ذكرنا خبر الانقسام في الصفحة السابقة

		تاريخ الوفاة
٢٧	سليمان بن الحسن الهندي	١٠٠٥ هـ
٢٨	جعفر بن سليمان الهندي	١٠٥٠
٢٩	محمد بن الفهد المكرمي	١٠٤٢
٣٠	علي بن سليمان الهندي	١٠٨٨
٣١	ابراهيم بن محمد المكرمي	١٠٩٤
٣٢	محمد بن إسماعيل المكرمي	١١٢٩
٣٣	هبة الله بن إبراهيم المكرمي	١١٦٠
٣٤	إسماعيل بن هبة الله المكرمي	١١٨٤
٣٥	الحسن بن هبة الله المكرمي	١١٨٩
٣٦	عبد العلي بن الحسن المكرمي	١١٩٥
٣٧	عبد الله بن علي المكرمي	١٢٢٥
٣٨	يوسف بن علي المكرمي	١٢٣٤
٣٩	الحسين بن الحسين المكرمي	١٢٤١
٤٠	إسماعيل بن محمد المكرمي	١٢٥٦
٤١	الحسن بن محمد المكرمي	١٢٦٢
٤٢	الحسن بن إسماعيل شبام	١٢٨٩
٤٣	أحمد بن إسماعيل المكرمي	١٣٠٦
٤٤	عبدالله بن علي المكرمي	١٣٢٣
٤٥	علي بن هبة الله المكرمي	١٣٣١
٤٦	علي بن محسن شبام	١٣٥٥
٤٧	غلام حسين بن فرحت علي	١٣٥٧
٤٨	الحسين بن أحمد المكرمي	١٣٥٨
٤٩	علي بن الحسين بن أحمد المكرمي	١٣٩٧
٥٠	حسين بن الحسن بن عبدالله	

«الأئمة المستعلية ـ البهرة» الذين توقَّفت بعدهم هذه الفرقة عن السير الإمامي وعددهم ثلاثة»:

١ ـ المستعلي بالله :

ولد في ٢٠ محرم سنة ٤٦٧هـ . والده الخليفة الإمام المستنصر بالله ، وأمه إبنة القائد الأرمني بدر الجمالي .

بعد وفاة المستنصر بالله جاء به خاله قائد الجيش الفاطمي الأفضل الجمالي الأرمني ونصَّبه للخلافة رافضاً أخاه ولي العهد الشرعي نزار بن المستنصر . وهكذا انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين نزارية ومستعلية .

تسلَّم المستعلي الإمامة بعد مقتل الإمام نزار ، وفي عهده وقع غلاء ووباء ، وألقيت الخطبة في دمشق للعباسيين بدل الفاطميين . استلم في عهده أيضاً الأفضل بيت المقدس من الأرمن ، وعاد إلى القاه ة ، كما أن الصليبيين احتلوا سواحل بلاد الشام وإنطاكية وبيت المقدس فخرج الأفضل في عشرين ألفاً لمقاتلتهم ، ولكنه عاد خائباً ، وهكذا حدث في الحملة الثانية ، ثم إنه خاض معركة في عسقلان مع الإفرنج الذين كانوا قد ملكوا الرملة وبيت المقدس ، وقد اندحر ، ثم نجا بنفسه هارباً بالبحر .

بويع المستعلي بالله بالخلافة في ١٨ من ذي الحجة سنة ٤٨٧هـ . في عهده هبط الداعي الكبير حسن بن الصباح من فارس ، وأخذ الحسن بن نزار إلى «ألموت» حيث أسَّس الدولة النزارية .

توفي سنة ٤٩٥هـ في ١٣ صفر ، وكان عمره سبعة وعشرين عاماً ، وقيل إنه مات مسموماً . وبعد موته نصَّب الأفضل الآمر بأحكام الله إماماً . ولكن الدولة سادها فوضى لا عهد لها بمثلها .

٢ ـ الآمر بأحكام الله :

ولد في القاهرة في ١٣ محرم سنة ٤٩٠هـ . وبويع بالخلافة يوم وفاة

والده المستعلي . وكان له من العمر خمس سنوات ، وقام بالوصاية عليه قائد الجيش الأفضل الجمالي .

في عهده سقطت مدينة صور بأيدي الصليبيين ، وذلك بعد سقوط إنطاكية وبيت المقدس وقيسارية وعكا وبانياس وطرابلس الشام ، وأكثرها كانت من ممتلكات الدولة الفاطمية .

من أعماله العمرانية الجامع الأقمر فى القاهرة ، وتجديد قصر القرافة ، وفتح مكتبة دار العلم . . . قتله النزاريون بينما كان يقوم بنزهة في عربة بين الجزيرة والقاهرة ، فحمل إلى القصر ولكنه لم يلبث أن فارق الحياة في ٧ تشرين أول سنة ١١٣٠م الموافق ١٤ ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ . وكان عمره ٣٤ عاماً .

كان يطمح إلى عرش العباسيين في العراق ، ولكن الأحداث الداخلية كانت تقف حجر عثرة في سبيل ذلك . في عهده بدأت طلائع الدولة الفاطمية تميل إلى الانهيار ، فالتأخر عن ركب المدنية والحضارة كان ظاهراً ، ولم تجد الأحوال الراهنة مشجعاً لها على الاستمرار كما يجب أن يكون في عهده أيضاً وقع غلاء شديد أزعج الناس .

٣ ـ الطيّب بن الآمر :

قيل إن الآمر بأحكام الله مات وامرأته حامل بالطيب ، ولهذا عهد بالخلافة الزمنية إلى الحافظ وهو من الأسرة الفاطميين ، وبعده إلى الظافر ، ثم الفائز ، ثم العاضد وهؤلاء لا يدخلون في عداد الأئمة . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أكثر الناس يقولون إن زوجة الآمر وضعت أنثى ، وهذا من أقوال أعداء هذه الفرقة التي لا تصدق .

في هذه الفترة قتل الأفضل الجمالي بيد النزارية ثأراً للإمام نزار .

توقفت الفرقة المستعلية بعد موت الآمر عن السير وأصبحت تقول بإمام مستور سيعود ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً .

«لمحة تاريخية
عن
المؤمنية النزارية الإسماعيلية»

قد يكون من المفيد القول : بأن الواجب العلمي يقضي على الباحث ، أي باحث عندما يتصدّى إلى بحث موضوع الإمامة وفروعها وما يتعلق بها ، بالنسبة للفرق الشيعية . أن يعمل على تقصي الحقائق الصحيحة ، وإيراد المصادر التاريخية الموثوقة ، وإعلان التجرد والنزاهة ، والبعد عن كل ما يسمَّى عصبية أو نزعة أو انحياز قد يكون سبباً لتحوير الحقيقة ، وقلب الواقع الصحيح لصالح فرقة من الفرق أو فئة من الفئات .

إن الموضوع الذي نضعه الآن على بساط البحث ، سبق أن عالجه مستشرق كبير معروف اختصَّ بالدراسات الإسماعيلية التاريخية ، وكتب عنها أحسن الكتب والبحوث ، حتى أصبح معروفاً أنه حجة فيها . . . إنه الأستاذ «و . ايڤانوف W. IVANOW . فهذا العالم أفرد لمقاله عن الفرقة النزارية المؤمنية الإسماعيلية عدداً من الصفحات في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية تحت عنوان «العرق المنسي من الإسماعيلية - A. forgotten Branch of Ismailis W. ivanow وذلك في عام ١٩٣٨ . ولكن مع كل أسف جاء مقاله غير مستوف الشروط العلمية ، وذلك لأن المصادر التاريخية السورية الإسماعيلية التي تشكل العنصر الهام في الموضوع لم تظهر بوضوح بل كانت مفقودة ، وقد يكون السبب فقدان النصوص والوثائق والمصادر التاريخية ، وكل هذا كان من الممكن الحصول عليه في المكتبات الخاصة في بلاد الشام ، لأن الفرقة المؤمنية انحصر نشاطها وبرزت

قوتها في بلاد الشام بعد خراب دولة «ألموت» في بلاد فارس .

فكم هو مفيد وشيق الخوض في بحر المواضيع العميقة المجهولة في تاريخنا الإسلامي وخاصة ما كان منه زاخراً بالسرية والكتمان والتقية ، وهذا ما كان موجوداً لدى هذه الفرقة المجهولة التي لعبت دوراً هاماً في بلاد الشام مدة تزيد على الخمسمائة عام ، وكتبت أنصع الصفحات في أسفار العلم والأدب والفلسفة .

أجل . . . إنها خدمة علمية جليلة أن نعرّف الباحثين وطالبي العلم بتاريخ الإنقسام بين الفرق الإسماعيلية النزارية ، وأسبابه ونشأته الأولى ، وما طرأ عليه في العصور السالفة من أحداث ، وما رافقه من تطورات . وإننا عندما نقوم بذلك نعلن على رؤوس الأشهاد تجردنا عن كل غاية ، وبعدنا عن أي انحياز لفريق دون آخر . . . فهدفنا منذ البدء لم يخرج عن مبدأ كتابة صفحات من التاريخ تتجلّى فيها الحقيقة ناصعة ، وخدمة الدراسات التي آلينا على نفسنا الإستمرار في خدمتها ، وإظهار ما خفي من سريتها ، وإبعادها عن متناول الغلاة والرجعيين والمتزمتين .

ظهر في الصفحات الأولى من كتابنا أن الإسماعيلية الإمامية النزارية ، انقسمت بعد وفاة الإمام المستنصر بالله إلى فرقتين : المؤمنية والقاسمية ـ الآغاخانية . . . هذا صحيح ، ولكن قبل الآن لم يكن معروفاً هذا الإنقسام ، ولا متداولاً ، حتى أن أكثر الإسماعيليين لم يكونوا على علم بتفاصيله ، وكل هذا كان من الأسباب التي دفعتني إلى تدوين هذه الصفحات في موضوع الإمامة الإسلامية ، وهدفي كما قلت إظهار حقيقة تاريخية كانت بعيدة عن الأفهام ، وحتى لا تخفى الحقائق وتموت وراء ستار التكهنات ، والمصادر المغلوطة .

إن الفرقة الإسماعيلية النزارية المؤمنية موجودة في عهدنا الحاضر في بلدتي قدموس ومصياف السوريتين ، وفي سلمية ، وبعض القرى التابعة

لها . أمّا القاسمية النزارية الآغاخانية فمواطنها في قرى نهر الخوابي - طرطوس ، وسلمية وبعض القرى التابعة لها ، هذا في سوريا ، وهناك أعداد كثيرة من هذه الفرقة توجد في إيران والهند وباكستان وبنغلاديش وأفريقيا الشرقية وكندا وغيرها . . .

من الواضح أن الإختلاف بين الفرقتين ليس بالأمر السهل الذي يجب أن يمر به الباحث مرور الكرام ، فهو من الأهمية بمكان ما دام يتعلق بأسرتين إماميتين تتحدران من الإمام نزار بن المستنصر بالله الفاطمي ، وأن لكل منهما أتباعاً يؤيدونه ويعترفون بإمامته ، ويبطلون نظرية الفريق الثاني بالإمامة ، وقد أخذ الإختلاف الآنف الذكر يتطوَّر حتى شمل الطقوس الدينية والاجتماعية .

في الصفحات السابقة قدمنا شجرتين نزاريتين الأولى : للمؤمنية ، والثانية للقاسمية الآغاخانية ومن الملاحظ أن الإختلاف قد بدأ بالفعل كما قلنا بعد الإمام نزار بن المستنصر . ففي الشجرة المؤمنية نرى ثلاثة أئمة بعد نزار هما : حسن ومحمد ثم حسن «جلال الدين» وفي الشجرة القاسمية نرى خمسة أئمة بعد نزار هم : هادي ومهتدي وقاهر وحسن على ذكره السلام ، وأعلى محمد ، ثم يأتي جلال الدين حسن . وهنا نرى لقاءً بين الشجرتين ، وسيراً على خط واحد حتى الإمام شمس الدين ، وبعد وفاة هذا الأخير ، يبدأ الإنقسام الكبير ، ومن المعلوم أن الإمام شمس الدين كان له ثلاثة أولاد هم : مؤمن شاه ، وقاسم شاه ، وكياشاه . فالمؤمنية اعترفت بإمامة مؤمن شاه ، وسارت وراءه ووراء ولده حتى آخرهم «أمير محمد باقر» سنة ١٢١٠هـ . والقاسمية سارت وراء قاسم شاه وولده حتى آخر إمام منهم وهو «كريم خان» آغاخان الرابع .

إن الكتب الإسماعيلية التاريخية المخطوطة ، والمصادر القديمة السورية جاءت تروي لنا أخبار أسرة مؤمن شاه الإمامية وحدها منذ عام

«٧١٠هـ» . حتى عام ١٢١٠هـ ، فلم يكن هناك أسرة إمامية غيرها بالنسبة للإسماعيليين السوريين ، وكل هذا جاء مدعوماً بالبيانات والوثائق ، وبعد عام ١٢١٠هـ . توقف كل نشاط إمامي من جانب هذه الفرقة بسبب أحداث وحروب وهجرة تعرضت لها ، وكل هذا ورد في كتابنا هذا ، وفي غيره . . . ومن الجدير بالذكر أن الفرقة القاسمية بعد هذا التاريخ ظهر نشاطها الإمامي ولكن هذا النشاط انحصر في الهند ولم يتعداه . لكنّ الإسماعيليين السوريين فكانوا يعانون من فترة انقطاع دامت ما يقارب القرن وأخيراً : جرى الاتصال الإمامي ولكن هذا الاتصال جاء من طرف أئمة قاسم شاه ، وليس من طرف أئمة مؤمن شاه ، وهنا وقع الإنقسام الذي ذكرنا .

ممَّا تجدر الإشارة إليه . . . أن الإسماعيليين كانوا يتخذون قواعد لهم ومواطن في الجبال المعروفة «البهراء» وهي المسمَّاة «قلاع الدعوة الإسماعيلية» وتقع الآن في جبال العلويين . ولا بد من إيراد هذه القصة :

في عام ١٧٨٩م هاجم مصطفى بربر حاكم مدينة طرابلس التركي قلعة الكهف الإسماعيلية وكان يحمل أوامر بتدميرها ، وقتل أهلها ، وإلقاء القبض على بعضهم بسبب اقترافهم جرم اغتيال سفير الحكومة-الإفرنسية لدى تركيا في استانبول ، وكان يقوم بزيارة معاقل الإسماعيليين في بلاد الشام ، وعلى أثر ذلك اتخذت الحكومة التركية تدابير صارمة لإلقاء القبض على الفاعلين إرضاءً للدولة التركية التي كانت تقطع العلاقات وربما بإعلان الحرب ، ورافق هذه الأحداث هجرة اضطرارية من قدموس ومصياف وما يتبعهما من القرى والقلاع إلى سوريا الداخلية كحمص وحلب ودمشق ، وكل هذا تمَّ بعد مذبحة مصياف المعروفة التي لم يسلم منها إلاَّ طفل صغير هو «الأمير ملحم» . وكان ذلك سنة ١٨٠٣م .

أمَّا داعي الإسماعيلية الأكبر «الشيخ سليمان بن حيدر» فهاجر من

قدموس إلى حمص في تلك الفترة ومات بعد أسبوع من وصوله ، ودفن في مقبرة «باب هود» ويعرف ضريحه «بالشيخ المغربي» وهذا الداعي هو الوحيد الذي كان على اتصال بآخر إمام من ولد مؤمن شاه «الأمير محمد الباقر» ومن الواضح أنه بعد موته لم يظهر أحد على مسرح الطائفة الإسماعيلية للقيام بدور الداعي هذا ومن جهة أخرى فإن «الأمير محمد الباقر» ولأسباب غير معروفة انتقل من مقرّ إقامته في مدينة (أورنك أباد) في الهند ، إلى منطقة بعيدة .

بعد أربعة عشر عاماً من الهجرة القسرية ، قام الشيخ علي الحاج وهو من العلماء ورافقه بعض المشائخ الآخرين فذهبوا إلى حلب ، واجتمعوا إلى علمائها عارضين عليهم ما أصابهم من ظلم وإرهاب واحتلال مواطنهم ، فاستجابوا لهم ووقعوا كتاباً إلى حاكم بلاد الشام «يوسف باشا» طالبين إنصاف الفرقة الإسماعيلية ، وفي دمشق وجدوا دعماً من علمائها ، ورافقوهم إلى مقر الحاكم حيث عرضوا الأمر عليه ، عندئذ أصدر الحاكم أمره إلى فرقة من الجيش بالتوجه إلى مصياف وقدموس ، وإخراج المحتلين وإعادة أصحابها الأولين ،كما أعطى أمراً إلى كافة الإسماعيليين الموجودين في المدن بالعودة إلى وطنهم .

بعد فترة من الوقت عادت البهجة إلى مناطق قلاع الدعوة ، فاتفق الإسماعيليون على إرسال وفد إلى الهند لمقابلة الإمام «محمد الباقر» أو أحد من ولده ، ولكنهم بكل أسف لم يجدوا له أي أثر ، وإنما وجدوا دعوة جديدة كبيرة قائمة في كل مكان ، وعلى رأسها الإمام آغاخان الذي يتحدر من «قاسم شاه» .

وهنا وقع الإنقسام ، ففريق آمن بها ، وفريق رفض الإعتراف إلاّ بإمامة ولد مؤمن شاه ، وكل هذا سيظهر بوضوح في الصفحات التالية .

«المصادر المؤمنية المؤيدة» :

لدينا مصادر تاريخية عديدة وردت في المخطوطات الإسماعيلية السورية وهي تدعم ما ذهبنا إليه عن إمامة «مؤمن شاه» وولده التي دامت مدة تزيد على الخمسمائة عام .

وهذه قصيدة الداعي الأجل «شهاب الدين أبي فراس» الذي كان معاصراً للإمام طاهر شاه الحسيني . يقول :

نور من القدسوت زاه زاهر   وسنى من الفطموت باه باهر
وشموس لاهوتٍ تألق نورها   ولها نفوس الأنبياء مظاهر

ومنها

من بعده المولى الرضي فإنه   للمعضلات وكل كسر جابر
يتلوه مولانا إمام زماننا   الطاهر المولى العلي الظافر

ويقول الداعي محمد الجزيرة وكان أيضاً معاصراً للإمام طاهر شاه الحسيني :

ماذا عليهم لو أجابوا الداعي   أتراهم خلقوا بلا أسماع
غنمٌ تخطفها الذئاب بقوة   كما رعت في غير أرض الراعي
سفن النجاة لمن تمسك فيهم   ووجودهم من عالم الإبداع

ومنها :

الحاضرُ الموجود صاحب وقتنا   مولى الأنام يهب للملتاع
راء وهاء بعدها ألف وطا   يوم المعاد يكون خير متاع

وهذه أرجوزة النسب نظمها الداعي «سليمان بن حيدر» الموجود في قدموس سنة ١١٢٣هـ ، والمتوفى في حمص سنة ١٢١٢هـ .

موجز حياة أئمة الإسماعيلية النزارية

«إسماعيل بن جعفر» :

هو الإبن الأكبر للإمام جعفر بن محمد «الصادق» . ولد سنة ١٠١هـ . في المدينة المنوَّرة . كان يعرف بالأعرج ، وهو أحب الأبناء إلى الإمام جعفر . يعتبر المؤسس الأول للإسماعيلية ومنه تولدت التسمية .

ادَّعى والده الإمام الصادق أنه مات سنة ١٣٨هـ . بموجب محضر أشهد عليه عامل الخليفة المنصور العباسي . وكانت هذه العملية تغطية لستره عن عيون العباسيين الذين كانوا يطاردونه بسبب نشاطه المتزايد في نشر التعاليم التي اعتبرتها الدولة العباسية منافية لقوانينها ، والمعروف عنه أنه توجَّه إلى «سلمية» ومنها إلى دمشق ، فعلم به عامل الخليفة ، وهذا ما جعله يغادرها إلى البصرة ليعيش فيها متستراً بقية حياته .

مات في البصرة سنة ١٤٥هـ . وكان أخوه موسى بن جعفر «الكاظم» حجاباً عليه أو ما يعرف بإمام «مستودع» . أما ولي عهده محمد فكان له من العمر أربع عشرة سنة عند موته .

هناك أقوال كثيرة للمؤرخين يؤكدون فيها أنه مات في عهد والده وأن قصة ظهوره في البصرة أسطورة لا تقوم على حقيقة ، ومهما يكن من أمر ، فالإسماعيليون اشتهروا بالتخفي والإستتار والمحافظة على أئمتهم ، لذلك فليس بعيداً أن تكون الرواية الأولى صحيحة .

«محمد بن إسماعيل» :

ولد سنة ١١٤هـ . في المدينة . عندما توفي والده الإمام إسماعيل اضطرَّ إلى ترك المدينة خوفاً من مراقبة الرشيد العباسي الذي استطاع بنشاطه من إخماد كافة الثورات والدعوات الإمامية . فذهب إلى الكوفة ، ومنها إلى فرغانة ثم إلى نيسابور . عمل على نشر دعوته بنشاط في الجزيرة العربية ، وفي كافة البلدان الإسلامية ، وقد استطاع التمويه على الخلفاء العباسيين ، والإفلات من قبضتهم وهم : المهدي ، والهادي ، والرشيد .

لقبه الشاكر ، والمكتوم ، والمستور . ازداد استتاراً بعد أن أعطى الرشيد أمراً بالقبض عليه ، ثم إنه رحل إلى الري ، ومنها إلى نهاوند ، وفيها عقد زواجه على إبنة أميرها «أبو منصور بن جوشن» ، وبعد ذلك توجه إلى «تدمر» في سوريا ، حيث جعلها مركزاً لإقامته ونشر دعوته . وكان الرشيد العباسي قد وجَّه جيشاً لإلقاء القبض عليه عندما كان في نهاوند ، ولكن أتباعه تمكنوا من الإنتصار على الجيش المذكور ، وردوه خائباً . عمَّر بلدة سمَّاها «محمود آباد» .

يقال إنه هو الذي أرسل الداعيين الحلواني وأبا سفيان إلى شمالي أفريقيا . من جهة أخرى فالمصادر التاريخية تؤكد موته في مدينة تدمر السورية ، ودفن في الجبل الواقع إلى الشمال الغربي منها ، ويعرف بمقام «محمد بن علي» . وفاته سنة ١٩٣هـ .

في تدمر . . . مارس مهنة طب العيون أو قدح العيون وكان قد تسمَّى «ميمون القدَّاح» وكل هذا لكي يستتر نفسه عن عيون العباسيين الذين كانوا يطلبونه . ولهذا اختلط على الباحثين وضاعوا بين ميمون القدَّاح الداعي وميمون القدَّاح الإمام المستور .

ترك الإمام محمد بن إسماعيل عدداً من الأولاد ، منهم عبد الله الذي

كان ولياً للعهد، وإسماعيل، وجعفر، وعلي الليث، وأحمد والحسين، وقد قتل العباسيون علي أما أحمد فاستقرَّ في خوارزم، ويقال إن الحسن لحق بأخيه فقبض عليه، وقتل.

«عبد الله بن محمد» :

ولد في بلدة نيسابور سنة ١٧٩هـ. من ألقابه : المستور، والرضي، والناصر، والعطّار، وعبد الله الأكبر.

كان كثير التنقل بين نهاوند، والأهواز، وطبرستان. عرف أنه كان معاصراً للرشيد، وقد أدرك عصر المأمون. سمَّى جميع دعاته باسمه حتى لا يعرف. عندما خرج من فرغانة إلى الديلم، وكان يصحبه أخوه حسين، وفي الديلم تزوج فتاة علوية، وولد له منها ولداً هو «أحمد» وكان من دعاته «أحمد بن الكيَّال» وقد ادعى فيه الألوهية، ولكن أحد الأتباع قتله.

في عهده اختلف الدعاة على المناصب، فكان ذلك من الأسباب التي جعلته يأتي إلى «معرة النعمان» ويستقر متستراً في «دير عصفورين» حيث اعتكف فيه معتزلاً ومتفرغاً للتأليف والإنقطاع والتأمل، عندئذ لام الدعاة أنفسهم، وتفرقوا يطلبونه في كل مكان، وأخيراً اهتدوا إلى مقَرِّه، فجاءوا به إلى سلمية، وكانت انئذ وسطاً تجارياً وزراعياً مهماً، وموطناً ثانياً لأسرة عباسية، لهذا أشاعوا عنه وأسكنوه تحت اسم تاجر فارسي غني يسمى «عبد الله بن ميمون القدَّاح».

في سلمية بدأ بتأليف رسائل إخوان الصفاء وخلاَّن الوفاء مع أركان دعوته ولكنه مات قبل أن يأتي على النهاية.

إخوته كانوا موزعين بين نهاوند ونيسابور وخوارزم، ودعاته أيضاً كانوا يبشرون بدعوته في كل مكان.

توفي في سلمية سنة ٢١٢هـ . ودفن فيها . وضريحه على مقربة من جامع «ذو المحاريب السبعة» .

«أحمد بن عبد الله» :

ولد في سلمية سنة ١٩٨هـ . واتخذ من هذه المدينة مقراً له ، ومركزاً لتوزيع الدعاة ونشر التعاليم في المناطق الأخرى . كان على جانب كبير من العلم ، وإليه تنسب موسوعة رسائل إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء التي بدأها والده ، ورسالة الجامعة لهذه الرسائل . كان له ولدين هما الحسن وسعيد .

كان يتنقل بين الديلم والكوفة مدعياً أن أسفاره للتجارة والحقيقة كانت لأجل نشر الدعوة والأفكار الإسماعيلية . لقبه «الوفي» وعاصر المأمون ، كما اشترك في إثارة الناس عليه ، وقد شاهد الثورات الداخلية التي هبّت بوجه المأمون العباسي ، وليس من شك أنه أدرك ثورة «بابك الخرمي» كما أنه شاهد نهايتهم ، وعمل هو ودعاته على ضم فلولهم إلى الإسماعيلية ، وكان هذا من الأسباب التي جعلت بعض المؤرخين يطلقون خطأً اسم الخرمية على الإسماعيلية .

كان يقضي فصل الصيف في بلدة مصياف ، والشتاء في سلمية . بلغت الدعوة في عهده درجة عالية من التقدم ، وأقبل الناس للإنضواء تحت لوائه من كل حدب وصوب .

مات في مصياف سنة ٢٦٥هـ . عن /٦٧/ عاماً ، ودفن في جبل مشهد .

«الحسين بن أحمد» :

لقبه «الأهوازي» . ولد في مصياف سنة ٢١٩هـ . وكانت إقامته في سلمية ، ومنها كان يتنقل إلى كل مكان .

اشتهر بثروته المالية الطائلة ، وكان على علاقات طيبة مع الهاشميين العباسيين القاطنين سلمية . من المعروف تاريخياً أنه التقى مع الداعي «أبي القاسم حسن بن فرج بن حوشب المشهور بمنصور اليمن ، وعلي بن الفضل ، وكانا يدعيان إلى الحسن العسكري إمام الإثني عشرية فأثر فيهما وأحضرهما إلى سلمية ثم أرسلهما بعد ذلك إلى اليمن لأجل الدعاية له ، كما عُرف بأنه اتصل وأثّر بحمدان بن الأشعث «قرمط ، وبعبدان وغيرهما ، وفي عهده أيضاً تمَّ إرسال الداعية الكبير أبا عبد الله الشيعي إلى المغرب» .

في عصره دبَّ الوهن في الدولة العباسية ، وأحدقت بها الثورات والاضطرابات وتولّى شؤون مصر ابن طولون بالإضافة إلى بلاد الشام .

كانت الأموال الطائلة تحمل إليه من كافة الجهات حتى من أذربيجان ، وهو رابع الأئمة المستورين : أي محمد بن إسماعيل ، وعبد الله ، وأحمد ، والحسين .

مات في سلمية ودفن في مقام جدِّه عبد الله بن محمد سنة ٢٦٥هـ . ويعرف بالمسجد ذو المحاريب السبعة .

«علي بن الحسين» «المعل» :

من الأئمة المستورين . ولد في سلمية سنة ٢٥١هـ . وتوفي فيها في سن مبكر سنة ٢٨٤هـ .

هذا الإمام لا تعترف بوجوده الفرقة الإسماعيلية الآغاخانية ، في حين تؤكد مصادر الدروز والمستعليين والمؤمنين عن وجوده وتعترف فيه .

في عهده ساد الدعوة الاضطرابات الداخلية ، فقد سيطر عليها عم الإمام علي المعل مستغلاً مرض الإمام ، وكانت غايته حصر الإمامة بأولاده ، ولكن عم الإمام الثاني ، «سعيد الخير» المعروف بـ «عبيد الله

المهدي» ، استخلص الدعوة وأرجع الأمور إلى وضعها الطبيعي وفي هذه الفترة كان الإمام علي المعل قد توفي ، فأقام سعيد الخير الملقب بعبد الله المهدي نفسه وصياً على الإمام القائم بأمر الله متخذاً لنفسه صفة الإمام المستودع .

«سعيد الخير» أو «عبيد الله المهدي» :

هذا أمير المؤمنين تضعضعت	لقدومه أركان كل أمير
هذا الإمام الفاطمي ومن به	أمنت مغاربها من المحذور
والشرق ليس لشامه وعراقه	من مهرب من جيشه المنصور

والحقيقة : سواء أكان عبيد الله المهدي إماماً مستقراً ، أو مستودعاً ، وسواء أكان حجة أم داعياً ، فهو بنظري من عظماء الرجال ويرجح على الكثيرين من القواد والعباقرة ، فعبيد الله لم تنجب الدعوة الإسماعيلية في عصورها الأولى والأخيرة من يفوقه ، ويكفي أن يكون منشىء دولة كبرى ، وأكبر عقلية ، وأحد العشرين رجلاً الذين وصفهم التاريخ بالعبقرية والعظمة والخلود .

اعتبرته الفرقة الآغاخانية إماماً مستقراً ، بينما اعتبرته الفرقة الأخرى مستودعاً باعتبار أن والده لم يكن إماماً ، كما أن أولاده بعد وفاته لم يعين أحد منهم في منصب الإمامة بل تخلوا عنها عن طيبة خاطر إلى الإمام المستقر القائم بأمر الله

المهدي كما قلنا . . . من الرجال الذين لا يجود بهم الدهر إلاّ نادراً ، فقد استطاع بفضل ما أوتيه من قوة الشخصية ، وما جبل عليه من الصفات العالية أن يوطّد أركان دعوة آمن بها وبثّها في أرجاء العالم ، كما استطاع أن يقض مضاجع العباسيين ، ويجعلهم فريسة للمخاوف ، كما أنه قضى على دولة الأغالبة الشاسعة في المغرب ، وهي التي اعتمد

عليها العباسيون للوقوف بوجه الدولة الفاطمية والأخرى الإدريسية في أقصى المغرب . وأخيراً أقام دولته الفاطمية المهيبة الجانب التي استطاعت أخيراً أن تقتطع خيرة ممتلكات العباسيين سواء في المغرب أو في مصر أو في الشام واليمن والحجاز ، حتى أنها امتدت إلى حدود بغداد ، وأطاحت بقاعدة العباسيين إلى فترة زمنية محدودة .

في مثل هذه الصفحات القليلة يصعب إيفاء هذه الشخصية الفذة حقها من الوصف .

امتاز عبيد الله المهدي بالصبر وتحمل المكاره والصعاب ، وقوة الإرادة وعدم التراجع عند رأي يرى فيه الصواب . فلقد شاهد ووعى انتفاضة «القرامطة» ، فظلَّ يصابرهم ويهادنهم ويعدهم ويراقب تحركاتهم ، ولمَّا رأى أن الأمور تسير في صالحهم ، غادر مقرَّه في سلمية تحت جنح الظلام مستهيناً بالعيون والجواسيس العباسيين الذين تجندوا للقبض عليه ، وكل هذا لم يجد الهلع إلى قلبه سبيلاً ، وظلَّ يسير بهدوء وثبات وثقة بنفسه وصبره حتى وصل إلى سجلماسة بشمال أفريقيا ومعه الإمام القائم بأمر الله .

من أهم صفاته الجود وقد كان له الفضل الأكبر بتذليل الصعاب أمامه أثناء سفره من سلمية إلى المغرب ، وقصة رحلته شيقة لما تخللها من عجائب ومشاهد .

كان مهيباً يفرض احترامه وتقديره على كل من يراه حتى ولو كان عدوه . وامتاز بالصدق وجمال المظهر والوسامة وقوة الساعد وسرعة البطش بعدوه .

يعتبر المؤسس الأول للدولة الفاطمية في المغرب ، والموطّد لأركانها ، والمتغلب على أعدائها . قتل أبا عبد الله الشيعي الداعية الكبير والقائد الذي وطّد أركان دولة الفاطميين في تونس ، ولم تعرف الأسباب؟

اصطحب أثناء سفره من سلمية الإمام القائم بأمر الله وكان صغيراً وزوجته أم حبيبة ، وإبنتيه ، وإبنتي أخيه .

ولد في سلمية سنة ٢٦٠هـ . أو ٢٥٩هـ . أمَّا وفاته ففي مدينة المهدية في تونس سنة ٣٢٣هـ . وكان له من العمر /٦٣/ عاماً . ومدة حكمه كانت /٢٤/ سنة .

إن لعبيد الله المهدي تاريخاً مشرفاً لا تفي به الصفحات القليلة .

«القائم بأمر الله» :

ولد في شهر محرم سنة ٢٨٠هـ . في مدينة سلمية . فهو الخليفة الفاطمي الثاني والإمام الثاني عشر . هاجر إلى المغرب وكان له من العمر عشرة أعوام ، مع عمِّه عبيد الله المهدي وذلك بعد أن اشتد ضغط القرامطة عليه ، وتتبع العباسيون له .

في عهده قامت في الدولة ثورات داخلية وأهمها ثورة أبو يزيد الخارجي الذي تمكَّن من احتلال العديد من المناطق والمدن .

أسطوله البحري الذي ورثه عن الخليفة الأول استمرَّ بهجماته على الموانىء الإيطالية ، وأخصها جنوا ولونبارتي وصقلية وسردينيا .

توفي في ١٣ شوال سنة ٣٣٤هـ ، ودفن في مدينة المهدية . من الأمور الغريبة أنه كتم موت «عبيد الله المهدي» مدة عام كامل .

جهَّز جيشاً وأرسله إلى مصر للإستيلاء عليها ، ولكن هذا الجيش رجع خائباً أمام هجمات جيوش الأخشيد . كانت مدة خلافته إثني عشر عاماً ، وستة أشهر ، وثلاثة عشر يوماً .

«المنصور بالله» :

هو الخليفة الفاطمي الثالث ، والإمام الثالث عشر . ولد سنة ٣٠٣هـ .

كان سياسياً محنكاً ، وأديباً وشاعراً ، وفي عهده تعزَّز العلم وراج سوق الأدب ، وبنيت مدينة المنصورية ، وانتشرت الدعوة على يديه في تونس وصفاقس ، وصقلية التي اتخذ منها قاعدة لأسطوله البحري الكبير .

طارد أبا يزيد الخارجي بنفسه ولم يعد إلى قاعدة ملكه حتى جاء به أسيراً ومن المشهور عنه أنه واجه جيش أبا يزيد وكان عدده ثلاثين ألفاً ، بألف وخمسين فارساً ، فقتل خلقاً كثيراً ، وعاين الناس من شجاعته وبراعته في القيادة ما لم يتوقعوه ، فزادت مهابته وعظمت قيمته .

يعتبر عهده من العهود الزاهرة بالنسبة للدولة الفاطمية ، ولكنه مع كل أسف لم يعمر طويلاً ، وموته كان فجائياً .

توفي في ١٣ شوال سنة ٣٤٣هـ . ودفن في المنصورة المدينة التي أشادها وسمَّاها باسمه .

قاضي دولته هو «النعمان بن حيُّون» الذي لعب دوراً مهماً في حياة القضاء المصري والثقافة الفاطمية .

«المعز لدين الله» :

هو الإمام الفاطمي الرابع عشر المعروف لدى الإسماعيلية «بسابع الأسبوعين» . كما أنه الخليفة الرابع . وهو صاحب لقب «فاتح مصر وباني القاهرة المعزيَّة» والأزهر الشريف .

ولد يوم الإثنين في الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٣٤٧هـ في مدينة المهدية وتوفي في القاهرة في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ .

واجه في أول عهده حروباً ومشاكل داخلية ، ولكنه تغلَّب عليها بقوة إرادته ورجولته وحسن إدارته . ومن الجدير بالذكر أن فتوحاته امتدت حتى شواطىء البحر المحيط وشملت بلاد المغرب بأسرها .

قائده الأول كان جوهر الصقلي ، والثاني الأمير جعفر بن فلاح ، وهما اللذان قادا الجيوش لفتح مصر وبلاد الشام ، وتلك الحملة كلفت الدولة الفاطمية في تلك الأزمنة بما يعادل الثلاثين مليون دولار ، وذكر أن الجيش الذي اشترك بالفتح زاد على المئة وخمسين ألفاً بالإضافة إلى الأسطول البحري الذي رافق واشترك بالفتوحات .

في عهده تمَّ الإستيلاء على جزيرة صقلية بقيادة «القواد البلكيين» الذين تمكنوا من تدمير جيش الروم وأسطوله تدميراً تاماً .

في عهده تمَّ بناء القاهرة والجامع الأزهر ، وأصبحت مصر قاعدة لتصدير الحضارة والفنون الإسلامية . وبالرغم من كل هذا فإن هجمات عباسية وقرمطية استهدفتها ولكنها لم تثمر .

خرج الخليفة المعز لدين الله من المغرب في طريقه إلى مصر في ٢١ شوال سنة ٣٦١هـ . ومعه توابيت من ذهب أودع فيها جثث آبائه الثلاث ، وقد استخلف على بلاد المغرب «بلكين بن زيري» الصنهاجي .

قاضي قضاته هو «النعمان بن حيُّون» صاحب الكتب والمؤلفات الفاطمية العديدة في الفقه والفلسفة والتي نصَّ عليه الإمام المعزّ بعضها . أمَّا شاعره ابن هانىء الأندلسي فقد لحق به إلى مصر ، ولكنه قتل في الطريق .

إبنه الأكبر هو الشاعر «تميم» ولم يسمه لولاية العهد ، بل سمَّى ولده الثاني عبد الله الذي لم يلبث أن مات ، وعند ذلك سمَّى ولده الثالث «العزيز بالله» لولاية العهد .

«العزيز بالله» :

هو الخليفة الفاطمي الخامس ، والإمام الخامس عشر . ولد سنة ٣٤٤هـ في مدينة المغرب . قدم سنة ٣٦٢هـ مع والده الإمام المعز إلى مصر .

تولّى الخلافة سنة ٣٦٥هـ . وكان في الثانية والعشرين من عمره . كان عارفاً مثل أبيه أيضاً بجميع اللغات السائدة في عصره . في عهده كانت رقعة دولته الفاطمية تمتد من بلاد العرب شرقاً حتى ساحل المحيط الأطلسي غرباً ، ومن آسيا الصغرى شمالاً حتى بلاد النوبة جنوباً .

تفاقم خطر القرامطة ، ودخل أفتكين التركي مدينة دمشق ، وكان قد خرج على الدولة العباسية ، ومن جهة ثانية ، فإن الرملة وقعت بأيدي القرامطة ، ولكن القائد جوهر الصقلي سار واسترجعها ، وأخيراً تحالف أفتكين والقرامطة بتشجيع ومباركة العباسيين والحمدانيين ، فاحتلوا دمشق وتمكنوا من إخراج جوهر الصقلي من أكثر مدن بلاد الشام ، ومن الوقائع المذكورة في التاريخ أن جوهراً انسحب من أمامهم إلى عسقلان ، وظل يطاولهم ويصاولهم ، وهم يتتبعونه إلى أن خاض معهم معارك عديدة وأخيراً خرج الإمام بنفسه إليهم ، وتمكن من خوض معركة فاصلة معهم على أبواب الرملة حيث وقع أفتكين أسيراً بيد أحد قواده ، كما أن القرامطة قد فروا من المعركة بعد أن تركوا آلاف القتلى .

من المعروف تاريخياً أنه عفا عن أفتكين بعد أن جاء به إلى القاهرة ، وأجرى عليه الرزق والعطايا .

وأخيراً :

مات الإمام العزيز في بلبيس أثر مرض فجائي لم يمهله ، وكان في طريقه على رأس جيش كثيف للهجوم على بغداد ، ولكن الأقدار لم تمهله . كان عمره /٤٤/ عاماً وقت وفاته .

«الحاكم بأمر الله» :

ولد يوم الخميس لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٧٥هـ . وقد عهد إليه والده سنة ٣٨٣هـ بالخلافة ، ثم بويع في اليوم الذي توفي

والده فيه أي سنة ٣٦٨هـ ، وكان عمره أحد عشر عاماً ونصف العام .

في عصره ثار الكتاميون في المغرب ، وعمَّ الاضطراب أهل الذمة من جهة ، والمسلمين السنة من جهة أخرى . وأغار أبو ركوة وقصد الإستيلاء على الدولة ، وكان ينتسب إلى الأمويين الأندلسيين وهذا الثائر هدد الدولة من ناحية المغرب ، وسبَّب للخليفة متاعب جمة ، ولكن ثورته أخمدت في نهاية المطاف .

في عصره أيضاً عانت مصر نقصاً في المواد الغذائية ، وانخفض منسوب النيل ، وساد الأوساط الاجتماعية أجواء غريبة من العادات والتقاليد ، وتسربت إلى البلدان المصرية ما يسمَّى بالثورة الأخلاقية التي كافحها الإمام الحاكم بقسوة وشدة .

في عصره أيضاً ، انشقَّت الفرقة الدرزية عن الإسماعيلية كما ذكرنا في الصفحات السابقة ومن جهته كان يقوم بأعمال غريبة وجديدة بالنسبة للمجتمع .

كان عالماً ومغرماً بعلم النجوم والرصد . اختفى في السابع والعشرين من شهر شوال سنة ٤١١هـ يعتبر الخليفة السادس الفاطمي ، والإمام السادس عشر .

«الظاهر لإعزاز دين الله» :

هو الخليفة الفاطمي السابع ، والإمام السابع عشر . ولد ليلة الأربعاء في العاشر من شهر رمضان سنة ٣٩٥هـ . وبويع بالخلافة وعمره ستة عشر عاماً ، في بدء عهده عمَّ الخصب والرخاء القطر المصري ، وتحسنت الزراعة في كافة أرجاء الدولة ، ولكنها لم تستمر طويلاً فقد عمَّ الغلاء وأطلَّ شبح المجاعة ، وهجمت الأمراض والأوبئة .

شنَّ الخليفة الظاهر حرباً لا هوادة فيها على الدروز محاولاً إرجاعهم

إلى الصواب دون جدوى . مدة خلافته كانت ستة عشر عاماً ، في خلافها لم تنته هجمات الصليبين على الأراض والثغور الفاطمية .

في عهده أيضاً وقَّع معاهدة هدنة مع الروم ، واستولى صالح بن مرداس على حلب ، وتغلَّب حسان بن جراح على أكثر بلاد الشام . توفي ليلة الأحد في منتصف شعبان سنة ٤٢٧هـ .

«المستنصر بالله» :

ولد يوم الثلاثاء ١٣ من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٠هـ . وبويع بالخلافة في يوم الأحد الواقع في منتصف شهر شعبان سنة ٤٢٨ ، وكان له من العمر سبعة أعوام ، وقد ظلَّ في الحكم ستين عاماً ، وهي أطول مدة في تاريخ الخلافة الإسلامية .

امتدَّ سلطانه على بلاد الشام والحجاز وفلسطين ولبنان واليمن وصقلية ، وأفريقيا ، ثم دخلت بغداد تحت حكمه لمدة عام ، عندما أبعد الخليفة العباسي وخطب للخليفة الفاطمي على المنابر وهذه الثورة عرَّفها التاريخ بثورة البساسيري .

في عهده استمرت المحن وعمَّ الوباء والفوضى بلدان الخلافة الفاطمية ممَّا جعله مضطراً لاستدعاء والي عكا «بدر الجمالي» إلى القاهرة حيث سلَّمه القيادة العليا للجيوش وأطلق يده بإدارة شؤون البلاد .

يشهد له التاريخ بأنه صاحب فكرة تعريب بلاد المغرب ، وقد تجلَّى ذلك عندما أصلح ذات البين بين العشائر العربية البدوية ، وأمدها بالأموال والسلاح ودفعها إلى غزو بلاد المغرب للحلول محل البربر ، وهكذا تمَّ لهذه العشائر فتح أكثر بلدان المغرب ومنذ تلك الأيام أصبحت العرب هي الأكثرية في المغرب ، والفضل في ذلك للإمام المستنصر بالله .

توفي في القاهرة سنة ٤٨٧هـ .

بعد وفاته كما ذكرنا انقسمت الإسماعيلية إلى نزاري ومستعلي من جهة ، وإلى مؤمنية وقاسمية فيما بعد . . . وقد ذكرنا كل هذا . . . ولم تستمر الخلافة الفاطمية بعد الإمام المستنصر بالله سوى فترة قصيرة اضطلع فيها «المستعلي ، بالخلافة» . . . أمَّا أئمة النزارية فاقتصرت مهمتهم على الإمامة دون الخلافة . . . وسيظهر كل هذا في الصفحات التالية .

«أئمة النزارية المؤمنية»

١ - «نزار بن المستنصر بالله» :

ولد في القاهرة يوم العاشر من ربيع الأول سنة ٤٣٧هـ . هو الإبن الأكبر للإمام المستنصر بالله ، وولي عهده .

بعد وفاة والده تعرَّض إلى مؤامرة كبرى ، قام بها الأفضل بن بدر الجمالي الأرمني الذي كان يشغل وظيفة القائد العام للجيوش الفاطمية ، وقد عمل على إبعاده عن الإمامة ، وإسنادها إلى ابن أخته المستعلي وهو أخ نزار الأصغر الذي ولد للإمام المستنصر بالله من زوجته الأخيرة إبنة القائد بدر الجمالي ، وعندئذ اضطرَّ نزار إلى المقاومة فاعتصم بمدينة الإسكندرية ، وأعلنها عاصمة له بعد انضمام فريق من الجيش إليه ، ولكن الأفضل قائد الجيش لحق به ، ونشبت هناك معارك عنيفة انتهت بانتصار الأفضل ، الذي قتل نزار وأولاده وإخوته ، وكان عمره انئذ خمسين عاماً . وهذه الأحداث وقعت سنة ٤٩٠هـ .

٢ - «الحسن بن نزار» :

ولد في القاهرة سنة ٤٧٠هـ . هو الوحيد من أسرة نزار الذي سلم من أيدي الجلادين الطغاة وعلى رأسهم الأفضل الجمالي الأرمني .

بعد مقتل الإمام نزار في الإسكندرية ، هبط الداعي الكبير «الحسن بن الصبَّاح» من بلاد فارس إلى القاهرة ، وهناك تمكَّن من أخذه إلى «ألموت»

حيث نادى به إماماً للنزاريين وكان عمره تسع سنوات .

من ألقابه كما تذكر المصادر : هادي ، ومهتدي ، وقاهر .

في عهده انتشرت الدعوة النزارية انتشاراً واسعاً وشملت بلاد فارس والعراق وسوريا ومن جهة أخرى لم يلبث الداعي الكبير الحسن بن الصباح حتى أعلن قيام دولة ألموت النزارية التي لم تلبث حتى أصبحت موضع حديث الناس بما ظهر من تنظيمها وقوتها .

يقولون إنه جاء إلى بلاد الشام ومات في بلدة قدموس في جبل يقع شرقي البلدة ويعرف مقامه باسم «مولى حسن» ولكن لا يوجد ما يؤيد هذا القول .

وفاته كانت سنة ٥٣٤هـ .

٣ ـ «محمد بن الحسن» :

ولد في قلعة «ألموت» سنة ٥٢٣هـ . وتلقى علومه فيها على يد الحسن ابن الصباح . من ألقابه : شيخ الجبل ، وسنان ، وراشد الدين ، وألكيا .

جاء إلى مصياف من «ألموت» بعد قيام حركة معارضة داخلية ، وادعاء أحد الدعاة بالإمامة . وكان ذلك سنة ٥٥٨هـ . الموافق سنة ١١٦٢م .

في مصياف أقام الدعوة من جديد ، وأعلن انفصالها عن بلاد فارس وبدأ الصراع يتفاقم ويسير لمصلحة الإمام الأصيل .

اعتبر الإمام محمد بن الحسن الدماغ المفكر لقيام الفدائية ومدرسة اللغات ومحاربة الصليبيين .

هاجمه صلاح الدين الأيوبي وقصد تدمير قلاع الدعوة الإسماعيلية ، ولكن الإمام محمد بن الحسن وقف بوجهه واضطره في نهاية المطاف الى الخضوع وعقد الصلح حيث تعاونا معاً في الحروب الصليبية ، وخاصة معركة بيت المقدس .

كان شاعراً ، وفيلسوفاً ، وعالماً فلكياً ولكن مؤلفاته لم تبق منها أيدي الدهر إلاَّ بعض أقوال وأبيات من الشعر .

توفي في مصياف سنة ٥٩٠هـ . الموافق سنة ١١٩٤م . ودفن في جبل مشهد على مقربة من ضريح الإمام أحمد بن عبد الله .

شاعره هو الأمير مزيد الحلي الأسدي وهو مدفون على مقربة منه .

٤ ـ «حسن بن محمد جلال الدين» :

ولد في ألموت ببلاد فارس سنة ٥٧٣هـ . ومات سنة ٦١٧هـ . الموافق سنة ١٢٢٠م . في ألموت أيضاً .

يقول المؤرخ براون في تاريخه عن إيران ما يلي : ازداد عدد الإسماعيليين في عهده ، وقد بدأ صفحة جيدة من العلاقات الطيبة مع أمراء المسلمين ، ولهذا لقبوه «المسلم الجديد» كما أن علاقاته بالعباسيين ازدادت وثوقاً وخاصة مع الخليفة الناصر لدين الله .

انتقل من مصياف إلى ألموت بعدما جاءته الوفود تطلب إليه العودة بعدما أحبطت المؤامرة وقضي على الحركة المعارضة فعاد وسط الاحتفالات والترحيب .

تنقل في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس ، وأدى فريضة الحج مع عائلته مرتين ، ثم تحالف مع جلال الدين خوارزمشاه عندما غزا جنكيزخان إيران ، وذلك حفاظاً على معاقله وأتباعه .

قتل بمؤامرة بالسم ، وترك ولداً هو محمد بن الحسن «علاء الدين» .

كان على اتصال دائم بأتباعه في بلاد الشام ، وقد عثرنا على «فرمان» أو ما يسمَّى أوامر إمامية مرسلة إلى أتباعه في سوريا . ومن الجدير بالذكر أن الفرمان المذكور مؤرخ سنة ٦١٨هـ . ومعنى ذلك أن وفاته كانت بعد

هذا التاريخ . وهذا هو كما جاء بنصه الحرفي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مؤيد الحق ونصيره ، ومظهر العدل بتدبيره ، ومقسم الأرزاق بتسخيره ، ومضيء النهار بسنا نوره ، الدال على توحيده ببراهينه ، والمقيد جميع عباده بحدوده . وصلّى الله على النبيين والمرسلين أجمعين .

أيها المؤمنون :

أخلصوا لنا بقلوبكم ، وارحلوا إلينا بنفوسكم ، فإن عهدنا واصل إليكم ، وقد أمرنا بتلاوته عليكم ، فتلقوه بقلوب صادقة ، ونفوس طائعة وغير آبقة ، وقد أرسلنا إليكم باباً من أبوابنا ليقرأ عليكم العهد ويتلوه ويوضحه وهو الداعي «شمس الدين بن علي» الذي يوضح الحق حتى ينجلي .

أيها المؤمنون :

المخلصون الموقنون القاطنون في جبال السمَّاق ، وقلاع الدعوة وحلب والشام من الأمراء الكرام ، والأسياد والدعاة أصحاب مدينة السلام ، وسائر المؤمنين حسَّن الله أحوالهم في الدارين .

ومنه :

فاستعجلوا الطاعة ، وتابعوا الحق ، وتخلقوا بالأخلاق الكريمة من التوكل والصبر والشكر والخوف ، وقلة الطعام والمنام والأكل ، واجتنبوا المناهي والمحرمات ، وسائر الأخلاق الذميمة من الكبر ، والبغض ، والكذب ، والنميمة ، وأكل الحرام ، والخمر ، وحشيش البنج المخدِّر ، والربا .

واعلموا :

إن الحمَّام التي وقعت في قلعة «الكهف» هي خاصة بإمامكم فعمروها

واستعجلوا بإرجاعها إلى ما كانت عليه ، واعرضوا مشكلاتكم في الدين علينا ، ثم اعلموا أن معتمدكم محمد الخراساني والداعي إبراهيم وصلا لعند مولاكم . . . فكان راضياً منهما ، ومن جماعة المؤمنين المخلصين . والحمد لله رب العالمين .

٥ ـ «محمد بن الحسن» «علاء الدين» :

ولد في ألموت سنة ٦٠٨هـ . تسلّم الإمامة وهو في سن التاسعة وأول عمل قام به إعدام قتلة والده .

في سن الخامسة عشرة أصيب بمرض نفساني خطير ، ومن آثاره أنه حاول أكثر من مرة أن ينزع عن ولده ركن الدين لقب ولاية العهد ، ويعطيها لولده «شمس الدين» وهو الذي اتصل بالفيلسوف جلال الدين الرومي وأثر فيه وأصبح معلمه ومثله الأعلى ، ولكن الدعاة رفضوا الاعتراف بهذا الأمر الجديد ، ومن المعلوم أنه سبق أن أصدر أمراً يقضي بإعطاء ولاية العهد إلى «ركن الدين» .

في عهده ازدهرت الدعوة الإسماعيلية في المجال الثقافي والعلمي . ولكن عهده لم يستمر طويلاً ، فقتله الحسن المازندراني اغتيالاً في قلعة شيركوه ، ودفن فيها بتاريخ سنة ٦٥٣هـ .

من دعاته الفيلسوف «نصير الدين الطوسي» ، والشاعر شمس الدين الطيبي .

٦ ـ «محمود بن محمد» «ركن الدين» :

ولد في ألموت سنة ٦٢٩هـ . في عهد إمامته هاجم هولاكو حصون الإسماعيلية في فارس وذلك سنة ٦٥٤هـ وفي أول عهده أعدم قاتل والده الحسن المازندراني .

شهد المعارك الحامية بين أتباعه والمغول التي دامت أكثر من ثلاثة

أعوام . ومن الجدير بالذكر أنه سلّم نفسه بعد عام من المعارك إلى المغول ، فأخذوه إلى همذان ، وأحسنوا معاملته ، ولكن الإمبراطور المغولي منكوخان طلبه إلى قراقورم ، وحين وصوله أوعز بقتله مع جميع أفراد عائلته ، وقد استطاع داعيته الأكبر نصير الدين الطوسي تهريب ولده محمود بن محمد «شمس الدين» إلى أذربيجان وكان عمره سبع سنوات .

بعد موته استوزر هولاكو الفيلسوف الإسماعيلي نصير الدين الطوسي ، وقد عمل جاهداً حتى تمكن من إنقاذ ما أمكن إنقاذه من معاقل الإسماعيليين .

كافة المصادر التاريخية تؤكد : أن هولاكو حرق المكتبة الإسماعيلية في ألموت وكانت تضم ما يقارب المليون ونصف مجلد .

وفاته كانت سنة ٦٥٥هـ . وكان هولاكو قد أخذ منه كتاباً إلى إسماعيلية قلاع الدعوة في بلاد الشام لتسليم قلاعهم للمغول ، ولكن إسماعيلية سوريا رفضوا الطلب بعدما علموا أن الكتاب كتب تحت وسائل الضغط .

وهذا مصدر تاريخي وهو كتاب مرسل منه إلى أتباعه في بلاد الشام :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلّص نفوسنا ببقائه ، وسيّرها هادية إلى معرفته وطاعته ، وجعل أفكارنا منصرفة إلى قدس جبروته ، وإلى فسيح وحدانيته . حمداً واجباً وشكراً دائماً لنوال نعمته ودوام حرمته . والحمد لله وصلاته على خاتم النبيين ، وأساس الدين ، وعلى آل بيته الطاهرين . ومنه :

اعلموا أيها المؤمنون الموحدون . ثبت الله أقدامكم على الهدى ، وأنار

بضياء الحق أفهامكم ، إن مولاكم هو صاحب الزمان ، وترجمان الرحمن ، وشمس الحق المبين ، والعروة الوثقى التي من تمسك بها نجا ، ومن تخلّف عنها ضلَّ سعيه وغوى وكان من الهالكين .

ومنه :

لقد أرسلنا إليكم داعينا المقرب من الحضرة العليَّة ، سيد السادات ، والنقباء الفقيه «الحسن بن مرتضى» ، ورفيقه «عبد العزيز الزنجاني» ، أبقاهما الله في العزة والكرامة ليحققا أحوالكم ، ويبشرانكم البشارات العظمى ، إنكم من مستحقي الرحمة والإحسان والرأفة والرضوان .

٧ ـ «محمد بن محمود «شمس الدين» :

ولد في ألموت سنة ٦٤٣هـ . هو الوحيد من أسرة الأئمة النزارية الذي نجا من المجزرة المغولية التي أودت بحياة عائلته .

عاش متنقلاً بين أذربيجان وتركستان وبغداد وبلاد الشام ينظم ويؤسس ويلم الشمل بعد الكارثة الكبرى ، وكانت رسله ودعاته تذهب وتنتقل بسرية تامة إلى كل مكان حاملة التعاليم والأوامر .

مات في قونية سنة ٧١١هـ . ودفن فيها كما تشير المصادر التاريخية ، وكان قد ترك بعده ثلاثة أولاد ذكور هم : مؤمن شاه ، وقاسم شاه ، وكيا شاه . وبعد موته جرى الإنقسام أو الإختلاف بين مؤمن وقاسم كما ذكرنا في أكثر من مكان .

كان على جانب عظيم من الصبر ، والشجاعة ، وقوة الإحتمال ، وقد شهد أفظع كارثة حلّت بأسرته وأتباعه ، ولكن هذا الإمام قابلها بصبر ، وأعصاب متينة شأنه شأن الرجال العظام الذين لا تلين قناتهم أمام الأحداث .

٨ ـ «مؤمن شاه» :

ولد سنة ٦٧٩هـ . في أذربيجان . ثم انتقل فيما بعد إلى تبريز . هو

الإبن الأكبر للإمام شمس الدين كما تؤكد أكثر المصادر التاريخية .

اعتبر في بلاد فارس رأس الأسرة الخداوندية كما يطلق عليها في إيران والهند . أسرته استقرَّت في قرية «خوند» من مقاطعة مازندران الفارسية وذلك بعد خراب ألموت والقلاع الأخرى .

الفرقة الآغاخانية تقول عنه إنه كان إماماً مستودعاً وحجاباً على قاسم ، والمؤمنية يقولون بالعكس ويدعمون حجتهم بأنه صاحب النص على إعتبار أنه الأكبر ، ومهما يكن من أمر فإن مؤمن يعتبر مؤسس دعوة جديدة وقد لعب دوراً بارزاً على مسرح الأحداث الإسماعيلية ، وكان من نسله أئمة بارزون حفلت بهم المصادر الإسماعيلية التاريخية وخاصة بالنسبة لإسماعيلية بلاد الشام .

كان عالماً وفقيهاً ، وقد أرسل الدعاة إلى مختلف الديار الإسلامية ، ووجَّه عنايته إلى قلاع الدعوة في بلاد الشام حيث أتباعه الكثيرون .

توفي سنة ٧٣٨هـ ودفن في مدينة شيراز .

٩ ـ «محمد بن مؤمن» :

ولد سنة ٧٢٩هـ . في شيراز . هو الإبن الأكبر للإمام مؤمن شاه . كان على جانب كبير من المعرفة بالفلسفة والفقه والعلوم ، واشتهر بالتقشف والعبادة والعزلة ، وقد وجه عنايته ودعاته إلى قلاع الدعوة في بلاد الشام ، والعراق ، وبدخشان ، حيث أتباعه ومن جهة أخرى كان يذهب بنفسه إلى المناطق للقيام بالتبليغ والإرشاد وعقد المناظرات الدينية وتنظيم شؤون الدعاة .

توفي سنة ٨٠٧هـ . ودفن في بلدة «دار سلطانية» في إيران حسب المصادر التاريخية الفارسية .

ترك عدداً من المؤلفات باللغتين العربية والفارسية ، ولكن لم نستطع

الحصول على أي مصدر منها مع كل أسف .

١٠ ـ «رضي الدين بن محمد» :

ولد سنة ٧٨٧هـ . في بلدة «دار سلطانية» . هو الإبن الأكبر لمحمد بن مؤمن .

في عصره وقعت اضطرابات في صفوف أتباعه في إيران ، وسببها المناصب الدينية للدعاة ، ممّا جعله يتركهم ويأتي إلى بلاد الشام حيث اتخذ من قلاع الدعوة الإسماعيلية دار هجرة كان ينظم منها الشؤون العامة للدعوة والتبليغ والإرشاد .

تؤكد المصادر أنه توفي سنة ٨٣٨هـ . في قرية «الجمّاسة» القريبة من بلدة «قدموس» السورية ، ولا يزال ضريحه قائماً فيها حتى الآن ويعرف «بالمولى رضي الدين» .

قبل وفوده إلى قلاع الدعوة كان على اتصال بأتباعه الإسماعيليين النزاريين في بلاد الشام وهذا هو أحد «أوامره» الإمامية كما وردت في المصادر التاريخية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يحول ولا يزول ، ولا تحيط بمعرفة كنه ذاته العقول .

وبعد فهذا تشريف من عبد الله وحجته على خلقه الإمام رضي الدين إلى الأتباع المخلصين المقيمين في إقليم قلاع الدعوة النزارية الهادية ، وإلى المؤمنين من أبناء دعوتنا أنّى كانوا في الجهات .

أيها المؤمنون :

أدعوكم إلى التمسك بأهداب الدين ، والورود من عين اليقين ، والحفاظ على الشريعة ، وفروض الصلاة ، والإقتداء بالإمام .

أطيعوا داعي إقليمكم «برهان الدين» وخذوا عنه حقائق العلم ، وقفوا عند أوامره ونواهيه ، فنحن قد أعطيناه وفوضناه وجعلناه لنا داعياً وحجة .

أيها المؤمنون :

اعلموا أنها ستمر بكم فترات عسيرة ، وستتعرضون للحروب وشتى أنواع المحن لأهلنا وبسبب محبتنا . فاصبروا فإن لكم حسن المآب .

تماسكوا ووحدوا صفوفكم ، وأكثروا من شراء الأسلحة ، وعززوا مواقفكم الدفاعية عن مواطنكم ، وعلموا أولادكم الفروسية كما كنتم في الماضي ، وأرضعوهم من لبان علم أهل البيت . ولا تتنازلوا عن شبر من قلاعكم وحصونكم ، فهي لكم رمزاً وحصناً ودرعاً .

ستأتيكم أوامرنا بلا انقطاع ، وسيمر دعاتنا عليكم باستمرار . ونحن هنا نتطلع بأبصارنا إليكم وإلى كافة أتباعنا المخلصين أينما وجدوا . والسلام عليكم ورحمة الله . . . والحمد لله رب العالمين .

«كتب في دار سلطانية سنة ٨٣٤هـ . التوقيع»

١١ ـ «طاهر بن رضي الدين» :

ولد سنة ٨٢١هـ . في دار سلطانية . أقام في أول عهده في قلاع الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام وكان يشرف فيها على شؤون أتباعه ، وينظم أمورهم .

من دعاته العلاَّمة الكبير شهاب الدين أبو فراس صاحب المؤلفات الفلسفية العديدة والمدفون في قلعة «المينقة» إحدى قلاع الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام .

لم تستمر إقامته في قلاع الدعوة ، بل غادرها إلى شيراز حيث عمل على رأب الصدع ، ولم الشمل . توفي سنة ٨٦٨هـ . في شيراز ودفن فيها .

١٢ ـ «رضي الدين بن طاهر» :

هو الإبن الأكبر للإمام طاهر الأول . ولد سنة ٨٥٧هـ . في بلدة دار سلطانية الفارسية . في عهده ازدهرت الدعوة في مجال العلم والثقافة والدعاية ، ونشط الدعاة إلى العمل لإدخال الطوائف والفرق في العقيدة ، وكان اهتمامه موجهاً إلى نواحي الهند المأهولة بالمسلمين وإلى بدخشان ، ولهذا فإنه وجَّه الدعاة وحملهم التعاليم والأفكار الإسماعيلية .

في عهده اشتد الضغط على الإسماعيليين في بلاد فارس من قبل الأسرة الصفوية الحاكمة ، فكانوا يطلبون الإمام في كل مكان وغايتهم قتله ، وهذا ما جعله يسرع بالتخفي والتنقل بسرية تامة حتى لا يقع بين أيدي أعدائه من الشيعة الإثني عشرية .

توفي سنة ٩١٦هـ . في دار سلطانية ودفن فيها .

١٣ ـ «طاهر شاه الحسيني الدكني» :

لا نستطيع ونحن نتحدث عن الإسلام والإمامة والفرق الشيعية وتاريخها إلاّ أن نأتي ولو بلمحة وجيزة عن أحد أعلام الإسماعيلية النزارية ، ممن لعبوا دوراً مهماً على مسرح السياسة والفكر إنه إمام كبير متميز يتحدر من بيت عريق سبق له أن أنتج رجالاً أعلاماً كانوا سبَّاقين ، ومتفوقين .

يكاد يكون تاريخ طاهر شاه الدكني كما ورد اسمه في المصادر الهندية والفارسية مجهولاً في التاريخ العربي ، وقد يكون مجهولاً في المصادر الإسماعيلية النزارية ، والذي أرجحه أن آثاره وأخباره قد ضاعت كما ضاع غيرها من الكتب والمخلفات الثمينة للإسماعيلية في الظروف الإستثنائية المختلفة وكان علينا ونحن أمام هذا الواقع تقصِّي الحقائق التاريخية ، ومراجعة المصادر الأخرى القيِّمة وخاصة الهندية منها وقد حفلت بلمحات

عن تاريخ حياة هذه الشخصية الفذة التي كان لها أثرها في مجال السياسة الإسلامية في الهند، فضلاً عن أنها استطاعت أن تجد لنفسها مركزاً مرموقاً في بلاد الهند عندما لجأت إليها هرباً من ملوك إيران دون أن يحمل معه إلاَّ أفكاره وشجاعته وعبقريته.

حدث في عام ٩٣٧هـ. حادث فريد من نوعه في التاريخ الهندي... حادث لم يلبث أن صار مدعاة للتعجب في الأوساط الاجتماعية والسياسية، وهذا الحادث يعرفه كل من قرأ بإمعان تاريخ الهند، واطلع على فصوله وأبوابه، ففي تلك السنة بالذات، أعلن الملك برهان الدين نظام شاه الدكني الذي تسلَّم الملك صغيراً من أحمد نظام شاه، ثم عمل على فصل دولته عن مملكة بهادور شاه في كجرات، فصارت دولة إسلامية بكل ما في هذه الكلمة من معنى ومقرها «أحمد نكر ـ الهند».

هذا الملك أعلن فجأة عن أن المذهب الإسماعيلي هو دين الدولة الرسمي، وقد هزَّ هذا الحادث أرجاء المملكة، وأثار حفيظة الكثيرين من المؤرخين ورجال البلاط لمعرفة الدوافع والأسباب التي أدَّت إلى هذا الإجراء الجريء، والإنقلاب اليقيني العقلي المفاجىء، وفي الحقيقة فإن العواطف الدينية لم تكن هي الدافع الرئيسي لهذا الحدث الكبير، ولكن ظهر خيراً أن هناك إعتبارات فكرية وسياسية أدَّت إلى ذلك أهمها: وجود مهاجر فارسي الأصل غامض الشخصية عظيم الأهمية، أنيق المظهر، طلق اللسان، على جانب كبير من المعرفة بالفلسفة والطب والسياسة... هذا الرجل تمكن من الوصول إلى بلاط الملك والتحدث إليه، فاتخذه لأول وهلة صديقاً ومستشاراً وأخيراً وزيراً... هذا الرجل هو الذي أثَّر في الملك وجعله يتحوَّل عن مذهبه إزاء البيِّنات الدامغة، والأفكار القويمة الساحرة التي كان ينطق بها، ولعله من المفيد أن نذكر: أن هذا المهاجر هو الإمام طاهر شاه الحسيني الذي ينحدر من أسرة نزار الفاطمي.

ومهما يكن من أمر فإن دراسة تاريخ حياة هذا المهاجر العظيم من كافة النواحي تفيض بالفوائد بالرغم من صعوبتها، وفقدان المصادر التاريخية التي ضاعت في طيّات الزمن، من جهة ثانية ولأن طاهر الحسيني هذا يعتبر الممثل الشرعي للإمامة الإسماعيلية النزارية في بلاد فارس وقلاع الدعوة ببلاد الشام، وهذه الدعوة هي التي كانت قائمة في «ألموت» ببلاد فارس، وبعد سقوط تلك الدولة استوطنت قرية «خوند» أمَّا سلالة طاهر فبعد هجرتها إلى الهند مارست نشاطها الإمامي ثم غابت عن المسرح سنة ١٢١٠هـ. ولا يمكن تحديد وجودها الآن، والله وحده أعلم بها.

ذكر طاهر شاه في عدد كبير من كتب التاريخ وسير ملوك الهند المسلمين، وأكثرها لخَّصت أعماله في مجال السياسة والتعليم والتأليف، ولكن كما سبق وذكرنا فإن آثاره العلمية والأدبية قد ضاعت كما ضاعت مخلفات أسلافه وأفراد أسرته الإمامية.

إن أهمّ مصدر تاريخي يمكن الإعتماد عليه عند بحث حياة الإمام طاهر شاه هو تاريخ «فيريشتا» الذي ذكر مؤلفه طاهر شاه، وكيفية مغادرته قريته «خونَد» في مقاطعة مازندران في بلاد فارس إلى بلدة «أحمد نكر» الهندية. ومن المؤكد أنه كان صغيراً عندما غادر إيران وأن وصوله كان قبل وفاة ملك المملكة بعشرة أو بخمسة عشر عاماً، فقد ظهر فيما بعد أن الكثيرين من أسرة طاهر كانوا يحظون بعطف الأسرة المالكة في «أحمد نكر» وأن العلاقة بين الأسرتين كانت ودية ومتينة، وأنها استمرت فترة طويلة.

يقول تاريخ «فيريشتا»:

بعد سقوط دولة «ألموت» بيد هولاكو، جاءت أسرة طاهر شاه وسكنت قرية «خوند» الواقعة في مقاطعة قزوين على حدود جيلان،

وهذا بعد خروجها إلى أذربيجان ثم عودتها ، وقد ثبت أن هذه القرية غير موجودة الآن ، أو ربما تكون المنطقة كلها قد تغيرت تماماً أو عفت آثارها ، ولا ندري فيما إذا كانت القرية المذكورة هي نفسها الواقعة إلى الجهة الجنوبية الشرقية من زنجان . ومهما يكن من أمر . . . فإن جميع المصادر تجمع على أن طاهر شاه قد غادر فعلاً فارس إلى الهند مع أسرته بعد أن تعرض إلى ضغط من قبل الشاه إسماعيل الصفوي ملك فارس الذي اعتبره خطراً على أمن الدولة .

وهناك ما يشير إلى أن أقطاب البلاد وعظماءها في فارس ، كانوا ينظرون إليه وإلى أسرته نظرات الإحترام والإعجاب والتقديس بالنظر لما تملكه الأسرة من سمعة طيبة وعراقة في النسب وحب لعمل الخير ، وانجراف في مجال التربية والعلم والدين والنبل والكرم والأخلاق . أمَّا الإمام طاهر نفسه فكان موهوباً فوق العادة ، وعلى جانب كبير من الذكاء والعبقرية والرجولة ، وشهد له كل من عرفه بالتفوق على كل أسلافه في كافة المجالات ، وحاز شهرة واسعة لم يحصل عليها أحد قبله ، وكل هذا كان من الأسباب التي أثارت الغيرة في نفس الملك إسماعيل رئيس الدولة الجديد ، وهو الذي كان يطمح إلى سيادة روحية كالتي يحتلها طاهر شاه ، بالإضافة إلى السيادة الزمنية ، فبدأ يشعر بخوف على الملك من هذا الرجل الذي ملك القلوب ، وأثّر في الأفكار ، وجعل رجال البلاط ، وقواد الجيش والأشراف والأغنياء ينحنون أمام عظمته .

ولكن كل هؤلاء لم يستطيعوا الوقوف في وجه أوامر الملك الصفوي العليا التي قضت بإبعاد طاهر شاه إلى إحدى المقاطعات الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية وهي «كاشان» حيث أسندت إليه مهمة التدريس وإلقاء المحاضرات في الكليات المشهورة في ذلك العهد ، فذهب وفي خلال مدة قصيرة تمكن من اجتذاب كافة الطلاَّب ، بل ربما كان قد أصبح مثلهم الأعلى ، ومعلمهم الكامل ، وإمامهم الذي يقتدون به ، فكان هذا من

الأسباب التي جعلت الحسد يدب في قلوب الأساتذة الآخرين ، فأرسلوا تقريراً إلى الملك يتهمون فيه طاهر شاه بميول هرطوقية ، واتصالات مريبة مع بلاطات الملوك الأجانب ، فأصدر الملك عندئذ أمره بإعدامه ، ولكن أصدقاء الملك الصفوي تجمعوا ودخلوا على الملك ونصحوه محذرين بأن كل تدبير من هذا النوع يعرض المملكة إلى الإنهيار .

وفي تلك الأثناء تمكن طاهر شاه وأسرته من مغادرة إيران والذهاب إلى الهند ، ولكنه لم يتمكن من الاستقرار طويلاً ، فعاد ولكنه أنذر بمغادرة البلاد من جديد ، فعاد ثانية سنة ٩٢٦هـ . إلى عاصمة مملكة بيجابور في الهند ، ولكن الحاكم لم يهتم به ، فقرر عندئذ أن يذهب إلى الديار المقدسة في الحجاز ومنها كان ينوي الذهاب إلى قلاع الدعوة في بلاد الشام ، وكان هذا يعرفه ويقدِّر مزاياه ، فأقنعه بالموافقة على البقاء ، وأخذه ثم مهَّد له الإقامة في مدينة أحمد نكر بدلاً من جزيرة العرب التي صمَّم على السكن فيها ، وكل هذا حدث سنة ٩٢٨هـ .

ومِمَّا يجدر ذكره أن مؤلف تاريخ فيرشتا ذكر عن قصة مداواة الإمام طاهر للأمير عبد القادر بن الشاه الصغير وشفائه من المرض الخطير الذي أصيب به وهذا يعطي الدليل بأنه كان يتقن أيضاً مهنة الطب ، هذا بالإضافة إلى قوة شخصيته وتأثيره على السامعين ببيانه الساحر وحجته القوية .

أمضى الإمام طاهر شاه كما هو مذكور في المصادر التاريخية الهندية ستة عشر عاماً في بلدة أحمد نكر وفي خلال تلك المدة احتلَّ منصباً مهماً في السلك الدبلوماسي ، وكان جميع أفراد المملكة وأعيانها يجلونه ويحترمونه ، ويقدرون مزاياه . أمَّا الملك فكان يؤثره ، ويقدم إليه الهدايا النفيسة والأوسمة الثمينة ، وبالرغم من مشاغله السياسية الكثيرة ، فإنه كان يلقي المحاضرات في النوادي والجمعيات ، وكان من أبرع المتكلمين وأعلمهم .

مـات الإمـام طاهـر سنة ٩٦٧هـ . في أورنك آباد ، ونقل جثـمـانه إلى كربلاء . أمَّا ولادته فكانت سنة ٨٩٨هـ . .

للإمـام طاهر عـدداً من المؤلفـات والمقـالات ، منهـا : ديوانه الشعـري ، ومجـمـوعة من المقـالات بمواضيع مـختلفة ، وكتـاب فيـه شـرح لبعض النظريات الفـقهية الجعفرية ، وكتاب في الفقه الشيعي عـامة ، وكتاب في التعليق على تفسير البيضاوي للقرآن ، وكتاب فيه آراء ومقـالات وإشارات ومحاكمات للمجسطي ، وكتاب الشفاء والمطول ، وكتاب «قلشداني راز» وتحفة شـاهي ، ورسالة بلاكي التي ألّفـهـا وهو في طريق السـفر ، وهناك شرح التهذيب ، ومقالة في آداب اللغة الفارسية ، ورسالة دار المعاد . . . هذا ولطاهر شاه مؤلفات غير هذه يرجح أنها لا تزال في مكتبة الأسرة .

مات طاهر شاه عن أربعة أولاد وثلاث بنات . أمَّا الأولاد فهم : حيدر شـاه ، ورفاع الـدين شاه ، وأبو الحسن شـاه ، وأبو طالب شـاه ، وجميعهم كانوا يحتلون مناصب عليا في مملكة برهان نظام الدين ، وعادل شاه .

كـان الإمام طاهر على اتصال مستمر بأتباعه الإسماعيليين في قلاع الدعوة ببلاد الشام ويدل على ذلك هذا الكتاب المرسل منه إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الذي سبَّحت بحمده ألسن الكائنات ، ونطقـت باسمه أفواه الممكنات ، وأخبرت بكمـال ألـوهيته شفـاه المبدعات ، وشهـدت بجلال وحـدانيتـه ذوات الموجـودات . والصـلاة والسـلام على أشـرف الذوات العـارفات ، وألطف النفـوس الظاهرات ، محـمد المنعوت بأطهر الأخلاق الزاكيات ، المبعوث إلى سائر الخلائق وكافة البريات ، المؤيد من السابق ، وما تلاه من الحدود العلويات ، وعلى أساس دينه وحجته على العالمين «علي» الهادي إلى سبل النجاة ، والمرشد إلى نهج الحياة ، وعلى من جاء بعده من الأئمة والحجج والدعاة .

وبعد . . . فهذا عهد وميثاق من عبد الله وحجته ووليه ـ طاهر ـ يبعثه للأبناء في نهج السداد ، وطريق الرشاد ، المؤمنين والمؤمنات ، المحبين والمحبوبات ، أبناء الدعوة الإسماعيلية النزارية القاطنين في جزيرة الشام ، وما جاورها من البلدان ، مقروناً بالسلام والبركات ، ويرسلها نفحة يفوح منها طيب نسيم الوداد ، ولاعج الشوق ، وصفو المحبة وصدق الإعتقاد

ومنه :

لتكن كلمتكم واحدة ، وليصل منكم الغني الفقير ، ويعين القوي الضعيف ، حتى تعم بينكم المساواة ، وتسود لديكم المفاداة في سبيل الله ، وانزعوا من بينكم الاستئثار والعداوة والبغضاء وكل ما يؤخر سيركم في طريق النجاح والنجاة ، وأقبلوا على ما يرد عليكم من أوامر الحضرة العلية القدسية من الكناية والتصريح . فإني عليكم مشغف ، وبالإخلاص لكم نصيح .

أطيعوا أوامر الدعاة ، واسمعوا إليهم في طاعة ووقار ، وقولوا الحمد لله الذي أطلع شمس التوحيد في أفق سماء الإيمان ، وأنار قمر التنزيل في غسق سويداء الجنان ، وأمطر أرض الإخلاص بأنوار الإتقان ، ونورنا من الحقائق بضياء العرفان . والصلاة على نبيه محمد المصطفى الذي اصطفاه الله من أبناء نزار بن عدنان ، وأرسله إلى كافة الأنس والجان ، وأطلق لسانه في ميدان البيان ، وأيده بالحجة والبرهان . . . وعلى وليه «علي» سيد الأئمة ، وعلى الحجج والأبواب والدعاة والمستجيبين في السر والإعلان ، وعلى التابعين إلى يوم الدين بإحسان .

كتب في أحمد نكر سنة ٩٣٧هـ .

١٤ ـ «حيدر بن طاهر» :

ولد في مدينة أحمد نكر سنة ٩٣٥هـ . كان دعاته ينشطون في كل

مكان حتى في إيران وقلاع الدعوة في بلاد الشام، وقد ازدهرت الدعوة في عهده ازدهاراً قوياً.

ذهب أكثر من مرة إلى إيران، بناء على دعوة الملوك الصفويين وذلك بعد تلك الجفوة الكبيرة، وكان من أثر ذلك أن عهدوا إليه برتبة ممثل إيران لدى عموم الإمارات الإسلامية في الهند، وقد ظلَّ يشغل هذا المنصب حتى وفاته سنة ٩٤٤هـ. في أورنك آباد، بعد أن أوصى إلى ولده صدر الدين بالإمامة.

لعب دوراً بارزاً في سياسة الهند الإسلامية، وكان مقرباً من بلاطات الملوك المسلمين ومحترماً لديهم، وكانت إسماعيلية بلاد الشام على اتصال به.

١٥ ـ «صدر الدين بن حيدر»:

ولد سنة ٩٧٧هـ. في بلدة أورنك آباد. كان على جانب كبير من العلم والفضل وقد استطاع أن يحذوَ حذوَ والده، ففرض احترامه على الملوك والأمراء المسلمين، ووطّد علاقاته معهم، كما أن ملوك الصفويين ظلوا على علاقتهم به، فأوكلوا إليه بعد وفاة والده منصب سفير إيران لدى مملكة الدكن.

كانت الوفود الإسماعيلية من إيران وبلاد الشام يزورونه حاملين إليه أموال الزكاة.

توفي سنة ١٠٣٢هـ. ودفن في أورنك آباد.

١٦ ـ «معين الدين بن صدر الدين»:

ولد في بلدة أحمد نكر سنة ١٠٠٣هـ. أجمعت المصادر على أنه كان على جانب كبير من العلم والأدب والفلسفة، وأنه بعث في الدعوة نشاطا دينياً مكثفاً، ولم تذكر المصادر أنه تولّى أي منصب سياسي كأسلافه.

كان أتباعه في الهند خاصة يتمتعون بمكانة محترمة ، وقد كانت الوفود تأتي لزيارته للتزود من إرشاداته وعلومه .

ذكر أن له مؤلفات عديدة ، ولكن لم نتمكن من العثور على أي منها .

توفي في أحمد نكر سنة ١٠٥٤هـ . ودفن فيها .

١٧ ـ «عطية الله بن معين الدين» :

ولد في مدينة أحمد نكر سنة ١٠٢٧هـ . اسمه عطية الله بالعربية ، وفي اللغة الفارسية «خداي بخش» .

أقام فترة طويلة في مقاطعة بدخشان الأفغانية . له مؤلفات باللغة الفارسية يحتفظ بها أتباعه في بدخشان .

اتصاله بأتباعه الإسماعيليين ببلاد الشام كان مستمراً .

مات في بدخشان ودفن فيها سنة ١٠٥٩هـ .

١٨ ـ «عزيز بن عطية الله» :

ولد سنة ١٠٥٤هـ . في بلدة أحمد نكر . كان يلقب بالخداوند عزيز شاه . شهرته وصلت إلى كل مكان . وكان يتنقل بين إيران وأفغانستان وقلاع الدعوة في بلاد الشام لتنظيم الدعوة والإشراف على الدعاة .

كان على اتصال مستمر بأتباعه في بلاد الشام ، وما يزالون يحتفظون بأحد أوامره الإمامية وهو الذي ننشره الآن . ويوجد له كتاب آخر في إحدى المكتبات الخاصة في بلاد الشام عنوانه «مذكرات الخداوند عزيز شاه» ، وقد سعى المستشرق إيفانوف للحصول عليه ، ولكنه لم يوفق ، وفي هذه المذكرات نواحي تاريخية مهمة .

توفي هذا الإمام في أورنك آباد سنة ١١٠٣هـ .

وهذا أحد أوامره كما ورد في أحد المخطوطات :

بسم الله الرحمن الرحيم

والهداية من عند الله العزيز العليم . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ، وتوجهت إليه حامداً شاكراً ، وإن كان لا يحيط علمي بما يوجب أن يحمد عليه ، ولا يطيق لساني في بيان المحامد التي ترجع إليه ، فلا علم لي منه إلاّ ما علمني إياه بعنايته ، ولا أخلع عليه إلاّ نعوت الخير وصفات الكمال .

اللهمَّ اهدني واهد قومي باقتفاء آثار نبينا وسيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلم الناطق بلسان الوحي والتنزيل ، ووصيه علي مؤسس الدين المتين ، والتأويل المكين .

وبعد هذا كتاب من عبد الله الإمام عزيز شاه الحسيني إلى عباد الله الإسماعيليين النزاريين المخلصين ، الذين خصهم الله بين البرية باعتناق العروة الوثقى ، وأيدهم باتباعه كلمات الله العليا ، أولئك عليهم الرحمة والزلفى .

أيها المؤمنون . . . السالكون القاطنون في جبال البهراء ، وقلاع الدعوة في مصياف والخوابي والكهف وقدموس والعليقة والمينقة وجبال عكار وحلب وحمص والشام زادكم الله منعة ومحبة وتسليماً .

اعلموا هداكم الله . . . أن خاطري عندكم ، يرغب بإصلاح أحوالكم ، وحال كل مؤمن ومؤمنة ، وقلبي متوجه إليكم شاهداً كان أم غائباً . فمن كان منكم لاحقاً بالإمام ، وباق على العهد فأسأل له الرحمة والرضوان ، ومن كان منكم متشكّكاً فأسألُ له الهداية والعرفان .

أيها المؤمنون . . . آمنوا بالله ، وبما جاء من عند الله ، وبما أنزل عليكم من السور والآيات والشرائع ، وتخلقوا بأخلاق الأمناء ، وتوسلوا بشفاعة محمد وآله ، وإياكم والغرور بزخارف الدنيا وقشورها ، والتواني عن عزيمة

نيل الآخـرة ومـسـراتهـا ، واتقـوا الله وتجنبـوا هفـوات الكلام ، وحب الشهـوات ، وشرب الخمور ، وأكل الحرام ، واقبلوا على نيل العبادات ، والقيام ، والصيام ، وحبوا بعضكم بعضاً ، وأطيعوا ما يأمركم به الدعاة والأبواب ، ثم لا تفزعوا عند أهوال الدنيا وشدائدها ، ولا تفرحوا بمكائد عالم الزور وفوائدها ، فإن كل مصيبة تصيبكم تحث عنكم سيئة ، وكل فرحة تدرككم من لذات الدنيا تحيطكم من حسنة ، والله تعالى قد نهاكم عن هذين في كلامه المجيد ، وهو على كل شيء قدير . والحمد لله رب العالمين .

كتب في بلدة أحمد نكر سنة ١١٠٥هـ .

١٩ ـ «معين الدين الثاني بن عزيز» :

ولد سنة ١٠٨٧هـ . في أورنك آباد . عمل في الأمور السياسية وتولّى مناصب مهمة في دولة حيدر آباد بالهند ، ولم يتوان عن تحقيق المشاريع الخيرية كالمدارس ، والمصحات والتكايا والمساجد ، ولم ينس أتباعه الإسماعيليين النزاريين من عطفه ومحبته وخاصة أبناء قلاع الدعوة في الشام .

توفي في بلدة أورنك آباد سنة ١١٢٧هـ .

٢٠ ـ «محمد معين الدين الثاني» :

ولد سنة ١١١٣هـ . في أورنك آباد . لقبه «الأمير المشرَّف» . في عصره ازدهرت الدعوة ازدهاراً منقطع النظير ، وانتظمت انتظاماً دقيقاً ، وفي عهده وضع أحد الدعاة كتاب «لمعات الطاهرين» وأهداه إليه ، ويتألف من /١١٦/ لمعة ، وهو باللغة الفارسية .

يحتفظ إسماعيلية بلاد الشام بأمر إمامي مرسل منه . كان له أخ إسمه الأمير لطف الله هاجر من أورنك آباد إلى جنكلبي ومنها إلى ميسور ثم

إلى منكرور ثم إلى ميرور وإلى أركات . وكان له ولد اسمه السيد علي وهو غير ولي العهد حيدر .

توفي في أورنك آباد سنة ١١٧٨هـ . ودفن فيها . وهذا هو التعميم :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ إني وجهت وجهي إلى القبلة المحمدية ، والأركان الهاشمية ، والكعبة القرشية ، والمحاريب الفاطمية ، والشموس اللاهوتية ، والأئمة الإسماعيلية ، والشجرة المباركة اللاَّشرقية ولا غربية ، لافوقية ، ولا تحتية ، لاسماوية ، ولا أرضية . على ملة أبينا إبراهيم الخليل ، ودين محمد العظيم الذي هو منهاج المؤمنين ، ومذهب أبونا جعفر الصادق حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين .

ومنه :

ولا تنسوا الإقتداء بإمام عصركم وزمانكم الحاضر الموجود حجة الله على خلقه .

والحمد لله رب العالمين .

٢١ ـ «حيدر بن محمد» :

ولد سنة ١١٥٨هـ . في أورنك آباد . . . تسلّم منصباً مهماً في السلك الدبلوماسي في مقاطعة «دكن» وفي عهده كان النشاط عظيماً ومثمراً وخاصة في إيران وبلاد الشام وبدخشان والعراق ، وقد ازداد إقبال الناس على الإنتساب إلى الدعوة .

لم ينجب الإمام حيدر من الذكور سوى «محمد» و«المظفَّر» .

توفي في أورنك آباد سنة ١٢٠١هـ . ودفن في مدينة أحمد نكر بناءً على وصيته .

٢٢ ـ «محمد بن حيدر» «الأمير محمد الباقر» :

ولد في أورنك آباد سنة ١١٧٩هـ . لقبه «أمير محمد الباقر» . هو آخر إمام من أسرة مؤمن شاه . اشتهر في الهند بعلاقاته الطيبة مع الممالك والمقاطعات الإسلامية ، وقد قاد الحملات للدفاع عن الهند ضد الاستعمار البريطاني . في عهده توقفت الفرقة المؤمنية عن النهج الإمامي ، والأسباب عديدة ، والعوامل أكثر من أن تحصى ، وبعد غيابه رفض أتباعه الإعتراف بالشجرة القاسمية الآغاخانية التي ظهرت على المسرح الإمامي وظلت واقفة تقول بإمام مستور كبقية الفرق الشيعية . كان على علاقة وثيقة مع إسماعيلية بلاد الشام ، وتحتفظ الإسماعيلية بآخر كتاب أرسل منه إلى أتباعه في قلاع الدعوة وهذا هو بنصه الكامل :

«كتاب مرسل من الحضرة العلية» .

هو العلي العظيم ، هو العليم الخبير ، هو السميع البصير . واذكر ربك إذا نسيت واذكر ربك في القرآن . قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون . حسبي الله نعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير . بحق من رفع عباده بعضهم فوق بعض درجات ، ورحمة ربك خير مِمَّا يجمعون . ولله ما في السموات والأرض ، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله على كل شيء قدير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي سبَّح كل شيء بلسانه ، ونظم لآلىء توحيده ببيانه ، وأبان محمد فضله وأنعامه ، وهو كل يوم في شأن ، رفع السماء ، وخفض الغبراء ، وأزهر البساتين بالنرجس الأصفر ، والورد الأحمر ، يسبح الرعد بحمده وشوقه ، ويحمل السحاب المطر المدرار بأمره ، وتضطرب له المياه في سلاسل الأمواج ، ويطلب الفلك في سراجه الوهَّاج ، تخطب

باسمه العنادل على قضبان منابر الأشجار ، وتذكره الرياح بلسان أوراق الأغصان . فهو الذي فضَّل رسوله محمد على سائر الأنبياء وشرَّف عترته على قاطبة الأتقياء .

وبعد . . . فهذه شمامة التحية من الأمير محمد الباقر لتطيب مشام قدوة المعتقدين ، خيرة المحبين ، زبدة الراسخين ، وعمدة المريدين ، سيوف دعوتنا ، ومورد لطفنا وأفضالنا «الشيخ سليمان بن حيدر» وجميع المشائخ والأمراء والأجناد في مصياف وقدموس والخوابي وما جاورهم ، وكافة الأنسيين وعامة المؤمنين . ثبتكم الله على الصراط المستقيم ، وأنعم عليكم بنعم الدارين إلى يوم الدين آمين .

وصل إليَّ كتابكم من يد حاج عبد الله[1] ، وحاج علي ، وحاج أحمد في تاريخ خمسة من شهر شعبان سنة عشرة بعد المائتين والألف هجرية ، على صاحبها أفضل السلام والتحية ، وقد تعطَّر مشامنا بطيب المضامين الطيبة ، وشرح صدورنا بإدراك المعاني المشرقة ، وسبَّح بحمده حيتان الإخلاص والوداد ، وتموج فيه أمواج العقيدة والسداد . عباراته متينة ، ومعانيه رفيعة ، فلا زال من المحبين ، وصول هذه النمائق على هذه الطرائق بحرمة النبي خير الخلائق . بارك الله لنا وإياكم إلى يوم الدين ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، ونعم المولى ، ونعم النصير .

«حرر في تاريخ أحد عشر من شهر رمضان سنة عشرة ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية . . . آمين» .

---

(١) هؤلاء دعاة تشرفوا بمقابلته وتقديم أموال الزكاة من الإسماعيلية النزارية ببلاد الشام وهم : حاج عبدالله حيدر ، وحاج علي سلهب ، وحاج أحمد بن قاسم أحمد وثلاثتهم من بلدة القدموس .

ملاحظات :

من الثابت أن هذه الأسرة الإمامية الفاطمية عندما هاجرت من بلاد فارس إلى الهند نزلت في بلاد إسلامية وعملت في سبيل القضية الإسلامية ، وكانت هي الأسرة الوحيدة التي ظلّت ما يقارب الخمسمائة عام أي من حين خراب دولة ألموت على يد التتر حتى عهد الإمام محمد الباقر على علاقة وثيقة مع إسماعيلية بلاد الشام ، إذن لم يكن هناك أسرة ثانية تنازعها السيادة . ومن جهة ثانية فقد حملت لواء الدعوة الإسلامية لمقاومة الاستعمار البريطاني في الهند ، أمَّا أسباب الإنقطاع فكما ذكرنا بأن الأحداث التي ثارت وعصفت بإسماعيلية قلاع الدعوة ببلاد الشام واضطرتهم لهجرة أوطانهم مدة إثني عشر عاماً هي من أهم العوامل ، وكانت هناك قصة انتقال الأسرة إلى مقاطعة أخرى ، وعدم إمكان إجراء أي اتصال حيث إن الأسرة كان محظور عليها القيام بأي اتصال خارجي . إن هناك أكثر من إشارة عن وجود الأسرة في إحدى المقاطعات الهندية .

«أئمة النزارية الإسماعيلية الآغاخانية»

«نزار بن المستنصر بالله» :

راجع نزار بن المستنصر في أئمة النزارية المؤمنية رقم «١» .

«هادي» :

ولد سنة ٤٧٧هـ . نصب إماماً في ألموت سنة ٤٩٠هـ . بعد أن هبط حسن بن الصباح البلاد المصرية وأخذه إلى إيران . هو أحد أولاد الإمام نزار بن المستنصر بالله . كان صغيراً عندما أخذه الصباح إلى إيران . في عهده تمَّ تنظيم الفدائية والجيش الإسماعيلي ، وإعدادها للحرب ، كما نظمت الدعوة تنظيماً لم يسبق له مثيل . كان يقيم في قلعة «لامستر» .

لقب حسن الصباح في عهده بشيخ الجبل ، وقد قتل الوزير السلجوقي

نظام الملك بيد أحد الفدائية بعد أن قام بأعمال شاذة ضد الإسماعيليين ، وعلى أثر ذلك جرَّد ملك السلجوقيين حملة كبرى وجاء بها لمهاجمة القلاع الإسماعيلية ، ولكنه مات فجأة ، ممَّا اضطرَّ الجيش إلى الرجوع بعد أن منيَ بخسائر فادحة . توفي في قلعة لامستر ، ودفن فيها سنة ٥١٨هـ .

«مهتدي» :

ولد سنة ٥٠٣هـ . تسلَّم شؤون الإمامة سنة ٥٣٠هـ . هو الإبن الأكبر للإمام الهادي كان يعيش حياة الزهد والتقشف ، ولكن قائد جيوشه محمد كيابزرك تسلَّم شؤون الدعوة فعمَّر القلاع والحصون ، ونظَّم الجيوش العسكرية تنظيماً متقناً .

في عهده أرسل الخليفة العباسي الراشد لقتال الإسماعيليين ، ولكنه قتل قبل أن يتمكن من تنفيذ مؤامرته ، ممَّا اضطرَّ الجيش إلى التراجع . في عهده مات القائد «كيا بزرك أميد» وتسلَّم إبنه مكانه . توفي في قلعة لامستر سنة ٥٥٢هـ .

«قاهر» :

ولد سنة ٥٣٢هـ . تولَّى الإمامة سنة ٥٥٢هـ . وقام بشؤون الجيش وقيادته «حسن بن محمد بن كيا بزرك» ولكنه لم يلبث أن ادَّعى الإمامة لنفسه ، ولكن والده قاوم هذا الإدِّعاء بشدة وجهَّز جيشاً لمحاربته ، وقد تمكن من قتل كافة الزعماء الذين أيَّدوه . وأخيراً : أعلن الطاعة وجهَّز الجيوش لإخضاع القلاع التي كانت قد أعلنت العصيان ، وعندما سقطت جميعها وأعلن حسن التوبة والتسليم ، بدأت الإحتفالات العامة ، وجاء الإسماعيليون من كل مكان يعلنون الطاعة والبيعة .

في عهده عمَّ الاضطراب جميع الأنحاء ، ويسمَّى ذلك العهد عهد طوائف الملوك . كان على جانب كبير من بُعد النظر ، وفي عهده بلغت الدعوة شأواً كبيراً في مجال التنظيم الاجتماعي والثقافي والتجاري والزراعي .

توفي سنة ٥٥٧هـ . ودفن في قلعة «ألموت» .

«حسن على ذكره السلام» :

ولد سنة ٥٣٧هـ . وتولّى الإمامة سنة ٥٥٧هـ . كان متضلعاً بالفلسفة والمنطق وعلم التأويل .

ظهرت في عهده اضطرابات عنيفة ، وظهرت فرقة معادية ، ولكن تمكن من القضاء عليها بسرعة .

بعض أتباعه المنشقين تمكنوا من استمالة «حسن بن نافور» شقيق زوجته فأطمعوه بالمال ودفعوه لقتله ، وبالفعل نفَّذ المؤامرة في ٦ ربيع الأول سنة ٥٦١هـ . في قلعة لامستر وطعنه بخنجر حتى مات .

زوجته من أسرة بني بويه الشيعة الإثني عشرية .

قامت الثورات الداخلية ضده ولكنه تمكن من الإستيلاء على أكثر من قلعة وحصن وأخيراً تمكن من استرجاعهم وإخضاع الثائرين .

«أعلى محمد» :

ولد سنة ٥٥٧هـ . وجلس على مقعد الإمامة سنة ٥٦١هـ . كان أول عمل قام به إعدام قاتل والده . أي خاله .

كان مثل والده عالماً وفقيهاً ، وقد واجه اضطرابات داخلية وإنقسامات خطيرة ولكنه تغلب عليها بحنكته وحسن إدارته .

يعتبر عهده من العهود الزاهرة . وتوفي في قلعة ألموت ودفن فيها سنة ٦٠٧هـ . كان مغرماً بعقد مجالس المناظرات الدينية بين الدعاة .

«جلال الدين حسن» :

راجع ترجمته في صفحة أئمة المؤمنية النزارية رقم ٤ .

«علاء الدين محمد» :

راجع ترجمته في صفحة أئمة المؤمنية النزارية رقم ٥ .

«ركن الدين خير شاه» :

راجع ترجمته في صفحة أئمة المؤمنية النزارية رقم٦ .

«شمس الدين محمد» :

راجع ترجمته في صفحة أئمة المؤمنية النزارية رقم ٧ .

«قاسم شاه» :

ولد قاسم شاه سنة ٦٩١هـ . وتولّى الإمامة بعد وفاة والده سنة ٧١١هـ . في أذربيجان ، وهو الإبن الثاني للإمام شمس الدين محمد . أخوه الأكبر مؤمن شاه ، والثاني الأصغر كياشاه .

في عهده أرسلت الدعاة إلى كافة الأقطار للدعاية والتبليغ ، من دعاته شمس الدين البزواري ، وكان يتولّى الدعاية في «ملتان» .

عمَّر قاسم شاه قرية باسمه وتعرف بقاسم آباد .

توفي سنة ٧٧٣هـ . وكان له من العمر ستين عاماً . ولم يكن له أي نشاط ديني أو أي اتصال بإسماعيلية بلاد الشام .

«إسلام شاه» :

ولد سنة ٧٥٧هـ . في بلدة قاسم آباد . لقبه إسلام شاه . والدته هي بي بي . من دعاته صدر الدين وولده حسن كبير الدين ، وقد لعبا دوراً مهماً في شؤون التبليغ والدعاية في بلاد الهند ، وفي المناطق التي يقطنها الهندوس .

بلغت الدعوة في عهده درجة كبرى من الإزدهار ، وكان اهتمامه موجهاً نحو الهند خاصة ، وكان مقره في بلدة «بابك» و«كوهك» .

في عهده قام تيمورلنك بحروبه في إيران والبلاد العربية .

اتخذ أتباعه الهندوس الذين أسلموا اسم خوجه، وبدّلوا اسم الداعي وجعلوه «بير» و«مكي» و«كامريا» وهي أسماء هندية.

كان معاصراً للشاعر حافظ شيرازي.

مات سنة ٨٢٩هـ. ودفن في بلدة «كوهك».

«محمد بن إسلام شاه»:

ولد سنة ٧٨١هـ. في بلدة بابك. تولّى شؤون الإمامة سنة ٨٢٧هـ. وكانت الوفود من الهند تأتيه حاملة إليه الأموال والهدايا والزكاة.

في عهده جرى انشقاق كبير في صفوف الدعاة بسبب المناصب، وخرجت جماعات كبيرة من الدعوة وعادت إلى الهندوسية القديمة.

داعيته الأكبر في الهند هو تاج الدين الذي حوَّر وأدخل الكثير من الطقوس الهندية على الدعوة.

أخيراً:

توفي سنة ٨٥٨هـ. ودفن في بلدة بابك.

«مستنصر بالله الثاني»:

ولد سنة ٨٠٦هـ. في بلدة بابك، وتسلّم شؤون الإمامة سنة ٨٢٧هـ. اتخذ من بلدة بابك مقراً.

عاش حياة الترف والبذخ، وفي عهده بلغت الدعوة الذروة وخاصة في بلاد الهند، ولكن لم تذكر المصادر أنه كان له أتباع أو وجود في بلاد الشام والأقطار العربية أو الإسلامية الأخرى.

توفي في بلدة بابك سنة ٨٨٠ ودفن فيها.

«عبد السلام شاه»:

ولد سنة ٨٣٤هـ. وتسلّم شؤون الإمامة سنة ٨٨٠هـ. كان اسمه

محمود ولكن عبد السلام من الألقاب التي غلبت عليه ، وكان قد عرف بحبه للسلام وبالتسامح والحلم .

أرسل الدعاة إلى الهند وإلى كل مكان فيها وقد نجحت في إرساء قواعد الدعوة والتبليغ والإرشاد لدى الهندوس ، وفي تلك الفترة أدخلت تعاليم وطقوس هندية وخاصة في القواعد الأساسية وأسماء الدعاة ومهماتهم . وكل هذا كانت تحاربه إسلام الهند ويقاومونه بعناد .

كان معاصراً للشاه إسماعيل الصفوي الإيراني ، وللشاعر الإسماعيلي خاكي الخراساني .

وأخيراً :

توفي سنة ٨٩٩هـ . ودفن في بلدة بابك .

«غريب ميرزا» :

ولد سنة ٨٤٥هـ . في بلدة بابك الإيرانية .اسمه عباس ، وغريب لقب أطلق عليه . جلس على عرش الإمامة سنة ٨٩٩هـ .

انتقل من بابك إلى أنجدان في بلاد فارس وفي مقاطعة كاشان ، وهي تبعد أربعة وعشرين ميلاً عن بلدة «محلاَّت» .

كان يعيش كالدراويش لهذا لقبوه «غريب ميرزا» كان له أخ يسمّى نور الدين وجَّه اهتمامه للشؤون العمرانية والقلاع في أنجدان .

في عهده كانت الدولة الصفوية تشن حربها بلا هوادة على التركمان ، وكانت الاضطرابات والإنقلابات تظهر يوماً بعد يوم .

توفي سنة ٩٠٢هـ . ودفن في بلدة أنجدان ، وله فيها مزار كبير .

«أبو الذر علي» :

ولد سنة ٨٧٣هـ . في أنجدان ، وجلس على أريكة الإمامة سنة

٩٠٢هـ . ومن الواضح أن اضطرابات كثيرة كانت تعصف بإيران في عهده .

كان يعيش حياة الزهد والتقشف ، أدركه الشاعر الإسماعيلي الكبير خاكي الخراساني . في عهده وجَّه الملوك الصفويين ضغطاً شديداً على الإسماعيليين ، ولكنهم أخيراً تراجعوا وأحلوا الوئام محل الخصام ، وزوَّجوا الإمام أبو الذر فتاةً من الأسرة الملكية كانت تسمَّى «صابرة خاتون» وتمت بصلة نسب إلى السلطان طاهماسب .

لم تذكر المصادر أن لهذا الإمام علاقة أو اتصال بالبلاد العربية وخاصةً في بلاد الشام ، وإنما كانت جهوده وجهود دعاته موجهة إلى بلاد الهند حيث القبائل الهندوسية وغيرها وهي ليست مسلمة .

توفي في بلدة أنجدان سنة ٩٢٥هـ . وله مزار كبير فيها .

«شاه مراد ميرزا» :

ولد سنة ٨٨٤هـ . وتسلَّم شؤون الإمامة سنة ٩٢٥هـ . في بلدان أنجدان . عمل في الشؤون السياسية للدولة الصفوية .

في عهده ازداد تقرب الإسماعيليين من الصفويين ، فأدخلوهم في إدارة وظائف الدولة والجيش . كما نشطت قضايا الوعظ والإرشاد في ملتان والسند وكجرات .

توفي ودفن في أنجدان عند أجداده ، وأصبح قبره مزاراً يؤمه السواح من كل مكان بالنظر لما فيه من التحف الثمينة .

«ذو الفقار علي» :

ولد سنة ٨٩٧هـ . في أنجدان ، وتولَّى شؤون الإمامة سنة ٩٢٠هـ . بعد وفاة والده .

لم يدم حكمه سوى عامين فقط ، وكانوا يطلقون عليه اسم خليل الله ، وقد عمل طيلة العامين على رفع مستوى أتباعه الثقافي والصحي والعمراني .

توفي في أنجدان ودفن فيها سنة ٩٢٧هـ .

«نور الدين شاه» :

ولد سنة ٨٩٣هـ . في أنجدان . تسلّم شؤون الإمامة سنة ٩٢٢هـ . من ألقابه فرد ، حق ، زين ، زمان .

في عهده بلغت الدولة الصفوية أوج القوة . كان الشاعر الكبير خاكي الخراساني ما يزال حياً ، وقد مدحه بقصائد فيها بعض الغلو ، فاعتقله السلطان عباس الصفوي وسجنه حتى مات في سجنه ، وقد ترك هذا الحادث أثراً عميقاً من الأسى في النفوس .

توفي سنة ٩٥٧هـ . ودفن في مقابر أجداده في أنجدان .

«خليل الله علي» :

ولد سنة ٩٣٢هـ . في أنجدان ، وجلس على مقعد الإمامة سنة ٩٥٧هـ . وكان مقرَّه في قرية أنجدان .

في عهده ازداد نشاط الدعاة ، وراج سوق التبليغ والإرشاد والتنظيم ، وكان الداعي الكبير «داؤد» قد ذهب إلى الهند ، وتمكَّن بما يملكه من بلاغة ومنطق من استمالة العديد من القبائل الهندوسية .

توفي سنة ٩٩٣هـ . ودفن في مقبرة أجداده في بلدة أنجدان .

«شاه نزار الثاني» :

ولد سنة ٩٧٢هـ . في أنجدان . وجلوسه على أريكة الخلافة كان سنة ٩٩٣هـ . عمل في حياته على إعادة الصفاء والصداقة مع الصفويين .

وقام بإحداث مشاريع كبرى في إيران كما أنه عمَّر بلدة «كوهك» .

وكانت تأتيه الوفود من بلاد الهند حاملة الهدايا وأموال الزكاة .

في أواخر أيامه اختلف مع الصفويين ، وحدثت بعض اصطدامات بين شرطة الصفويين والإسماعيليين ذهب ضحيتها العديد من الضحايا .

يعتبر عهده من العهود الذهبية بالنسبة للدعوة الإسماعيلية .

مات سنة ١٠٣٨هـ . وله مزار جميل في قرية كوهك الفارسية .

«شاه سيد علي» :

ولد سنة ١٠١٥هـ . في بلدة كوهك . كان جلوسه على كرسي الخلافة في سنة ١٠٣٨هـ .

برز كسياسي لامع ، وتمكن من إدخال أتباعه في سلك الجيش والبوليس والإدارة ومسكنه في بلدة بابك .

عيَّنه الصفويون حاكماً على مقاطعة كرمان . في عهده جلس عبَّاس الصفوي الثاني على أريكة السلطنة ، وكان هنالك خوف على البلاد من الأتراك والأفغانيين . وهذا ما جعل الشاه عباس يهرع للإستعانة برأيه في إدارة أمور الدولة . في عهده وضعت قوانين إصلاحية لإيران ، وانخرط الإسماعيليون في سلك الدولة .

ظلَّ «٣٢» عاماً قائماً بشؤون الإمامة ، وتوفي أخيراً سنة ١٠٧١هـ . في بلدة كرمنشاه .

«حسن علي» :

ولد في بلدة كوهك سنة ١٠٣١هـ . في عهده ازداد التبليغ والإرشاد وهرع الناس إلى الدخول في المذهب وخاصة في الهند .

كان معاصراً للشاه سليمان الصفوي الذي كان يمارس الغطرسة

والإستبداد والضغط وقد جعل قلعة «ألموت» سجناً للسياسيين ، وبعده تسلَّم شؤون الملك «شاه حسين الصفوي» فتقرب من حسن علي وعيَّنه حاكماً على مقاطعة كرمان .

توفي في كرمان سنة ١١٦٤ . ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف بناءً على وصيته في عهده .

استمرَّ الدعاة بغزو الهند وخاصة بلاد الهندوس فحققوا نجاحاً منقطع النظير بإدخالهم في الإسلام .

«قاسم علي» :

ولد سنة ١٠٩٠هـ . في بلدة كوهك ، وتسلَّم شؤون الإمامة سنة ١١٠٦هـ . وقد أصبح من أول يوم مرموقاً ومحترماً لدى الأسرة الصفوية الملكية ، حتى أن الملك لم يكن يبرم أمراً دون اللجوء إلى رأيه .

تسلَّم منصب والده وهو حاكمية مقاطعة كرمان ، ولكن من الواضح أنه في تلك الفترة أخذ التصدع والإنهيار طريقه نحو قلب الدولة الصفوية ، فظهرت الأسرة القاجارية القوية وكانت تتوثب للظهور والحلول مكانها في بلاد فارس .

توفي هذا الإمام سنة ١١٤٣هـ . في كرمان ودفن فيها .

«أبو الحسن علي» :

ولد في كوهك سنة ١١١٥هـ . وجلس على أريكة الإمامة سنة ١١٤٣هـ . مسكنه كان في قرية «قياب» قرب «دركان» .

ازدهرت الدعوة في عهده ، وواصل الدعاة عملهم بنجاح في بلاد الهند بحيث تمكنوا من إدخال أعداد كبيرة من الهندوس بدعوتهم .

في عهده تسلَّم نادر شاه القاجاري شؤون إيران ، وقد قرَّب إليه أبا الحسن وعيَّنه حاكماً على مقاطعة كرمان ، ولكن الحروب اندلعت بعد

فترة فيما بين القاجاريين أنفسهم ، فقام كريم خان وحارب ابن عمِّه على الملك ثم انتصر عليه في نهاية المطاف ، فتسلّم شؤون الملك في إيران ، وازداد عطفه على الإسماعيليين .

لم يلاحظ أو تذكر المصادر بأن نشاط هذا الإمام أو أحد أجداده أو أحفاده قد ظهر في البلاد العربية وخاصة في قلاع الدعوة ببلاد الشام ، ومعنى هذا أن هذه الدعوة كانت خاصة بالهند .

مات سنة ١١٩٣هـ . في كرمان ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف في العراق بناءً على وصيته .

«خليل الله علي» :

تسلّم شؤون الإمامة سنة ١١٩٤هـ . أمّا ولادته فكانت سنة ١١٥٣هـ . في كرمان ، وعندما بلغ سن الرشد تزوّج بإبنة عمِّه ميرزا محمد باقر خان .

كان على جانب كبير من دماثة الأخلاق واللطف وحسن الإدارة ، وقد عيِّن حاكماً عاماً على مقاطعة «محلاّت» .

مما تجدر الإشارة إليه أن شجاراً حصل بينه وبين نواب ميرزا جعفر أحد أفراد الأسرة المالكة ممّا أدّى إلى موته مع بعض رجاله ، وعند حصول هذا الحادث خاف الملك علي فتح القاجاري من انتقام الإسماعيليين ، فقرَّب إبنه وعامله معاملة طيبة ثم زوَّجه فتاة من الأسرة المالكة ومنحه لقب «آغا خان» وكان له من العمر ستة عشر عاماً .

توفي سنة ١٢١٤هـ . ودفن في النجف الأشرف بناءً على وصيته .

هذا ومن الجدير بالذكر أن دعاة هذا الإمام وعلى رأسهم صدر الدين السندي دخل إلى بلاد الهند وصنَّف كتاباً سمَّاه «دسا أوتار» وذكر فيه : أن علياً كان مظهراً للألوهية ، وأنه العاشر من تلك المظاهر ، فتبعه خلق كثير من الهندوس ، ثم صنَّف كتاباً آخر سماه «كناره» ومن أعوانه أيضاً

إمام الدين الحسيني الذي كانت له علاقات مع أحبار الهندوس ، وقد أدخلهم في مذهبه وأجاز لهم لبس شعارهم التقليدي والإبقاء على مراسمهم وطقوسهم وعلمهم أن يقولوا : إن الله سبحانه لا شريك له ، وأن محمداً رسوله ، وأن علياً مظهراً للألوهية برز فيه «كرشنن» وهو أحد أبطال المهابارتا ، وكان كبار الهند من الهندوس قد ألهوه وأقاموا له المعابد . وقال لهم : إن الإمام نائبه ، وحرَّم عليهم أكل اللحوم ، وأسقط فيهم فرائض الإسلام والوضوء وفرض عليهم العشر وله كتاب اسمه «ست ديني» باللغة الكجراتية . وبعد ذلك قدم الهند من إيران «حسن علي بن خليل الله علي» سنة ١٢٥٧ فأقام في بومباي على رأس هذا المذهب الذي لا يزال مستمراً .

«حسن علي شاه» :

ولد في بلدة محلاَّت بفارس سنة ١٢١٩هـ . لقبه آغاخان الأول ، وحسن علي المحلاتي . كان معاصراً للشاه محمد القاجاري ، الذي قتل وحلَّ محله فتح علي شاه ، وهذا الأخير كان على علاقة طيبة مع الإسماعيليين بدليل أنه زوَّج حسن علي كريمته ، ولكن حياته لم تطل فتسلم مكانه «علي محمد شاه» الذي لاحظ أن حسن علي شاه قد أصبح مرموقاً وخطيراً في بلاد إيران ، وهكذا تمكن الحسد في نفسه فاعتبره قد يشكل خطراً عليه ، وعزَّز ذلك مداخلات وزير الداخلية الذي كان يضمر العداء للإمام ، وكل هذا دفع الملك إلى إصدار أمره بإبعاده من بلاد فارس ، فذهب إلى الهند واستقرَّ في كراتشي ينظم شؤون أتباعه ويصلح أحوالهم ويدعوهم إلى مناصرة بريطانيا الدولة التي رحَّبت به ، ووضعت تحت تصرفه كل إمكانياتها .

ممَّا تجدر الإشارة إليه أن هذا الإمام وأسلافه لم يوجهوا دعاتهم إلى بلاد العرب ، وقد يكون سبب ذلك أن أبناء عمومتهم «من نسل مؤمن شاه» هم الذين وجَّهوا اهتمامهم ودعاتهم إلى البلاد العربية والإسلامية كما ذكرنا .

توفي شاه حسن علي سنة ١٢٩٨هـ . في محلة مجكائون أو حسن آباد عن أربعة أولاد هم : آغا علي شاه ، وآغا جهان كيرشاه ، وآغا جنكي شاه ، وآغا جلال شاه ، وكان علي هو ولي العهد .

لهذا الإمام مذكرات لا تزال مخطوطة .

«علي شاه» :

ولد في بلدة محلات الإيرانية سنة ١٢٤٦هـ . والدته هي كريمة فتح علي شاه القاجاري . اشتهر بالرماية ، وصيد الأسود والنمور وقوة الساعد والجرأة . زوجته هي شمس الملوك إبنة ميرزا علي خان الإيرانية الملكية .

أنجب ثلاثة أولاد هم : سلطان محمد شاه ، وشهاب الدين شاه ، ونور شاه . لقب آغاخان الثاني . أمَّا ولي عهده فهو سلطان محمد شاه آغاخان الثالث وأمَّا ولده الثاني فهو شهاب الدين ، وكان عالماً فاضلاً وله عدد من المؤلفات منها كتاب «حقيقة الدين» عمَّر /٣٣/ عاماً ، وتوفي سنة ١٣١٢هـ . في محلة بونا في الهند .

عيّن سفيراً لحكومة إيران في الهند ، وترأس جمعية الاتحاد الإسلامي ، وكانت له مكانة سياسية في الهند وإيران . أمَّا أتباعه فكانوا ينعمون بالإستقرار والحرية والعطف من جميع الناس .

«سلطان محمد شاه ـ آغا خان الثالث» :

شخصية كبرى متميزة لعبت دوراً مهماً على مسرح الحياة العالمي ، فكانت مرموقة ومتوفقة في كل مراحل حياتها ، وبارعة في تمثيل أدوارها . حلقت في الأعالي فوصلت إلى القمم الشاهقة ، وتفيأت أخيراً ظلال المثل العليا ، تحوطها هالة من التقدير والجلال ، وتحجب حقيقتها عن عيون الناس سحابة كثيفة من الغموض أثارت حولها المزاعم ، وجعلتها دائماً وأبداً هدف الناس وشاغلهم وموضع ظنونهم .

كل ما أخشى منه أن لا أحسن التصرف ، وأن تجرفني العواطف فأخرج عن مخطط الباحث وقواعد الأمانة التاريخية ، والإنحدار إلى هوة الطائفية البغضية ، والتعصب الديني الذميم .

وبرأيي أن أحسن تحية يقدمها الباحث أو المؤرخ أي مؤرخ إلى أية شخصية بارزة هي كتابة سيرة حياتها على ضوء الحقيقة والواقع . . . فلعل الشكوك تزول ، والغيوم تنقشع ، وهذا ما عاهدنا أنفسنا عليه . فنحن لا تهمنا الأقوال والتعليقات من أي مصدر جاءت ، بقدر ما يهمنا راحة الضمير وحكم التاريخ .

أجل . . . لم يكن آغاخان الثالث شخصاً عادياً تسهل دراسته أو النفاذ إلى واقعه ، أو الوصول إلى أعماق حياته ، ودقائق أسراره ، ومعرفة خفاياه . . . لم يكن للإسماعيليين وحدهم ، أو للمسلمين فحسب . بل كان للإنسانية جمعاء . . . كان تاريخاً قائماً بذاته ، يعمل للخلود ، ويترفع عن الصغائر ، ويستظل الروحية الخالدة المطلقة ، وذهب إلى الغرب فضرب لهم المثل الأعلى . . . علمهم أن الشرق مهد الحضارات ومهبط العبقريات والإلهام . وقدم لهم البراهين بأنه لا يختلف عن الفلاسفة العالميين ، والمصلحين الأفذاذ ، والقواد العباقرة ، والحكماء الباصرين الذين سبقوا عصرهم ، وتفيأوا الكمال المطلق .

بالأمس . وقبل أن تندلع نار الحرب الكونية الثانية سنة ١٩٣٧م . رأيناه يهرع مدفوعاً بإيمانه إلى برختشادن مقر زعيم ألمانيا هتلر يثنيه عن عزمه ، ويقنعه بالتوقف عن إشعال نار الحرب الثانية ، وعندما خرج من مقره بعد مقابلة طويلة قال للصحفيين : إن هتلر يعمل للسلام ، ولا يريد الحرب وعلى الحلفاء إعطاء ألمانيا حقوقها . . . قال كلمته غير خائف من دول تربطه بها أوثق الروابط . . . . والحقيقة لو أن الحلفاء عملوا بنصيحته انئذ لما وقعت الحرب العالمية الثانية ، ولتغيَّر وجه التاريخ .

وجاءت بريطانيا تعرض عليه عرش العراق . ثم عرش مصر أخيراً عندما غضبوا على الخديوي السابق . . . فقال لهم :

إن من يتربع على عرش قلوب الملايين من الناس ، وفي سويداء قلوبهم يأبى الجلوس على عرش من الخشب . . . وأنا ما لي ولعرش تعصف به الرياح والأنواء كلما تلبدت السماء بالغيوم ، أفي سبيل مال؟ ولدي الشيء الكثير منه . . . أفي سبيل الجاه؟ والجاه لا يأتي عن طريق العروش والتيجان .

كان يقول في كل مرة يلتقي بأتباعه :

علموا أولادكم العلوم العملية ، وأبعدوهم عن العلوم النظرية . فالعالم قادم على إنقلاب خطير في ميدان الإبداع والإختراع .

وأوصى أتباعه عندما أنشأوا مستشفى كبير في نيروبي ـ كينيا ، بأن يجعلوا من المستشفى مصحاً لجميع الناس حتى الزنوج .

لعب دوراً سياسياً كبيراً فكان مندوب الهند في عصبة الأمم ، ورئيساً لهذه العصبة أكثر من مرة .

أيّد انفصال باكستان عن الهند ، ودعمها في المجال الدولي على إعتبار أنها دولة إسلامية ، وبالرغم من كل هذا فقد كان على علاقة طيبة بالمهاتما غاندي ، وكان يقول عنه : إن المهاتما غاندي لم يكن يوماً من الأيام حائلاً دون تفاهم المسلمين والهندوس ، ولسوف يعتريني حزن عميق إذا مات . . . إن غيابه كغياب الشمس عن الأنظار .

ومن أقواله :

يخطىء من يظن أن إهتمامي ينحصر بالسياسة وحدها ، فإن أكثر أوقاتي وأعمقها خلوداً في نفسي هو يوم الجمعة حيث أقضي ككل مسلم في العالم ساعة صلاة وتأمل . وقال :

إنني أؤمن بعظمة الله ، ولسوف يأتي يوم يعم النور كافة القارة الأفريقية ، وذلك حينما تعيش الملل والقبائل والعشائر والشعوب دون أي تمييز .

ولد «سلطان محمد شاه» المعروف بآغاخان الثالث يوم الجمعة ٢ تشرين ثاني سنة ١٨٧٧م في كراتشي ، وعندما بلغ الخامسة من عمره توفي جده «حسن علي شاه» ، وبعد ثلاث سنوات أخرى مات والده علي شاه . وفي هذه السن المبكرة اجتمع رجال دعوته وسلموه شؤون الإمامة باحتفال مهيب . أمَّا والدته فضاعفت السهر على حياته وجاءت إليه بالمربين الإختصاصيين والأساتذة الماهرين الذين عملوا على تدريسه مختلف العلوم والفنون ، وخاصة اللغات الأجنبية والفارسية والعربية .

تزوج في سن العشرين إبنة عمِّه «شاه زاده» وزار الغرب لأول مرة سنة ١٨٩٨م وعندما وصل إلى لندن منح لقب «كوماندر» للأمبراطورية الهندية ، فكان أول هندي نال هذا اللقب .

في تلك الفترة جرى اتصال الإسماعيليين السوريين النزاريين به ، وجاءت الوفود العديدة ولكن بعض الوفود لم ترض به ، وكان طلبهم أن يجتمعوا بإمام من شجرة «مؤمن شاه» لأن هؤلاء الأئمة هم أصحاب السيادة والمعترف عليهم في بلاد الشام منذ خمسمائة عام . وهكذا جرى إنقسام خطير بين الإسماعيليين النزاريين والسوريين كما سبق وذكرنا .

يحمل أرفع الأوسمة من الدول الكبرى والصغرى . وزنه أتباعه في الهند بالماس في الهند ، وبالذهب في نيروبي ـ كينيا ، ووزن بالماس في دار السلام ـ تانزانيا . كما وزن بالبلاتين في كراتشي .

انشأ كرسي للدراسات الإسلامية في هارڤارد بالولايات المتحدة الأميركية ، وساهم بإنشاء جامعة عليكره في الهند ، وأنشأ في الهند الهيئة الإسلامية العامة ، وترأس الوفد الهندي إلى مؤتمر الطاولة المستديرة ،

ورغب إلى الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر بإرسال بعثة إسلامية لتدريس الإسلام في اليابان على شرط أن يقوم بنفقات البعثة .

يجيد اللغات : الإنكليزية والإفرنسية والفارسية والعربية والأوردية .

في سنة ١٩٠٨م تزوج الأميرة الإيطالية «بتريسيا ماغليانو» فأنجبت له الأمير علي خان ، وفي سنة ١٩١٦م توفيت زوجته الإيطالية ، فتزوج من «أندريه كارون» الإفرنسية ، فولدت له الأمير «صدر الدين» وفي ١٩٤٤م تزوج بالسيدة «إيفيت لابروس» الإفرنسية .

تعتبر مذكراته التي وضعها باللغة الإنكليزية من أطرف ما كتبه رجل عظيم ، ومن الجدير بالذكر أنها ترجمت إلى عدد من اللغات حتى إلى العربية .

زار دمشق سنة ١٩٥١م ، ومنح وشاح أمية المرصَّع .

بعد موته ظهرت وصيته التي قضت بإعطاء الإمامة إلى حفيده «كريم خان» وحرمان ولده «علي خان» منها ، ولا أحد يعرف الأسباب؟ أمَّا علي خان فكان يشغل وظيفة ممثل باكستان في الأمم المتحدة ، وقتل بحادث سيارة في باريس . ثم دفن في مدينة سلمية بناءً على وصيته

اعتبر سلطان محمد آغاخان الثالث من الأئمة الإسماعيليين الذين ضربوا الرقم القياسي بوضع الأسس وخدمة أتباعه وإسعادهم ، والتوجه نحو الإسلام والمناداة به .

«كريم خان» «آغاخان الرابع» :

ولد سنة ١٩٣٨م . والده هو الأمير علي خان المذكور . بويع بالإمامة بعد وفاة جدِّه سلطان محمد آغاخان الثالث ، وحرم منها ولده ، وهذه سابقة خطيرة لم يشهد تاريخ الأئمة الإسماعيليين مثلها .

والدته هي البيجوم «جان» البريطانية .

هو على جانب كبير من الثقافة ودماثة الأخلاق . تخرج من جامعة هارڤارد . يقيم في بريطانيا وفرنسا وسويسرا وينصرف إلى خدمة أتباعه ومعالجة قضاياهم أينما وجدوا .

كثير التنقل ، يمارس الرياضة الصعبة ، ويولي الشؤون الاقتصادية والمالية اهتمامه . . . يبتعد عن الخوض في السياسة . ويعترف بأنها أصبحت في هذا العصر بعيدة عن القيم والأخلاق والضمير ، فلا وفاء ولا أمانة ولا حرية للشعوب بتقرير مصيرها ، بل سيطرة وتحكم الأقوياء الأدعياء في الشعوب وحرمانهم من الحرية والمساواة والخير .

يتنبأون له بمستقبل باهر .

* * *

«مصادر البحث بالعربية»

١ ـ مع الشيعة الإمامية ـ محمد جواد مغنية بيروت ١٩٥٥ .

٢ ـ سيد قريش ـ معروف الأرناؤوط دمشق ١٣٩١ .

٣ ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا ـ المقريزي ـ القدس ١٩٠٨ .

٤ ـ استتار الإمام مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٣٢ .

٥ ـ عبيد الله المهدي حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف ـ القاهرة ١٩٤٦ .

٦ ـ الفاطميون في مصر حسن إبراهيم حسن القاهرة ١٩٣٢ .

٧ ـ تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ٣ أجزاء القاهرة ١٩٤٦ .

٨ ـ دولة النزارية أجداد آغا خان ـ طه أحمد شرف القاهرة ١٩٥٠ .

٩ ـ الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن ، حسين همذاني القاهرة ١٩٥٦ .

١٠ ـ المعز لدين الله ـ حسن إبراهيم حسن ، وطه أحمد شرف القاهرة ١٩٥٦ .

١١ ـ المجلة الذهبية ـ علي محمد جناره ـ بومباي ـ ١٩٣٦ .

١٢ ـ نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين ـ عطية مصطفى مشرفة القاهرة .

١٣ ـ تاريخ العرب ـ فيليب حتي ـ بيروت ١٩٥٢ .

١٤ ـ أبو الفداء ـ إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماه .
١٥ ـ الإسلام والحضارة العربية ـ محمد كرد علي ـ القاهرة ١٩٣٤ .
١٦ ـ كنوز الفاطميين ـ زكي محمد حسن ـ القاهرة ١٩٣٧ .
١٧ ـ تاريخ الإسلام السياسي ـ حسن إبراهيم حسن القاهرة ١٩٤٥ .
١٨ ـ تاريخ جوهر الصقلي ـ علي ابراهيم حسن ـ القاهرة ١٩٣٣ .
١٩ ـ الحاكم بأمر الله ـ محمد عبدالله عنان ـ القاهرة ١٩٣٨ .
٢٠ ـ نور مبين ـ حبل الله المتين ـ علي محمد جابر محمد جناره الهند ـ ١٩٣٢ .
٢١ ـ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي (مترجم) أمير علي سيد القاهرة ١٩٣٨ .
٢٢ ـ رسائل أخوان الصفاء وخلاَّن الوفاء .
٢٣ ـ «المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ـ عبد الرزاق أسود بيروت ـ لبنان ـ دار المسيرة ١٩٨١ .
٢٤ ـ الملل والنحل ـ الشهرستاني ، دار الفكر ، لبنان .
٢٥ ـ تاريخ الخلفاء ـ السيوطي ، دار الفكر ، لبنان .
٢٦ ـ مروج الذهب ـ المسعودي ، دار الفكر ، لبنان .
٢٧ ـ يتيمة الدهر ـ الثعالبي ، دار الفكر ، لبنان .
٢٨ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ، دار الفكر ، لبنان .
٢٩ ـ تاريخ مختصر الدول ـ ابن العبري ، دار الفكر ، لبنان .
٣٠ ـ مقدمة ابن خلدون .
٣١ ـ فجر الإسلام ، وضحى الإسلام ، وظهر الإسلام ، أحمد أمين .
٣٢ ـ راحة العقل ـ الكرماني ـ محمد كامل حسين ومصطفى فهمي ، القاهرة .

«مصادر البحث الأجنبي»

1 - The rise of the Fatimids, W. Ivanow.

2 - A Guide to Ismaili - Literature, W. Ivanow.

3 - A Forgotten Lranch of the Ismailis, W. Ivanow.

4 - Literary history of Persia, Brown, Edward, 1909.

5 - A. A. Fyree - A Chrono logical list of the imams and Dais of the Mustalian Ismailis, Bombay - 1934.

6 - The Origins of ismailism, Combridge - 1940 - B. Lewis.

7 - History of the Shia imami of india, J.N, Hollister.

8 - Ferishta - Mohamed - Kassim. History of the rise of the Mugal Apower of India.

9 - Polemies on the Origin of the Fatimi Cociph. Prince Mornour 1934.

10 - A Short - History of the Fatimid Kalifate - london 1923.

11 - The Order of Hassassins, Marshall, Hodgson.

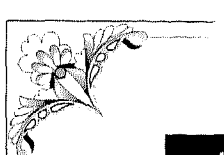
12 - History of Assassins - Van- Hamer, 1833.

13 - Esquisse d'une Bibliographic Carmathe, L. Massignon 1922.

14 - Islam - Beliefs and institions, Lammens.

15 - En Couéte aux Pays du Levant - 1914, M. Barrés.

الفهرست



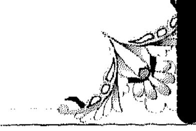
هذا الكتاب

في كتابنا هذا دراسة مفصلة عن «الإمامة في الإسلام» وفيه أيضاً موجز عن تاريخ الفرق الإمامية الإسلامية، بالإضافة إلى ترجمة لحياة الأئمة الذين تسنّموا مركز الإمامة في عصور مختلفة.

كتابنا هذا... ليس لفئة أو لفرقة، أو لطائفة.

إنه للعلم... وللحقيقة... وللتاريخ...

المؤلف



دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع
ت: ٢٧٠٨٧٣ - ٢٧١٧٨٨ - ف: ٢٧١٦٨٥
ص.ب: ٤٠ / ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان